

مصادر السيرة النبوية وتقويمها

تأليف

الدكتور فاروق حمادة

دار القلم
دمشق

إهداء

إلى محبّي سيّدنا رسول الله محمّد بن عبد الله
عليه الصّلاة والسّلام ...
إلى المخلصين في طلب الحقّ والباحثين عنه ...
أُهدي هذا البحث

فاروق

مصادر السيرة النبوية وتقويمها

بين يدي الطبعة الثالثة

الحمد لله الكريم الوهاب، الذي بعث رسوله بالحق، وأنزل عليهم الكتاب رحمةً وهدايةً لأُولي النُّهى والألباب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذي رفع لواء الشريعة، وأرشد إلى نهج الصواب، صلاة تتنامى مع مرّ الليالي، وكرَّ الأيام إلى يوم النشور والحساب، وعلى آله الطيبين، ومن التفَّ حوله ونصره من الأصحاب، ومن اهتدى بهديهم، وسلك جادتهم، من غير شك ولا ارتياب.

أما بعد: فقد حظيت السيرة النبوية في جميع مراحل الزمن بعناية كبيرة من الأمة، جمعاً وتوثيقاً، ودرساً وتمحيصاً، وتعليماً وتقريباً، وحق لها ذلك، فهي بأمر الله تعالى وإرادته تتجدَّد مع طلوع كل شمس، وتجد من يحملها، ويبلغها لتقوم الحجة على العالمين.

وغدت السيّرة النبوية عِلْماً قائماً برأسه، لها كتبها وعلماؤها، وباحثوها ودارسوها، منذ نهاية القرن الهجري الأول، وحتى يومنا هذا، وقد أكد علماء الإسلام أن من فاته علم السيرة في معرفة تاريخها، ومصنفاتها، ومضمونها، ووقائعها، وأحداثها، فقد فاته خير كثير، وجميل به أن لا يعد نفسه من أهل العلم، ولو كان له رسوخ في علوم أخرى.

فالسيرة النبوية محور وجوهر الحديث والسنة، ولها الحضور الدائم في صفحات العلم والمعرفة، والحاجة لمعرفتها ضرورة لكل مسلم كيفما كان، قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٦هـ[1]: ذكر النوع الثامن والأربعين من علوم الحديث:

هذا النوع من هذه العلوم معرفة مغازي رسول الله ﷺ، وسراياه، وبعوثه، وكتبه إلى ملوك المشركين، وما يصح من ذلك وما يشذّ، وما أبلى كل واحد من الصحابة في تلك الحروب بين يديه، ومن ثبت ومن هرب، ومن جبُن عن القتال

---

(١) انظر: معرفة علوم الحديث ص٢٣٨.

ومن كرّ، ومن تدين بنصرته ﷺ ومن نافق، وكيف قسم رسول الله ﷺ الغنائم، ومن زاد ومن نقص، وكيف جعل سلب القتيل بين الاثنين والثلاثة، وكيف أقام الحدود في الغلول، وهذه أنواع لا يستغني عنها عالم.

أقول: بل كثير منها لا يستغني عنه مسلم، لأن محبة المسلم لنبيه ﷺ، واقتدائه به، وبحثه عن أخلاقه وحياته يجده مجموعاً ميسّراً في السيرة الشريفة.

قال العز ابن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ[1]:

واعلم أنه لا أدب كأدب رسول الله ﷺ، ولا خلق كأخلاقه، فمن وفقه الله أعانه على البحث عن أخلاقه والاقتداء به، ليتخلق منه بما قدر عليه، ويصل إليه، وما من أحد إلا وقد همَّ ولمّ، فيا سعادة من اقتدى به، واستن بسيرته، وأخذ بطريقته، وامتلأ قلبه من محبته، في دق ذلك وجلّه، وكثره وقلّه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وكيف لا يكون كذلك وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وكان خلقُه الممدوح بالعظمة اتباع القرآن، والقرآن مشتمل على الأمر باتباعه ﷺ، فيما جاء به من كتاب أو سنة.

❀ ❀ ❀

ولوصول المسلم، والباحث إلى معرفة أخلاقه ﷺ حقاً، وكيف عاش حياته صدقاً، وصعت هذا الكتاب منهجاً للخاصة، ودلالة للعامة، وقد كان فكرة تراودني قبل أن يبرز للوجود، وأنا أُلقي دروس السيرة النبوية على طلاب الجامعة كما بينت في طبعته الأولى.

وتعمقت هذه الفكرة ونضجت، وقدَّر الله أن تنطلق في محاضرة عامة مرتجلة، ألقيتها أمام لفيف كريم من العلماء، وثلّة من الباحثين الفضلاء، وجمهرة من الشباب المتطلع للخير والعطاء، في رحاب المدينة النبوية الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عام تسعة وتسعين وثلاثمئة وألف للهجرة النبوية، ويوافق عام تسعة وسبعين وتسعمئة وألف للميلاد، وكنت ضيفاً على نادي المدينة المنورة الأدبي، وقد نالت بفضل الله تعالى القبول والاستحسان، والثناء والامتنان، مما شجعني وقوى عزمي على إبرازها مدونة في كتاب، وكذلك كان،

(١) انظر: قواعد الأحكام ص١٢٥.

وخرجت طبعته الأولى سنة ألف وأربعمئة للهجرة وتوافق سنة ثمانية وتسعمئة وألف للميلاد.

ومنذ أن صدرت الطبعة الأولى، وتأثيرُ هذا الكتاب والحمد لله ظاهر بارز في مراكز العلم التي وصلها، وحلق الدرس، وقد راسلني عدد من الفضلاء العلماء، وذوي النباهة والشأن مثنياً منوِّهاً، وأخصُّ منهم بالذكر طائفة من الشبان الذين كانوا يهيئون آنئذٍ رسائلهم للماجستير وأطروحاتهم للدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد كتب لي أحد هؤلاء الفضلاء مرَّة يقول - مع عدم معرفته بشخصي -: أطمئنك وأقرّ عينك بأن المنهج الذي اقترحته، والأفكار التي أودعتها كتابك (مصادرالسيرة النبوية) قد عملنا على تحقيقها، وقد وزِّعت المغازي النبوية على عدد من الدارسين في رحاب الجامعة، ليكتبوا فيها كما أحببتَ.

ومرت الأيام، ورأيت عدداً من هذه الرسائل والأطروحات مطبوعاً، وقد تأثرت بالكتاب وفكرته، وأشارت إلى استفادتها منه وترسم خطواته.

ثم صدرت كتب عديدة بناها أصحابها على منهجنا المقترح، وكثير منهم يشير إليه، ويعلن الاستفادة منه، وشاعت فكرة هذا الكتاب وغايته في شرق الأرض وغربها عند الباحثين الجادين.

وأستطيع القول: إن هذا الكتاب كان ولا يزال محطةً هامةً في تاريخ تدوين السيرة النبوية، بفضلٍ من الله ونعمة، فأسأل الله تعالى أن يشملَه بسوابغ القبول، ويجعله حسنات نامياتٍ في ميزان حسناتي.

وأما عن تطبيق المنهج وإنجاز دراسات في السيرة الصحيحة، وإخراجها للناس فلنا رأي متمم أبديناه في غير هذا الموضع، ونسأل الله أن يوفقنا ويوفق الباحثين والدارسين إلى السداد والرشاد.

❀ ❀ ❀

وفي هذه الطبعة الثالثة إضافات جمّة وكثيرة، وفي الأفكار المتعلقة بالموضوع، والكتب التي جدَّت معرفتي بها، أو طبعت خلال فترة غير قصيرة، والحديث عن تقويم هذه الكتب ومكانتها، وما فيها من قوة أو ضعف، وومضات عن مؤلفيها، مما جعل هذا الكتاب خزانة جامعة في الموضوع، ولم أر حسب اطلاعي من عانى ذلك أو قاربه.

وقد بنيته على الإيجاز والاختصار، دون التطويل والإكثار، وإلا لجاء في

مجلد ضخم، وهو حقيق بذلك إن شاء الله، وسيقر عين المنصفين إن شاء وأقول متحدثاً بنعمة الله تعالى: إنَّ من يقرأ كتابي هذا بعمق ووعي، ويضيف إليه كتابيَّ: (المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دراسة منهجية في علوم الحديث)، و(منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفاً وتحقيقاً)، ستكون له معرفة شمولية منهجية بالسنة النبوية ومصنفاتها ومناهجها، وسيعرف قدر كل مصنِّف ومصنَّف، ويستطيع بذلك إن شاء الله أن يتعاملَ مع ما يرد عليه، بوعي وبصيرة ومنهجية.

فاللهم أني أضرع إليك أن تكتبَ له ولغيره القبولَ عندك، وتنفَع به، وتجعلَه لي ذخراً ألقاه يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم.

كما أضرعُ إليك أن تبارِكَ لنا في إيماننا وأبداننا، وذرياتنا، وأعمالنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

فجر يوم الأحد ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ

موافق ١٥ حزيران ٢٠٠٣م

بحيّ القدس ـ بالقنيطرة ـ بالمغرب الأقصى

وكتبه

الأستاذ الدكتور فاروق حمادة

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإننا نقدِّمُ كتاب «**مصادر السيرة النبوية وتقويمها**» في طبعته الثانية، بعد نفاد طبعته الأولى، واشتدادِ الطلب عليه في شرق الأرض وغربها، لما لاقاه بفضل الله تعالى ومنّته من قبولٍ حسن، وعنايةٍ خاصة من الباحثين والدارسين للسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي.

وقد نوّه به عدد غير قليل من العلماء الأجلاء، والأساتذة الجامعيين المرموقين. وقد راسلني بعضُهم برسائل الإشادة والثناء، وذلك إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنَّ الكلمة الإسلامية يشتدّ ساعدُها يوماً بعد يوم، وتنبت شامخةً في العقول والقلوب، وستعطي بإذن الله تعالى طيّبَ الجَنَىٰ، ويانعَ الثمر، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

لقد ازدادت في العقود الأخيرة من السنين العنايةُ بالدين الإسلامي، ومحاولاتُ التعرُّفِ عليه، وعلى مصادره وحضارته وتاريخه من جميع الناس ـ مسلمِهم وكافِرهم، وهذا شيءٌ طبيعيٌّ، ومبشِّر بالخير بعد الإدبار الشديد عن الدين والتنكر له، ووصول البشرية إلى درجة سحيقة من الانحطاط الخُلُقي، والضعف في الصفات الإنسانية العليا، وكتبت حول الإسلام دراساتٌ كثيرة في مختلف الأصقاع والبقاع، فيها الغث والسَّمين، والصالح والطالح، وفي خِضَمِّ ذلك برزت ظاهرة لم تكن معروفةٌ من قبلُ، وإن كانت قد مرّت في إحدى مراحل التاريخ الإسلامي فهي بغير هذا الشكل، وهذه الظاهرةُ هي تصدُّر الأقلامَ التي تربَّت في أحضانِ المدرسة التبشيريّة والمدرسة الاستشراقية ـ بمعناها الواسع ـ من أبناء المسلمين، وتولِّيها الكِتابة في قضايا الإسلام العقائدية، والعبادية، والسياسية،

والاقتصادية، وغيرها بمنطق تلك المدرسة وغاياتها.

وإذا كان الاستشراق التقليدي قد انكسر قَرنه، وانطفأت شعلته، وخَفَتَ صوته المباشر، فإنه يقف خلف هذه الظاهرة بكل قواه وإمكاناته.

❁ ❁ ❁

ومن أهم ما يركز عليه الكاتبون الذين يستندون إلى الفكر الغربي عموماً؛ صاحب الوحي، وإمام الدعوة محمد ﷺ، في شخصه وسلوكه، وأهل بيته وسياسته.. وما إلى ذلك من الجوانب النبوية، ربطاً بين الإسلام ونبيِّه عليه الصلاة والسلام، لترسيخ صورة معينة عن هذا الدين ونبيه ﷺ.

ولا شك أنهم يؤثِّرون بذلك في عقول الأغمار، ويستميلون قلوب الأغرار والصغار... ولهذا فإن الحاجة ما تزال على أشدّها لبيان سيرة محمد رسول الله ﷺ صحيحة نقية، ومعرفة مصادرها المعتمدة، ونصوصها القويمة، ليكونَ الردُّ حاسماً على الذين يحرِّفون ويؤولون، كما يشاء لهم خيال جامح، وهوًى متعصب طافح.

وإذا كانت سيرة رسول الله ﷺ هي نبراسُ الفضيلة في دروب الزمن، وتعاقب الأجيال، فإنّ العلمَ بها من أرفع العلوم شأناً، وأعظمها على الإنسانية نفعاً، والحاجة إليها متجددة على الدوام، ومن هنا تأتي أهميةُ هذا الكتاب وموقعه عند الباحثين والدارسين وغيرهم.

وقد أضيف إليه في طبعته هذه زياداتٌ كثيرٌة وهامةٌ، فيها تكميلٌ لما كان في الطبعة السالفة، وإيضاحٌ لأمورٍ كان لا بدَّ من إيضاحها، رجاء النفع والمعونة إن شاء الله. وأنا موقن تمام اليقين أن كلَّ كلمةٍ صحيحة صادقة تكتب في السيرة النبوية وتنتشر في الأرض بأي لغة كانت سيكون لها الأثر الحسن، والخير العميم إن شاء الله ليتحقق للإنسانية مصداق قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإن البشرية لا تعرف من حياة نبي من الأنبياء، أو عظيم من العظماء ما تعرفه عن هذا النبي الكريم مَثَلَ الإنسانية الأعلى الذي أراده الله كذلك.

❁ ❁ ❁

ولقد صدر في السنين الأخيرة دراسات هامة في السيرة النبوية تتحلى بكثير من الرزانة المنهجية والتثبت العلمي، والتحقيق الجيد، ونأمل المزيد من ذلك إن شاء الله تعالى.

وأخيراً أشير إلى كلمة (وتقويمها) في عنوان الكتاب، فقد جاء في معاجم اللغة العربية:

قوّمت المتاع: جعلتُ له قيمة معلومة، وقوَّم السلعة تقويماً: أي قدّرها.

وأهل مكة يقولون: **استقمت المتاع**: أي قوّمته. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، وجمعها قِيَم.

ولا يوجد فيها (تقييم) بمعنى تقدير القيمة بل (تقويم) وإن كانت هذه الكلمة مما يستعمل بكثرة في أيامنا. وقد ذكر الأستاذ محمد خليفة التونسي في كتابه «لغتنا السمحاء» الصادر ضمن سلسلة كتاب «العربي» صفحة ٤٨، أن المجمع اللغوي بالقاهرة، أقرّ استعمال لفظة (تقييم) كمصطلح لتثمين الشيء، وإعطائه قيمة معينة، وهو تقدير درجة النجاح والإنجاز، ولفظة (التقويم) إصلاح الاعوجاج، وقد جريت في تسمية الكتاب على وفق اللغة العربية الأصلية، فاستعملت (التقويم) ولم أَمِلْ إلى اللفظةِ المحدَثةِ.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه
الدكتور فاروق حمادة

في القنيطرة/ بالمغرب الأقصى/
في ٢٥ رجب الفرد ١٤٠٩هـ
موافق لـ ٥ مارس (آذار) ١٩٨٩

مقدمة الطبعة الأولى

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه من خلقه، وتولاه بعنايته، وجعله حجته على العالمين، في سلوكه ودعوته. صلّى الله عليه وعلى آله وصحابته وتابعيه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنّ الله ﷻ جعل محمداً ﷺ شاهداً على الناس أجمعين، وجعلَ سلوكَه أقوم سلوك، وتصرفاته أهدى تصرفات، فكانت بذلك مثلاً أعلى، وميزاناً صادقاً، توزن بها أعمال البشر، وحركات بني آدم.

وقد كان هديه العالي صلوات الله وسلامه عليه وسيرته العطرة واضحةً لأصحابه وأتباعه في القرون الأولى الخيِّرة، يأتسون بها، ويحتكمون إليها في حياتهم وجميع شؤونهم، وهكذا انسابت عبر القرون....

ولكن بدأ يتطرَّق إليها مبالغات عاطفية، لاسيما في الأعصر المتأخرة، حتَّى إذا ما انتشر هباب الحضارة الغربية في العالم الإسلامي، وحمل هذا الهباب أفكار الغرب وتصوراته عن الإسلام، حمل معه كذلك معاني الإلحاد بالله، وبذور الشك في الإسلام، يساند تلك التصورات القاتمة المشوَّهة عن الإسلام عموماً، وعن نبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، خصوصاً ما خلفته القرون، ورسَّبته الصليبية التي كان لها أيام وأيام مع الإسلام.

وبدأ بعض أبناء المسلمين الذين تنسموا هذا الهباب وتأثروا به بدأوا يجارون الغربيين ـ وقد تربوا في أحضانهم ـ ويحذون حَذْوهم، وادّعوا العلم والمنهج والتقدمية، وكتبوا كتباً عن سيرة النبي ﷺ وأبحاثاً إسلامية، فكانت نسخاً مطابقة لأصلها الاستشراقي الغربي، بعيدة كل البعد عن الإسلام وروحه، مجافية كل المجافاة لسيرة نبينا ﷺ، بل إنَّ بعضهم تخطَّى ما كتبه المستشرقون وتعدَّاه، وأخذوا يكررون كلمات فارغة جوفاء كالمنهج العلمي، والطريقة العصرية، والمناهج الحديثة. والبحث العلمي... دون أدنَى دلالة لها، وانتشرت هذه

الكتب بين المسلمين انتشاراً كبيراً، وزُفَّ من شأنها، وعلت أبواقُ دعايتها فضُلّل بها الكثيرون، وظنوها كتب السيرة الصحيحة...

أجل؛ لقد انكسر قرن الاستشراق وأعوانه الأوائل في السنين الأخيرة، وخمدت ناره... ولكنا نلاحظ في هذه الأيام أمرين اثنين:

أولهما: **نفخاً جديداً في جذوة الاستشراق القديم**، وبعثاً له عن طريق الكتب والصحف والمجلات، وزادوا فيه وسائل عصرية حديثة كالأفلام (السينمائية) (والتليفزيونية) وأمثالها من وسائل تعليم الشعوب الجاهلة، وكلها تشويه وطمس لحقيقة السيرة النبوية...

والأمر الثاني: **هو استشراق جديد قد ذر قرنه ألا وهو الاستشراق الماركسي**، الذي يجاوز الاستشراق الغربي بتحليلاته المادية، ويدس أنفه في المجتمعات باسم إنقاذ الفقراء والمحرومين والثورة على الأغنياء، ويجعل من وسائله ما يسمونه بالصراع الطبقي، وتناحر البيوتات والقبائل.... وهذا الاستشراق الذي بدأ ينتشر بين الباحثين، ويحلل السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بهذه المقاييس والموازين، لا يقل خطورة عن سابقه، إن لم يكن أخطر. ولاسيما في العالم الإسلامي الذي تستهوي أبناءه التعساء المحرومين الجياع الحفاة، تلك الكلمات الطنانة الرنانة، فيطربون لها، وينساقون في تيارها.

ولقد تتبعنا هذا الصنف من الكتاب فوجدناهم لا يتورعون عن تزوير الحقيقة، والعبث بها بشتى وسائل التزوير والعبث، ومنها تحريف النص، وتحميله ما لا يحتمل، بل يصل بهم الأمر إلى الكذب الصراح لتركيز العداوة للإسلام ولرسوله ﷺ في قلب القارئ.

وآخذ نموذجاً على ذلك من نماذج كثيرة جداً وهو كالتالي، قال أحدهم: «ومع أن السخاوي دعا إلى عدم التشدد في ذم الآخرين وجرحهم ولو كذبوا في الحديث»[1] وعزا هذا النص إلى السخاوي في كتابه «الإعلان بالتوبيخ»، وحاشا السخاوي وأمثاله من علماء هذه الأمة أن يتساهلوا في جرح الكذابين على رسول الله ﷺ، ولما عُدتُ لنص السخاوي في الصفحة (٦٨ ـ ٦٩)، وجدته يتحدَّث عن تحرّي الألفاظ، وعدم المجازفة بالسيء من القول، وعدم الزيادة على الجرح فيما لا داعي له إذا حصل مقصود الجارح، وساق قول المزني: «سمعني الشافعي يوماً وأنا أقول: فلان كذاب، فقال لي: يا إبراهيم أكسُ ألفاظك

---

(١) انظر: «الكتابة التاريخية» لعزيز العظمة ص٢٩.

أحسنَها، لا تقل كذاب، ولكن قل: حديثه ليس بشيء، ونحوه.

ونجد أن البخاري كان لمزيد ورعه قلّ أن يقول: كذاب أو وضاع، أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، نعم ربما يقول: كذبه فلان، أو رماه بالكذب...» إلى آخر كلام السخاوي في هذا الذي يؤكد فيه على خطورة الكلمة التي يجب أن تكون موثقة معبرة بالقدر اللازم الكافي، فشتان شتان بين كلام السخاوي، وهو منهجنا وأسلوبنا، وما عزاه هذا الكاتب إليه.

وإليك نموذج آخر من سوء فهمهم، وانحراف طبعهم، وخبث مقاصدهم، يقول هذا الكاتب كذلك في ص٢٩: «هناك طبعاً درجة أعلى من التواتر والثقة بالناقلين، بمعنى أن خبرها ينقض ما جاء متواتراً، وعن ثقة، وهذه هي درجة الخبر (ذو) العصمة من خبر القرآن، أو خبر الحديث الصحيح، وتلك هي الأخبار التي تستخدمها (كتب التاريخ على طريقة المحدثين)». ماذا يفهم القارئ من هذا الكلام المتهافت المتناقض الذي يدل على ما ذكرنا؟!

ويبلغ التهافت عند هذا وأمثاله والتبجح بكلمة علمي إلى القول: «ويجري اعتبار مقالات المؤرخين حول الإسناد وغير ذلك من الأمور غير المنتسبة إلى التاريخ العلمي»[(١)]. ولم ندرِ ما هو العلميّ عند هذا ومن هو على شاكلته؟.

لقد ركز الماركسيون في جميع أنحاء العالم وهم يعالجون قضايا التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ للسلطان، والدولة فقط، ولم يعن بالجماهير، ويختم الكاتب المذكور كتابه السابق بقوله: «وها هنا من نقاط التقاء مؤسسة المعرفة، ومؤسسات السلطان، وها هنا عبارة المعرفة عن السلطان، وتوكيد السلطان للمعرفة، وها هنا أخيراً موقع التاريخ من الثقافة العربية الإسلامية، فهو مدخل السلطان إلى العقل، وإضفاء العقل على السلطان».

إنهم جميعاً ردّدوا مضمون هذه الفرية الواضحة، ولو قالوها عن الماركسية أينما حلّت لصدقوا وصُدِّقوا، ولكنهم نسبوها زوراً إلى الإسلام فانكشف كذبهم.

إن مصادر التاريخ الإسلامي كله قديمها بدءاً من **الطبري** ومتأخرها مع **الذهبي وابن حجر والسخاوي** كانت تدور أساساً حول الحركة العلمية والدينية، ولهذا فهي تدوّن ما يتعلق بهما، ومن جملة ذلك وليس كله، ولا نصفه ولا ربعه بل أقل من ذلك ما يتعلق بالسلطة، وعندما كانت تدوّن ما يتعلق بالسلطة كانت تركز على هذين الأمرين، ومدى تعلقها بالشريعة السمحاء، ورعايتها لحرماتها،

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٨.

والسهر على تطبيقها، ورعايتها للحركة العلمية، ونشرها للثقافة والفكر، ومن خلال هذين الأمرين يتم التأريخ للمجتمع كله، في صعوده وهبوطه، وبؤسه ونعمه... وهذه إشارة موجزة تحتاج إلى تفصيل وتطويل، علماً بأن دور السلطة كيفما كانت قديماً وحديثاً ومستقبلاً يكون مهماً وواضحاً، بل وحاسماً في بعض الأحيان.

أما الماركسية فهي التي التقت فيها السلطة بالمعرفة وتوحدتا، وفرضت السلطةُ المعرفةَ التي تريد على العقل.

إنني أحذرك أيها القارئ الكريم من الاستسلام أمام ما تقرؤه في كتب هؤلاء من نصوص يقتبسونها من كتب الإسلام وتاريخه، لأن العبث والتغيير، والتشذيب والتحوير، سيكون مصيرها عندهم ابتغاء قلب المعاني، وتغيير الأفكار.

ويدعم خطورة الاستشراق بنوعيه (التقليدي، والماركسي) جهلٌ يكاد يكون تماماً من الناشئة المسلمة بالسيرة النبوية، لخلوِ برامج التعليم من هذه الدراسة الضرورية، والزمن المتسارع لا يسمح لهم في غالب الأحوال بالاطلاع عليها، لذلك يأخذون نتفاً مشوهة من هذا الذي تقدم، أو مما تقدمه الإذاعات في المواسم الرسمية.

ولقد نجم في السنين الأخيرة ما يسمى بالمؤتمر العالمي للسيرة النبوية، وعقد ثلاثة مؤتمرات، ولكنه لما يبرز بعدُ آثاراً ملموسة في ميدان الحياة، مع ما نراه من تزايد نغمة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، الذي لا يمكن أن يكتب من بدون كتابة السيرة النبوية...

فلا ندري هل سيكتب التاريخ الإسلامي الجديد بمنهج المستشرقين المعروف في مثل كتاب «الدولة العربية» (لفلهاوزن) وما شاكله... أم ستهب عليه عواصف الرياح الشرقية الحمراء تبعاً لنزعات الأنظمة وتأثيرات السياسة المتقلبة الهوجاء، فتصبغه بلونها، وتطبعه بطابعها؟!! أم يتداعى مخلصون جادون لإنصاف الحقيقة، وتقديمها إسلامية بما لها وما عليها، لا شرقية ولا غربية؟!!.

وفي هذا الجو العلمي المتضارب المحموم يبحث المفكر المسلم عن موطئ قدم يقف عليه، بكل ثبات واعتزاز، وبكل صبر وشجاعة، ولا تكون انطلاقته الفكرية إلا من الإسلام دون عاطفة طاغية في غير محلها. أو عقلانية جافة، ووسيلته المنهج الذي لا يتغير بتغير الأحوال والأزمان، واللغات والألوان. بل منهج يعتمد العقل الرشيد، لنقل العلم والعمل الصحيح السديد.

وإنها لمسؤولية جسيمة اليوم توجب على الباحثين المسلمين، والمخلصين الغيورين أن يقدموا صورة كاملة شاملة صحيحة لسيرة النبي ﷺ، وتترجم إلى

جميع لغات العالم، وتوزع على أوسع نطاق، وهذا الواجب في تقديري من آكد الواجبات، وهو الركن الأعظم في الدعوة إلى الله اليوم.

وقد وجدنا علماءنا في كل العصور كانوا يكتبون السيرة، كلٌّ بلغة عصره، ومناهجه، وواجبنا نحن اليوم أن نكتبها بلغة عصرنا ومناهجه.

ومن هذا المنطلق كتبت هذا البحث الموجز، وقد مهدت به بين يدي دروس السيرة النبوية وفقهها أمام طلابنا في كلية اللغة العربية بمراكش، وجعلته منهجاً لإعداد هذه السيرة، أو موسوعة السيرة النبوية؛ هذه الموسوعة تعتمد هذه المصادر جميعها، وتأخذ صحيحها، وتصاغ صياغة جديدة تتشابك فيها آيات القرآن الكريم؛ وهي تتنزل بالأوامر والنواهي، والتشريع والتنظيم والأحكام، وتبرز خلالها الأحاذيث النبوية؛ وهي توجه ركب المؤمنين، وتوضح الطريق للسالكين، وتظهر التصرفات النبوية في خضم أحداث الحياة بشتَّى أنواعها..

كما تحكي تجاوب الرعيل الأول، ودخولهم في هذا الدين واحداً إثر واحد، أو جماعة تتلوها أخرَى، إلى أن تم بنيانه، وتوطَّدت أركانه، بما كان لهؤلاء الداخلين من إقبال وحماس أو تردد وخوف، وتروي للأجيال إقلاعهم عن لذيذ الشهوات، وإقبالهم على دعوة الله، وتضحيتهم في سبيلها.. إلى أن أعز الله جنده، وأكمل كلمته، وأعلى رايته.

نريدها موسوعة تفصِّل ملحمة الإسلام الفريدة يوماً فيوماً من خلال حياة سيدنا رسول الله ﷺ دون تزيّد أو مبالغة، ودون نقصان أو حذف...

وهدفت من هذا البحث كذلك إلى إعطاء ميزان واضح يستطيع به الشباب المثقف المتخصص في الدراسات الإسلامية وغير المتخصص، أن يزن به الكتب التي تُلقى بين يديه حول السيرة النبوية وتفجؤه بكثير مما يستغرب، وهو منسوب إلى السيرة ومنقول عن بعض علماء المسلمين.

وأقدم من رأيته أشار إلى مصادر السيرة النبوية، أو إلى بعضها العلامة السيد سليمان الندوي في محاضراته الثمان التي ألقاها في السيرة النبوية في جامعة مدراس بالهند ١٣٤٤هـ، وجمعت في كتاب «الرسالة المحمدية» فإنَّه عدّد من مصادر السيرة النبوية القرآن الكريم، وكتب الحديث الشريف، والمغازي والدلائل والشمائل والتاريخ، وكتب تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة[١].

---

(١) انظر: ص٩٣ ـ ٩٤ من «الرسالة المحمدية». وقد أعيد طبعها في دار القلم بدمشق بعد=

وقد عرّف بكل واحد تعريفاً موجزاً جداً، ذاكراً ما عليه من المآخذ، إلا أن إشارته المجملة هذه فيها فضل وعلم كبير رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة.

ثم العلامة الدكتور مصطفى السباعي عليه سحائب الرحمة في كتابه «السيرة النبوية دروس وعبر» ص(٢٣) إذ أفرد عنواناً في فصوله التمهيدية لمصادر السيرة النبوية. وقال رحمه الله: (تنحصر المصادر المعتمدة للسيرة النبوية في أربعة مصادر، القرآن الكريم، السنة النبوية الصحيحة، الشعر العربي المعاصر للرسالة، كتب السيرة). عرف بكل مصدر تعريفاً موجزاً، في أربع صفحات تقريباً. مع لفته الانتباه إلى الشعر العربي المعاصر للرسالة.

ثم جاء أستاذنا العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله في كتابه «فقه السيرة» ص(٢١) ليقول: «وعلى كلٍّ فإنّ مصادر السيرة النبوية التي اعتمدها سائر الكتاب على اختلاف طبقاتهم محصورة في المصادر التالية: أولاً: كتاب الله تعالى... ثانياً: كتب السنة النبوية... ثالثاً: الرواة الذين اهتموا بسيرة النبي ﷺ وحياته عموماً.

وعرف بهذه المصادر الثلاثة في أسطر معدودات، علماً بأننا نلاحظ قوله: (الرواة الذين اهتموا بسيرة النبي ﷺ...) كلمة لا دلالة لها، وليست اصطلاحية ولا دقيقة، بل لم يردنا شيء لولا الرواة، ورواة السنة اهتموا بسيرة النبي ﷺ...

وقد جاء هذا البحث أوفى وأوسع، وأشفى على هذا الموضوع ـ والحمد لله ـ من إشارات الفضلاء السابقين مع تدقيق وتفصيل، ففيه ما ليس في غيره. مع الحاجة الماسّة إليه. وإني لمدين فيه لكل من كتب في السيرة النبوية من علماء الإسلام القدماء والمحدثين ممن قرأت له.

فاسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل، وينفعني والمسلمين بهذا البحث، ويهديني والباحثين عن الحق، المتطلعين إلى معرفة سيرة سيد الخلق.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

في القنيطرة/بالمغرب الأقصى/   **وكتبه**

غرة ربيع الأول ١٤٠٠هـ   **الدكتور فاروق حمادة**

= أن أعيدت ترجمتها من جديد من قِبَل الأستاذ رحمة الله الندوي مع تخريج نصوصها تحت عنوان (محاضرات في السيرة النبوية) (ن):

تمهيد

* أهمية دراسة السيرة النبوية
* مصادر السيرة النبوية

أهمية دراسة السيرة النبوية

في عالمنا المتصارع المتناحر، يسمع الناس بين الفينة والأخرى صدى أصوات رخيمة، تدعو الإنسانية إلى الوداعة والهدوء، وعدم الحيف وترك الظلم، كما تدعوهم إلى الرحمة والشفقة على الإنسان، فتشيد الإنسانية بهذه الأصوات، وتنعتها بأرفع النعوت، وتحلّيها بأعظم الألقاب، وتمنحها جوائز السلام، وتسلكها في سلك الخالدين العظام.

وإن العاقل المتدبر، الذي يفنِّد هذه الأصداء، ويربطها بمصدرها، يجد أن هناك فارقاً كبيراً بين القول وسلوك قائله، وغالباً ما يكون هذا القائل قاصداً الرحمة والشفقة على طائفة خاصة وجنس معين.

وإذا أمعنا التأمل والبحث لوجدنا أنَّ هذا الداعية يستند إلى تاريخ طويل من ممارسة السفك والإجرام، وأن زبانيته هم الذين يعلِّقون له الشعارات والأوسمة، وما على الدهماء إلا الإعجاب والتصفيق. . . .

في هذا الجو العالمي الرهيب، الذي لا تستقر فيه القيم، ندعو البشرية كلها على اختلاف مللها ونِحَلها، ولغاتها وأوطانها إلى تأمل **«سيرة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه»**، وتمحيص أقواله ودعوته، علَّها تجدُ في سيرته وسلوكه المثل الأعلى، والميزان القسط الذي تزيف به دعاوى الأدعياء، وألاعيب المحتالين، وعلَّها تجد في سيرته «الإنسانية الحق في صورتها المشرقة» وهي تعيش على وجه الأرض.

وإنَّ دراسة سيرة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في أيامنا هذه ضرورة وأي ضرورة!! يمليها الواقع البئيس المحزن الذي يعيشه الإنسان المسلم وغيره في متاهات لا نهاية لها. . .

كما تفرضها الأوامر الإلهية على الإنسان المسلم ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وأهمية هذه الدراسة يمكننا إجمالُها في عدة نقاط، هي مرتكزات أساسية للانطلاق في الحياة، ولتكون هذه الحياة سليمةً مستقيمةً فاضلةً، وأهم هذه النقاط:

١ ـ السيرة النبوية تطبيق حيٌّ لتعاليم الإسلام كما أرادها الله تعالى أن تطبق في عالم الواقع.

فتعاليم الإسلام لم تنزل لتحصر بين جدران المساجد، وداخل أروقة بيوت العلم الشرعي وكلياته، بل تنزلت من الحكيم العليم، لتكون سلوكاً إنسانياً، ومنهجاً حياتياً، يعيشها الفرد المسلم في نفسه وشخصه، ويدركها في واقعه ومجتمعه. هذه التعاليم ينشأ في بحبوحتها الفرد، ويشبّ عليها، فتصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانه، يتصرف على هديها في كل صغيرة وكبيرة، وفي كل موقف وشأن.

فالمبدأ النظري يُرى ماثلاً قائماً في شخص صاحبه، وهذا ما نجده في السيرة النبوية، حيث كان رسول الله ﷺ يطبق تعاليم الإسلام كما أرادها الله تعالى أن تطبق في عالم الأحياء والبشر، وذلك في جميع أحواله وظروفه، نوماً ويقظة، سلماً وحرباً، جدًّا ومداعبة، غضباً ورضاً، فرداً وجماعةً، فإذا ما فارق التربية الإلهية قيد أُنملة جاءه التصحيح والتنبيه والتعليم من الله ﷻ، كما في حادثة عبد الله بن أم مكتوم عندما أقبل على النبي ﷺ يسأله، وكان النبي ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأبيّ وأمية ابني خلف يدعوهم إلى الله يرجو إسلامهم، فجعل عبد الله بن أم مكتوم يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنّه مقبل على غيره حتّى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطع كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه، وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ . . .﴾ [عبس: ١ ـ ٢][1].

ولهذا لم تستطع السيدة عائشة رضي الله عنها ـ حين سئلت عن أخلاق رسول الله ﷺ وأحواله وأوضاعه ـ أن تجد كلمةً أدق وأبلغ من قولها للسائل: ألم تقرأ القرآن؟! كان خلقه القرآن[2].

---

(١) انظر: «التفسير المظهري» ١٠/١٧٩، و«ابن كثير» ٤/٤٧٠، و«الدر المنثور» ٦/٣١٤. وسبب النزول هذا ذكره غير واحد من السلف والخلف، وهو عند أبي يعلى في «مسنده»، وابن جرير وابن أبي حاتم والترمذي وغيرهم مسنداً.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، ومسلم في «صحيحه» رقم (٧٤٦) صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل، وأبو داود في «سننه» وغيرهم.

وقد يشكل علينا أمر، ونختلف في حِلّه وحُرمته، وقربه من روح الإسلام وبُعده، فتحسم لنا هذا الأمر وتوضّح لنا الطريق سيرتُه وهديه ﷺ.

وقد يرى راءٍ في الإسلام جزئيةً لا تعجبه، ولا يدرك مغزاها ومرماها، فما عليه إلا أن ينظر كيف طبق رسول الله ﷺ هذه الجزئية؟ ومتى؟ ولماذا؟ ليدرك موقعها من مجموع البناء الإسلامي، ولا يستعجل الأمور، فيلتمس التعليلات الباردة، ليردَّ الأحكام الصريحة الواضحة كما يفعل بعض الناس.

٢ ـ **يظهر لنا من خلال سيرة المصطفى ﷺ الصورة المشرقة للإنسان الذي يمارس إنسانيته بكل أبعادها**، ويتفاعل مع الواقع بكل معطياته، وندرك أن محمداً ﷺ ـ بكل نوازعه البشرية ـ قد تربَّع على قمَّة التسامي الإنساني وهو المثل الأعلى الحق للبشرية، وكيف كان في كل أحواله غير منسلخ من بشريته، ولا متجرد منها، وبنفس الوقت لم يَجُر ولم يجِف عليها، بل عاش مشاعرها كلَّها، خوفاً ورجاءً، فقراً وغنًى، عزلةً واختلاطاً، عزوبةً وزواجاً، فرداً وربَّ أسرة، قائداً حربياً، ومخططاً سياسياً، إماماً حاكماً، وإنساناً يجلس مع الناس للحكم، آمناً مستقراً، وهارباً خائفاً، منتصراً مظفراً، ومغلوباً أسيفاً...

وفي كل هذه الأحوال كان ينهجُ على وتيرةٍ واحدةٍ من الاستقامة والعدل والرجولة والخلق الكريم، بما يشهد له به كل منصف، مسلماً كان أم غير مسلم أنه أعظم البشر على الإطلاق، وبهذه السيرة العطرة التي لا يستطيع أحد أن يخدش من طهارتها وسموها، يستطيع المسلم القول جازماً: إن محمداً ﷺ اليتيم الذي لم يتلقَ التعليم والتربية على أساتذة كبار، ولا معلمين فحول، إنما تلقى ذلك من العليم الخبير، وفي هذا جاء عنه ﷺ: «إنَّ اللهَ أدَّبَنِي، وَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي، ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكارِمِ الأَخْلَاقِ فقالَ: خُذِ العَفْوَ وامُرْ بِالعُرْفِ، وأَعْرِضْ عن الجَاهِلِين»[1].

ويشهد لذلك قوله عز من قائل: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨].

ويدرك الدارسُ للسيرة النبوية التلازمَ والتطابقَ الذي لا ينفصِمُ بين القول والعمل، والمبدأ والسلوك، فلا يأمر الناسَ بالبر والخير وينسَى نفسه، بل هو أول ملتزِمٍ ومطبّقٍ، ولو كانَ وحدَه.

---

(١) أخرج هذا الحديث ابن السمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء»، من حديث عبد الله بن مسعود، انظر: ص١، والعسكري في «الأمثال»، وصححه أبو الفضل بن ناصر، وضعفه غيره.

وقد أصابَ ابنُ حزمِ الأندلسي رحمه الله تعالى كبدَ الحقيقة حين قال: فإن سيرة محمّدٍ ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقاً، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى[1].

وقد اهتدى بهذه السيرة الكريمة العطرة عددٌ غيرُ قليلٍ في حياته وبعده ﷺ من العظماء، والكبراء، وآحاد الناس، وعامتهم، ومنهم ابن الجُلندَى ملك عُمان، فقد قال لعمرو بن العاص رسولِ رسولِ اللهِ: «والله لقد دلّني على هذا النبيِّ الأميّ أنّه لا يأمرُ بخير إلا كانَ أوّلَ آخذٍ به، ولا ينهى عن شرٍّ إلا كانَ أوّلَ تاركٍ له، وأنّه يَغلِبُ فلا يَبْطَرُ، ويُغْلَبُ فلا يَضْجَرُ، ويَفِي بالعَهْدِ، ويُنْجِزُ الموعودَ، وأشهدُ أنّه نبيٌّ»[2].

وأنشد أبياتاً منها:

أتانيَ عمرٌو بالّتي ليسَ بعدَها ... مِنَ الحقّ» شيءٌ والنَّصِيْحُ نَصِيْحُ

فقلتُ له: ما زدتَ أنْ جِئْتَ بالّتِي ... جُلندَى عُمَانٍ في عُمَانَ يَصِيْحُ

فيا عَمْرُو قد أَسْلَمْتُ للهِ جَهْرَةً ... يُنَادِي بها في الوادِيَيْنِ فَصِيْحُ

٣ ـ **هذه القمة الرفيعة من الإنسانية في شخص محمد عليه الصلاة والسلام،** والتي كانتْ تَدْرجُ على الأرض، وتسير في فجاجها، **عندما تقدَّم للإنسان على اختلاف زمانه ومكانه، ودينه ولغته تقديماً صحيحاً** غير مشوبة بأساطير وخرافات المحبين والمعجبين الجاهلين، وغير مشوّهة بتحليلات الجاحدين والمنكرين، بل تقدم حيَّة نابضةً يراها القارئ وكأنه يعيش أحداثها دون حُجُب التعصب، أو غشاوة العاطفة الجاهلة، لا نشك أنها **ستستهوي القلوب ويرى أي شخص فيها إنسانيته التي يحنُّ إليها**؛ لأنّ النفوسَ السليمة جُبلت على التسامي والتعلق بالمثل الأعلى ـ وإلا لما كان هناك معنى لكتب سير العظماء، وحفظ أخبار العباقرة والمصلحين وتدوينها ـ وقد كان في قدر الله تعالى أن يكون محمّدٌ ﷺ مظهرَ الكمال الإنساني، وطُلب من الناس أن يسعوا إليه، ويحاولوا التخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه وسلوكه؛ لأنّ هذه الأخلاق هي السيرة المرضيَّة عند الله، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وفي عظمة هذا الخُلُق جعله الله تبارك وتعالى الأسوة والقدوة لكل الناس

---

(١) انظر: «الملل والنحل» ٢/ ٩٠.

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض ١/ ٢٤٩، و«الإصابة» لابن حجر ١/ ٢٦٢.

كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] قال محمد بن عيسى الترمذي: الأسوة في الرسول الاقتداء به، والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول أو فعل[1].

ومعرفتنا لهذه الجوانب لهذه الشخصية الكريمة تستلزم أن ندرسَ سيرته وتاريخَه دراسة عميقة ودقيقة لنحاول تمثلها وتطبيقها.

فدراسة السيرة النبوية طريق الإنسان إلى الرقيِّ في معارج الكمال والسمو، وهي الطريق التي يرضى الله تبارك وتعالى عنها.

ومَن من البشر لا ينشد السمو والكمال؟!!

فالحياة المحمدية، والسيرة النبوية لم تعطل في الإنسان حاسة أو غريزة، بل استعملت كل واحدة في أدق ما يكون. فلقد كان رسول الله ﷺ حليماً سيد الحلماء، أحلم في النفار من كل حليم، وأسلم في الخصام من كل سليم، وقد مُني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة، ولم يخضر عليه بادرة، ولا حليم غيره إلا ذو عثرة، ولا وقور سواه إلا ذو هفوة.

لقد تناولته قريش بكل كبيرة، وقصدته بكل جريرة، وهو صبور عليهم، ومعرض عنهم.

وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم، ولا أراذلهم دون عظمائهم، بل تمالأ عليه السادة الجلَّة والدون الذلة، فكلما كانوا عليه من الأمر كان عنهم أعرض وأسمح حتى قهرهم فعفا، وقدر فغفر، وقال لهم حين ظفر عام الفتح، وقد اجتمعوا إليه: «ما ظَنُّكُمْ بِي»؟

قالوا: ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك. وإن تنتقم فقد أسأنا.

فقال: «بل أقولُ كَمَا قالَ يُوسُفَ لإخوتِه ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقال: «اللهمَّ أذقتَ أوَّلَ قريش نكالاً فأذقْ آخرَهُم نوالاً».

وأتته (هند بنت عتبة)، وقد بقرت بطنَ عمِّه (حمزة) ومثّلت به، ولاكت كبده، فصفح عنها، وبايعها، ولهذا وصفه من عايشوه بقولهم: ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط.

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض ٢/٩.

أما غريزة الغضب التي تتابل الحلم، فكانت إذا كان الأمر يتعلق بحق الله؛ فهناك لا مساومة ولا مهاودة كما يقول واصفوه من صحابته رضوان الله عليهم: أما إذا انتهكت حرمات الله فلا يقوم لغضبه شيء.

ووقف في وجه الحِّبّ بن الحِّبّ، أسامة بن زيد، عندما شفع في المرأة المخزومية التي سرقت، ووجب عليها الحدّ، قائلاً: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟ والله لو - وذكر امرأة شريفة - سرقت لقطعت يدها، إنما أهلك من كان قبلهم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه. وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

وهكذا تتقابل الغرائز البشرية فتعمل كلها ولا تموت، ولكن عملها غاية الكمال، وعلى أشرف الأحوال.

لقد منع النبيُّ ﷺ الحسن بن علي تمرة، وجدها في رحاب المسجد وهو صبي يَدْرُج، وقال له: «كخ كخ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»، وقسَّم في ذات المكان أكوام الذهب والفضة.

فهنا منع عن أقل القليل حيث لا يحل، وهناك العطاء الجزيل الذي لا يعرف الحدود والقيود.

وهكذا هو السمو الإنساني، والكمال البشري، ليس بتعطيل جانب على حساب جانب آخر، أو باجتثاث غريزة ليخلو مكانها لغريزة أخرى، وذلك تغيير لخلق الله، وقهر لفطرة الإنسان(١).

٤ - ومن خلال دراسة السيرة النبوية **نعرف تطور الدعوة الإسلامية وبدايتها منذ** نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ..﴾ [العلق: ١] إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [النحل: ٩٤] ومروراً بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] **إلى أن عمت وانتشرت، وملأت سمع الدنيا وبصرها، وختمت بقوله تبارك وتعالى:** ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨٢] ومن قبله بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] حتى وفاته ﷺ.

وفي مسيرنا مع الخط البياني للدعوة الإسلامية نلاحظ كيف كانت تنتشر

---

(١) انظر: جوانب أخرى في هذا التوازن الدقيق الشامل للغرائز البشرية، والجبلة الإنسانية عند النبي ﷺ في «الشفا» للقاضي عياض.

ضمن إمكانيات البشر وفي حدود قدرتهم، وليس بالمعجزات والطلاسم والمغيّبات، فالنبيُّ ﷺ لم يكن جالساً والدعوة في انتشار، بل كان يأخذ للأمر عدَّته، ويعيش الدعوة الإسلامية بشراً، وليس مَلَاكاً، ففي اليوم الأول خاف أن يواجه الناس بغير ما يعهدونه، واتّهم نفسه ورأيه، ويتجلى ذلك في قوله للسيدة الفاضلة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «لقد خشيت على نفسي»[1].

ثم سلك طريق السرية، ثم جهر بدعوته فلحقه الأذى والسوء، ثم كانت له جولات مع خصومه في بعضها ففاز وانتصر، وفي بعضها نالوا منه عليه الصلاة والسلام، وكان في كل ذلك يكافح في سبيل المبدأ كأي صاحب مبدأ.

٥ ـ كما نتعرف من خلال تاريخ الدعوة الإسلامية على **موقف صاحبها عليه الصلاة والسلام من الأحداث والقضايا التي كانت تواجهه**، ولا زالت وستبقى تواجهنا، فقد واجهه مثلاً حصار وتشريد ونفي، وواجهته ضغوط نفسية واجتماعية، وحروب ومعارك، وواجهته مؤامرات وخيانات، ومساومات سياسية، وعقد مصالحات، واجهته مشكلة بناء أمة ومجتمع على أسس متينة في بلاد لم تعرف التنظيمات والدولة الواحدة، منذ زمن سحيق، وهذا كله يتطلب تحديد المواقف صريحةً وإظهار السياسة واضحة.

ودراسة السيرة تحدد لنا موقف النبي ﷺ من كل هذه الأمور لنطمئنَّ إلى الحكمة والعدل والاستقامة والدقة في كل أحواله.

٦ ـ كما أن دراسة السيرة النبوية **تحدد لنا الإطار العام للآيات القرآنية الكريمة، ومواضع نزولها، ومواقع دلالتها**؛ لأن هذه السيرة متأثرة تأثراً مباشراً بآيات القرآن الكريم، وتعمل على هديها وإرشاداتها، وما هي إلا تطبيق للقرآن الكريم، وأحياناً تأتي الآيات القرآنية لتقوِّم هذه السيرة وتوجهها التوجيه الصحيح، فكثير من الآيات القرآنية يصعب علينا فهمها إن لم نعرف ظروف وملابسات نزولها، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ...﴾ [الأنفال: ٦٧].

إننا لا نستطيع فهم هذه الآية بدقة حتَّى نعرف ظروف نزولها عقب غزوة بدر الكبرى وقصة الأسرى، والجدال الذي نشب بشأنهم بين الصحابة عندما استشارهم الرسول ﷺ.

(١) انظره في: «صحيح البخاري» الحديث رقم (٣) كتاب بدء الوحي.

٧ - ومن خلال السيرة النبوية **نستعين على تحديد الآيات الناسخة والمنسوخة**، وهذه ناحية هامة جداً يترتب عليها كثير من الأحكام الشرعية الدنيوية والأخروية.

٨ - وكذلك تفيدنا دراسة السيرة **تحديد تاريخ أقوال النبي ﷺ، ومواقع دلالتها أو ما سماه علماء الحديث والمصطلح «بيان أسباب ورود الحديث الشريف»** وهذا الأمر يحل لنا مشكل كثير من الأحاديث التي يبدو عليها التعارض والتناقض وهي في واقع الأمر غير ذلك، لأن كل حديث ورد في موطن خاص، ويفيد معنًى وتوجيهاً غير الآخر الذي يبدو أنه معارض له.

٩ - وتفيدنا معرفة الناسخ والمنسوخ في الحديث الشريف مما يتوقف عليه كثير من الأحكام الشرعية.

❀ ❀ ❀

أجل، إن السيرة النبوية منهج حياة المسلم، ومعين رائق لفهم الشرعة الإسلامية، وصورة صحيحة لأعظم منهج شهدته الأرض، إنها تاريخ لأفضل رسل الله وأفضل البشر أجمعين.

ولقد أصبحت دراسة تاريخ المذاهب والحركات الفكرية وأصحابها مادة تدرس في معاهد العلم وكلياته على اختلاف نزعاتها، فما أوجبه على المسلم أن يتعمق في فهم سيرة صاحب أعظم مبدأ، ويعرف مبدأه!! إن ذلك وغيره من الخير الواسع العميم مطويّ في سيرة: **محمد رسول الله ﷺ**.

بل إنه يجب أن نقدِّم تلك السيرة التي هي لنا سراج وهاج في جميع شؤون الحياة، فالسيرةُ المحمديةُ مرآةٌ صافيةٌ للدنيا كلها، يرى فيها كلُّ إنسانٍ صورتَه وروحَه، ظاهرَه وباطنَه، قولَه وعملَه، خلقَه وأدبَه، هديَه وسنتَه، وفي استطاعته أن يصلِحَ أخلاقَه، ويثقف عوجَه بحسب ما يراه في تلك المرآة الصافية[1].

---

(١) انظر: «الرسالة المحمدية» ص١٠٧.

مصادر السيرة النبوية

لقد كُتب في السيرة النبوية منذ الصدر الأول حتَّى أيامنا هذا ما يعزّ على الحصر من المؤلفات والكتب بين صغير وكبير، ومنظوم ومنثور، ومثونٍ وشروح، وسيبقى الكاتبون يدورون حول سيرة المصطفى ﷺ ويكتبونها في كل عصر بلغته، وفي كلّ مصرٍ بمفهومه إلى أن تقوم الساعة، وهذا دليل على عناية الله تبارك وتعالى بمحمدٍ ﷺ محياً ومماتاً تحقيقاً لقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الانشراح: ٤].

والجدير بالذكر هنا أنّ الكتابة في السيرة النبوية الشريفة لا تقتصر على المسلمين وحدهم، بل شارك وساهم فيها غيرُ المسلمين قديماً وحديثاً، وفي شتى بقاع العالم، يقول العلامة السيد سليمان الندوي: قرأت في «مجلة المقتبس» التي كانت تصدر في دمشق قبل نحو أربعين سنة إحصاءً لما صُنِّف في السيرة النبوية بمختلف اللغات الأوربية فبلغ نحو ثلاثمئة كتاب وألف كتاب، ولو أضفنا إلى هذا العدد ما صدر من المطابع الأوربية في السيرة النبوية خلال الأربعين سنة بعد ذلك الإحصاء الذي نشرته «مجلة المقتبس»، لأربى على ذلك كثيراً[1]. ونحن لو أضفنا ما صدر بعد ذلك لزاد العدد كثيراً كثيراً.

وعلى أية حال فكل من يكتب في السيرة لا بد أن يرجع إلى السابقين الأوائل، لأن كتابة السيرة والتاريخ عموماً ليست من صنع الخيال، وابتداع الذكاء، بل هو البحث عن حقائق مرّت على هذا العالم في فترة من الفترات، وعن أحداث كانت ماثلة في مكان ما، وعن حياة عاشها فرد أو مجتمع بكل ما في هذه الحياة من أبعاد.

وقد قال الطبري ـ الإمام في التاريخ وغيره ـ في مقدمة تاريخه: «إنّ العلم بما كان من أخبار الماضي، وبما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى مَنْ لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المُخبرين ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس».

---

(١) انظر: «الرسالة المحمدية» ص٩٧.

وبعد الوصول إلى تحديد الأحداث والأشياء التاريخية تكون مرحلة الاستنباط والتحليل والتعليل، ويقوم آنئذ الذكاءُ بدوره، والنزعات الشخصية والأهواء هي التي تحدد النتائج في كثير من الأحيان.

وهكذا فإن كتب السيرة التي نقل منها اللاحقون تنحصر في عدد معين محدد، ولهذا كان لزاماً علينا تحت مقتضيات المنهج العلمي أن نقسِّم مصادر السيرة النبوية إلى قسمين رئيسين.

أ ـ **مصادر أصلية**، وهي الكتب الأولى، وما قاربها، وكان أصحابها ينقلون من المصادر الشفهية المتعددة، ويدوِّنون ذلك، أو يتلقون من مصنفات متعددة، تنقل بالأسانيد، ويوجد في كل كتاب ما ليس في الآخر تبعاً لكثرة شيوخه وتعدد مدوناته ومصادره.

وتمتد هذه الفترة حتى القرن الخامس الهجري أو بُعيده بقليل.

ب ـ **ومصادر فرعية**، وهي التي أُخذت من المصادر الأولى، وعوّلت عليها واقتصر عمل مؤلفيها على الجمع والتنسيق، والتعليق والشرح، وبيان الغامض. . . . وما إلى ذلك، وإن كان الغالب على هذه المصادر واحداً من شيئين:

إما **المبالغات الزائدة وتصوير السيرة بالصورة الأسطورية** إن كان المؤلف مؤمناً محبّاً لمحمد ﷺ، حتّى بدت السيرة النبوية من خلال هذه المؤلفات بعيدةً عن الواقع جداً، ويتجلى هذا في الأعصر المتأخرة، ورحم الله الإمام شمس الدين الذهبي الذي قال في هؤلاء: «ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غنيٌ بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبارّ عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات فلماذا يا قوم التشبع بالموضوعات؟! فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد، ولكن من لا يعلم معذور»[1].

وإما **تحليلها تحليلات جافة وإظهار بعض المواقف في السيرة النبوية بغير حقيقتها** إن كان المؤلف غير مسلم أو كان مسلماً، ولكنه أدخل السيرة لخدمة نزعته السياسية التي لا تتفق والإسلام، كما فعل المستشرقون عندما تكلموا عن حياة النبي ﷺ العائلية وزوجاته، وأمثال ذلك، وكما فعل بعض المسلمين عندما

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢٠/٢١٦.

جعل النبي اشتراكياً[1]. وبعضهم رأسمالياً، وبعضهم بانياً للمجد القومي العربي... إلخ، وهؤلاء وجدوا في هذا القرن.

لذلك فإن عملية تحديد المصادر الأصلية للسيرة النبوية أهم عمل أمام الدارس للسيرة النبوية خصوصاً وللإسلام عموماً، وتقويم هذه المصادر يعطيه العدة الكافية لتناول السيرة المحمدية نقيَّة من الشوائب، ويطَّلع على حقيقتها وأبعادها، ثم يستطيع أن يرد على الذين يزيفون الحقائق، ويشوهون تاريخ النبي ﷺ، مهما كانت صبغتهم ولغتهم.

وإن تقديم صورة كاملة شاملة صحيحة لسيرة النبي ﷺ، ولصحابته الكرام واجب إسلامي في أعناق المسلمين عامة والباحثين منهم خاصة، لا سيما في هذه الفترة بالذات، التي بدأ الناس فيها يتلهفون إلى معرفة شخصية النبي صلوات الله وسلامه عليه ومعرفة الإسلام في عالم الكَبَد والعنت والإرهاق، وما زال الكثير من غير المسلمين يحملون صورة قاتمة سيئة عن نبي الإسلام ﷺ ولشريعته السمحاء.

وهذا لا يعني أن المسلم يكتم عاطفته ومحبته لرسول الله ﷺ وصحبه الكرام ودينه القويم، فإن هذا أمر لا بدّ منه، ويتوجب عليه إظهار محبته وإخلاصه، ولكنَّ تمحيص النصوص عمل علمي أساسي ينبعث من العقل، والعاطفة تنبعث من القلب والمشاعر، فإذا كانت مبنية على العقل، والعلم الثابت الصحيح، فإنها لن تزداد مع الأيام إلا توهجاً وإشراقاً، وهي غاية في حد ذاتها، وأما إن كانت مبنية على أوهام وتخيلات أو نصوص ضعيفة متهالكة، فإنها لن تصمد، وستذبل مع الأيام كلما كشف العلم ضعفها ووهنها، وللأستاذ العلامة الشيخ سعيد حوّى رحمه الله كلمة قيمة في هذا الباب يقول فيها:

«ومن الفرائض التي تُفْتَرَضُ على المسلم حُبُّ رسول الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتّى أكونَ أحبَّ إليه مِنْ والدِه وولدِه، والنّاسِ أجمعين».

ومن الفرائض على المسلم أن يحب في الله ويكره في الله، وأن تكون عواطفُه مع المسلمين، وأن يحبَّ ما أحبَّ الله ورسوله، وأن يكرَه ما يكرَهُ اللهُ ورسولُه، وأن يعظّم شعائر الله، ومن ثمّ فإن الإسلام بالنسبة للمسلم لا يكوِّن عقلَه فقط، بل يكوِّن عواطفَه كذلك.

---

(١) انظر مثالاً لهذا السخف في: كتاب يدعى «اليمين واليسار في الإسلام» و«على هامش السيرة» لطه حسين وأمثالها من الكتب المعاصرة.

وعلى هذا فالمسلم في أي قضية من القضايا له موقف قلبي وجداني، كما أن له موقفاً عقلياً، فهو يكره الشرك والمشركين، والكفر والكافرين، والنفاق والمنافقين، كراهة عقلية، وكراهة وجدانية، وهو ذو موقف عملي وعقلي ووجداني من أي قضية من قضايا الصراع بين الكفر والإيمان.

وبناء على هذا فالمسلم بالنسبة لسيرة رسول الله ﷺ ليس موقفه عقلياً فقط بل هو موقف وجداني كذلك. . . .

ترى لو أنّ إنساناً كانت عواطفه مع المشركين يوم بدر، هل يمكن أن يكون مسلماً؟ حتماً لا؛ إذن فالجانب العاطفي والوجداني من أحداث السيرة هو جزء من أجزاء الإيمان، ولازم من لوازمه، ومن ثمَّ فإن أي مسلم في العالم لا ينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ نظرته إلى بقية السير، ولا يتكلم عنها بلغة منفصلة عن لغة الحب، حتى وهو يعرض هذه السيرة عرضاً إخبارياً محضاً، فإن الجانب الآخر موجود ضمناً»[١].

❁ ❁ ❁

ولقد كان من أهداف المدرسة الاستشراقية في العصر الحديث جعل العربي المسلم حين يكتب عن تاريخ الإسلام عامة والسيرة النبوية خاصة ينسى نفسه أنه مسلم، وأنه يتلقى التشريع والوحي ومنهج الحياة عن هذا النبي الكريم ﷺ، وقد أفلحت هذه المدرسة في هذا السبيل إلى حد كبير، حتى رأينا بعض من يحمل الأسماء الإسلامية، وربما أظهر الصلاة والصوم، يضع رسول الله ﷺ في كتاباته ومحاضراته على قدم المساواة مع يوغورته، والكاهنة، أو امرئ القيس، أو المقنع صاحب ثورة الزنج، وغيرهم ممن حارب الإسلام عبر العصور، ويدّعي ذلك باسم العلم؛ لأنه رُسِّخَ في ذهنه وخلده ومشاعره هذه الأفكار السامة القاتلة من المدرسة الغربية.

يقوله الدكتور محمد محمد حسين[٢]: ومن أكبر ما خُدِعَ به الناس - والجامعيون منهم بوجه خاص - ما زعمه لهم بعض المستشرقين من أن الدراسات العربية والإسلامية لا تصحُّ، ولا تكونُ جديرةً بالتقدير، ومستقيمةً على موازين العلم حتى يتجرّدَ كاتبُها من عاطفته الدينية والوطنية، فينسى أنّه عربي حين

---

(١) انظر: «السيرة بلغة الحب والشعر» ص٢٤.

(٢) انظر: «الإسلام والحضارة الغربية» .

يكتب تاريخَ العرب: ينسى أنه مسلمٌ حين يكتب تاريخَ المسلمين، وليس فيما راجَ بين الناس من مفتريات مغلَّظةٍ أقبحُ ولا أخطرُ من هذا الزعم الذي يسلخُ العرب من عروبتهم والمسلمين من إسلامهم باسم العلم.

فالتاريخ القومي، والآداب لا تدرس دراسة موضوعية، ولكنها تستخدم لغرضٍ وغاية، فتوجه لتنمية ثقة الناس بأنفسهم، واعتدادهم بتراثهم وأبطالهم، وزيادةِ روابطهم الوطنية تماسكاً.

وقد كانت هذه الكتابات دائماً - ولا تزال - مصبوغةً بصبغةٍ قوميةٍ ومذهبيةٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، والدليل القاطع على ذلك هو أنَّ كلَّ نظام جديد في أي دولة من الدول يعيدُ كتابةَ التاريخ لهذه الدولة بما يناسبُ مذهبه وأهدافه.

وإنِّي أؤكدُ أنَّ تدوين السيرة النبوية والتأليف فيها يجب أن يرجع فيه إلى مصادرها الأولى، ولكل واحد الحق أن يحللها بالطريقة التي تهمه، تحليلاً أدبياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو غير ذلك، ولا بد أن يكون هذا التحليل مستنداً إلى السيرة الصحيحة الكاملة، وليس إلى الأساطير والخرافات التي أضافها المتأخرون أو اخترعها أعداء الإسلام، وفي كل عصر له أعداء، وهذه المصادر الأولى هي التي سنتناولها بالحديث، ولن نقف عند المصادر الفرعية إلا قليلاً، لنستعرض فيها بعض الكتب التي ألفها علماء أعلام، ورضي عنها جمهور المسلمين، وتركت أثراً نافعاً من وقت تصنيفها حتى أيامنا هذه إن شاء الله تعالى، كما أني قد تركت من المصادر الأولى ما لم يتضح لي بجلاء أنه من المؤلفات في السيرة النبوية حسب ما رتبناه، أو كان مؤلفه من أهل الزيغ والفساد.

الباب الأول

المصادر الأصلية

يمكننا تقسيم هذه المصادر

إلى ثمانية أنواع نوردها مرتبة حسب أهميتها:

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ كتب الحديث

٣ ـ كتب الشمائل

٤ ـ كتب الدلائل

٥ ـ كتب المغازي والسير

٦ ـ كتب ألفت في تاريخ الحرمين الشريفين: مكة الكريمة، والمدينة المنورة

٧ ـ كتب التاريخ العام

٨ ـ كتب الأدب واللغة

١

القرآن الكريم

هو أول المصادر التي يجب على الباحث أن يرجع إليه في معرفة حياة المصطفى ﷺ وسيرته، فقد جاء في ثنايا القرآن الكريم كثير من الآيات التي عرضت لحياته ﷺ قبل البعثة وبعدها، من ولادته ونشأته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى.

* ومن ذلك **حديثه عن يتمه وفقره في سورة الضحى**: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

* وحديثه عن **الوحي وتلقي**، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ...﴾ [القيامة: ١٦ ـ إلى نهاية الآيات].

* وحديثه عن **عداوة الأعداء، وخصومة الكافرين له، واتهاماته بشتى أنواع المعايب**: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦].

واقرأ قوله تعالى في سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ

ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

* وحديثه عن **خروجه من مكة مستخفياً مع صاحبه أبي بكر**: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

* وفي القرآن لوحات كاملة كذلك عن **موقف المنافقين والنفاق في المدينة** من الدعوة الإسلامية وهي في اطّراد وانتشار، تجد ذلك منثوراً في السور المدنية ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأٓتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

* وفي القرآن الكريم: الكثير من الحديث عن **الغزوات النبوية ومقدماتها ونتائجها وآثارها**، كما في حديثه عن **غزوة بدر**، انظر: سورة آل عمران: الآية ١٢٣ وما بعدها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ واقرأ تفصيل نتائجها في سورة الأنفال بكاملها.

وكما في حديثه عن **غزوة تبوك** في سورة التوبة وغيرها، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

وغزوة الأحزاب التي سميت سورة الأحزاب باسمها، وغيرها مذكراً بأن عدداً من الغزوات النبوية قد وردت بأسمائها في القرآن الكريم، وحظيت بعناية ربانية كبيرة، ولهذا فقد شملت حيزاً كبيراً من النص القرآني: بدر، أُحد، حنين، الأحزاب، الحشر[1]، وبني النضير، الفتح والحديبية. . . .

وهذا تلقين مستمر يعيش تحت وطأته المسلمون لكيلا ينسوا أنَّ المعركة بين الإيمان والكفر دائمة بدوام الحياة الدنيا، فلا غفلة ولا ركون، ولا مهادنة للكفر ولا مساومة على الإيمان، فمن صدى هذه الغزوات، وعبق أريجها، وعظيم دروسها يتعلّمون مواجهة كل الأحداث التي تداهمهم وتعترض سبيلهم. . .

* أما عن **تحديد علاقة المعايشة بين النبي ﷺ واليهود، ومجادلة النصارى له**

---

(١) سورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر نزلت في بني النضير.

فالآيات كثيرة جداً في هذا، ومنها كتب الكاتبين وعلق المعلقون في بيان غدر اليهود، ونفسيتهم اللئيمة المادية، فلا أعتقد أنهم يصلون إلى عشر معشار ما حدثنا عنه القرآن الكريم، اقرأ مثلاً سورة الحشر لتحدثك عن بني النضير، وهم أصحاب عهد مع النبي ﷺ وفي غيرها من السور والآيات التي تحكي أدوار الصراع الإسلامي اليهودي، لتحدد تلك الفترة أساس مسيرة هذا الصراع مع التاريخ.

* أما عن **أحكام النبي ﷺ وقضائه وقضاياه** فكثيرة في القرآن الكريم، مبثوثة في السور والآيات، من ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ...﴾ إلخ، [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٩].

فهي في سياقها ومدلولها تقرر قضية وقعت، وتصحح للنبي ﷺ حكمه وقضاءه وتصرّفه، هذه القضية أخرجها أبو عيسى الترمذي في «جامعه» من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جده قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أُبيرق: بشرٌ، وبشيرٌ، ومبشّر، وكان بشير رجلاً منافقاً، يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله بعض العرب، ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث، أو كما قال الرجل، وقالوا: ابن الأبيرق قالها. قال: وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان ذا يسارٍ فقدمت ضافطةٌ ـ من يجلب الطعام أو القافلة ـ من الشام من الدّرمك ـ الدقيق الحواري ـ ابتاع الرَّجل منها فخصَّ بها نفسه، وأما العيال فإنَّما طعامهم التَّمر والشعير، فقدمت ضافطةٌ من الشام، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حِملاً من الدَّرمك، فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعُدي عليه من تحت البيت، فنقبت المشربة، وأُخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي! قد عُدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا، وذُهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني

أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنوا أبيرق قالوا، ونحن نسأل في الدار: ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح وإسلام، فلمَّا سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟! فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبيننَّ هذه السرقة، وقالوا: إليك عنها أيها الرجل، فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتَّى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي! لو أتيتَ رسولَ اللهِ ﷺ فذكرتَ ذلك له، قال قتادة: فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: إنّ أهل بيتٍ منا أهل جفاءٍ، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربتَه وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال النبي ﷺ: «سآمر في ذلك»، فلمّا سع بنو أُبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له: أُسير بن عروة، فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله! إنّ قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهلِ بيت منا أهلَ إسلام وصلاحٍ يرمونهم بالسرقة من غير بيِّنة ولا ثبت، قال قتادة: فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فكلمتُه فقال: «عمدتَ إلى أهل بيت ذُكرَ منهم إسلامٌ وصلاحٌ ترميهم بالسرقةِ على غيرِ ثبتٍ وبيِّنةٍ» قال: فرجعت ولوددتُ أنِّي خرجتُ من بعضِ مالي، ولم أكلِّمْ رسولَ اللهِ ﷺ في ذلك، فأتاني عمّي رُفاعة فقال: يا ابن أخي! ما صنعتَ؟ فأخبرتُه بما قال لي رسولُ اللهِ ﷺ فقال: اللهُ المستعانُ، فلم يلبثْ أنْ نزلَ القرآنُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥]...»(١).

وفي رواية أنهم اتهموا بالسرقة (زيد بن السمين) رجلاً يهودياً، كان قد عمد بشير بن أُبيرق وألقى الدرعَ في دارِه، وقال: لقد سرقها فلان اليهودي، وعمد أصحابه إلى النبي ﷺ ليبرؤوه على رؤوس الأشهاد فهمَّ بذلك أو فعل، ولكن الله تبارك وتعالى أنزل عليه الآياتِ وصحّحَ له الحكمَ، ووضّحَ له طريقَ الحكم والإفتاء والقضاء!!

* كما حدّثنا القرآن الكريم عن **حياة النبي ﷺ العائلية والخاصة** في العديد من المواطن، وكيف كان يعيش التقشف والزهد مع إقبال الدنيا عليه ﷺ، حتَّى إنَّ

---

(١) انظر: «تحفة الأحوذي» ٤/ ٩٣، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٨٧، و«في ظلال القرآن» ٢/ ٥١٠. كما أخرجه ابن أبي حاتم، وابن المنذر في «تفسيريهما»، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢١٦، والترمذي في سننه برقم (٢٩٦٢) في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله. وقال: هذا حديث غريب.

زوجاته طالبنه بمزيد من النفقة. وخرجن إليه في جمهرة وكن يومئذ تسع نسوة، فنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ...﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩] وما بعدها.

* وإن القرآن الكريم قد تفرد بشيء مهم في السيرة النبوية دون المصادر كلها إلا وهو **تبيان حالة النبي ﷺ النفسية، وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن**، ولولا القرآن الكريم لما كدنا نعرف شيئاً عن ذلك، وهذا أمر مهم جداً، نوازن بينه وبين مجموع سيرته الظاهرة، لنتأكد من صدقه ونزاهته، وليتم الربط الصحيح بين تصرفه الظاهر وممارسته للحياة والدعوة، وبين طويته وسريرته الباطنية. بصيرةً، وعبرةً وأسوة.

لقد حدثنا القرآن الكريم: عن حديثه مع نفسه وهو يفاجأ بتنزل القرآن إليه دون تشوّف، ولا معرفة بذلك، ويتساءل التساؤل الباطني هل هذا حق وصدق؟ كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤]، فقال ﷺ: «لا أشُكُّ ولا أسألُ»(١).

كما يصور القرآن الكريم **حسرته الباطنية وتأثره البالغ وحرقته على قومه** لعدم دخولهم في دعوته، وهم يتساقطون في طريق جهنم واحداً إثر آخر، فقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦] وقال تبارك وتعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣]. وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨] وغيرها من الآيات.

وأما عن مواقف خطيرة وخاصة في حياة الرسول فقد بيَّن لنا القرآن الكريم **واقعه النفسي، وأقد أُمر أن يتزوج زينب بنت جحش، وقد كانت زوجة متبناه زيد بن حارثة**، إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في «المختارة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وغيرهم، عن ابن عباس. كما أخرجه ابن جرير، وعبد الرزاق، عن قتادة بلاغاً عن غيرهم. انظر: «الدر المنثور» ٣/٣١٧.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فقد خشي النبي ﷺ أن يتكلّم فيه المتكلمون، وكيف يواجه هذا الأمرَ الذي دَرَج العرب على عدم الإقدام عليه منذ عصور في تزوج زوجةِ متبناه؟!!

إن الأمر جدُّ خطير، لا سيما وهو الأسوة والقدوة التي يحاول الطعنَ فيها المرجفون والمنافقون، لذلك اهتمّ له النبي ﷺ كثيراً، وشغل نفسه شغلاً كبيراً، فنزل قوله تبارك وتعالى هذا لحسم المشكلة ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية[1].

اقرأ معي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٤ ـ ٣٥] تظهر لك من خلال هذا المقطع القرآني حالة النبي ﷺ النفسية، وقلقه المتزايد نتيجة إعراض قومه ومكابرتهم، وتنكبهم طريق الهدى.

* وكذلك ما ورد من حديث القرآن **ما كان يعتلج في نفوس أصحابه ويدور في أذهانهم وتفكيرهم**، من ذلك قوله تبارك وتعالى وهو يحدثنا عن نتائج معركة أحد ذلك الدرس البليغ الذي لم ينسه الصحابة طول حياتهم، لأنه ترك فيهم جراحاً وآلاماً مستمرة، كما ترك فيهم حسرات الفراق، وزفرات الحزن والأسى على أحبتهم الذين استشهدوا في أُحد، يقول عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وهذا أمر لم يكن ليعلمه أحد إلا بارئ النفوس، ولولا حديثه بذلك لما علمناه، ولهذا كان ابن مسعود يقول: ما شعرتُ أنَّ أحداً من أصحابِ النبيّ ﷺ يريدُ الدنيا حتى كان يومُ أحدٍ ونزل فينا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ....﴾ الآية.

---

(١) أخرجه من حديث السيدة عائشة مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح. انظر: ٤/ ١٦٥، وابن جرير الطبري في «تفسيره» وآخرون، وقد جاء ذلك عن سيدنا أنس، أخرجه البخاري في «صحيحه» وآخرون.

ومن ذلك قوله تعالى فيهم: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقد كانوا يتمنون أن يخفف عنهم من فترة الامتناع عن المفطرات ونواقض الصوم.

* وكذلك ما كان من **حديث المشركين والمنافقين فيما بينهم وبين ضمائرهم وسرائرهم أو جلساتهم التآمرية السرية الخاصة**، ولولا القرآن لما علمنا عنها شيئاً كقوله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ﴾ [المجادلة: ٨].

وكقوله: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١ ـ ٥٢].

وآيات كثيرة جداً في هذا المنحى تكشف عمّا تكنّه الخبايا وتخفيه الصدور.

* وهناك أمور أخرى تدخل في نطاق السيرة قد ذكرها القرآن الكريم، من ذلك **حديثه عن العرب قبل بزوغ شمس الإسلام**، وفي جميع مناحيهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والكفرية.

كما حدثنا عن الحضارات البائدة في الجزيرة العربية وغيرها، وعن الحضارات التي كانت قائمة آنئذٍ مما يعطينا فكرة صحيحة عن المجتمع الإنساني قبل ظهور الإسلام.

❁ ❁ ❁

وبشكل عام ففي القرآن الكريم هيكلُ السيرةِ كاملاً وأساسياتها، وعدد غير قليل من التفصيلات والأحداث الجزئية، وإن كانت خِلْواً من الأرقام والأعلام.

ولقد لاحظنا أنّ الكتابة في السيرة النبوية يضمر فيها الحديث ويقل عن الفترة الملكية، وكانت مدتها أطول من الفترة المدنية، وكثير من المعاصرين عندما يكتب عن العهد المكي ينصرف إلى إنشاء وتحليل واستطرادات وتطويل، ووجدت أن هذه الفترة من السيرة النبوية ماثلة في القرآن الكريم مخلّدة في الآيات البينات، المكية النزول، أكثر منها في كتب السيرة، وقد خلّد القرآن الكريم هذه الفترة في وقائعها وجوانبها المتعددة.

فمنها ما كان **للحديث عن شخص النبي ﷺ، ومنها ما كان عن قومه المكيين.**

ومنها ما كان عن أصحابه القلة المؤمنين في صبرهم وتحملهم وما يلاقونه، ومنها ما كان **للحوار والجدال الذي كان يدور بين النبي ﷺ وصحبه مع قومه،** ومع أهل الكتاب.

ومنها ما كان للحديث عن **أساليب الحرب التي يلاقيها المؤمنون بما فيها من تهديد وإشاعة،** واتهامات وأذيات...

وهذا وغيره كله مبثوث في القرآن المكي الذي كان يؤرخ مسيرة الإسلام في مكة يوماً بيوم، وسأقدم بضع لمحات وإشارات لهذه السيرة التي يمكن أن تضم إلى بعضها في صيغة مواضيع معينة. ويستخرج منها معانيها ومفاهيمها ـ وهي المقصودة من تخليدها في القرآن الكريم ـ لتسير مع المسلمين عبر العصور والأزمان، والأقطار والأوطان.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: ٢ ـ ١٠].

وفي هذه الآيات الكريمة **طرف من سيرة النبي ﷺ في مكة وهو يتهم بالسحر، والشعر، والأحلام الكاذبة،** ويتعرض للمؤامرات السرية ـ وأسروا النجوى ـ والتحدي العلني بأن يأتيهم بآيات وخوارق..

* وأوضح هذه الآيات وبيَّنها آيات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٤].

* ومن ذلك **خوفهم على المعايش والمناصب وتوالي الغارات عليهم،** وتكاثر

الأعداء إن دخلوا في هذا الدين وأسلموا له، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٧ ـ ٥٨].

وبطر المعيشة: سوء احتمال النعمة الواردة، وقلة القيام بحقها من الشكر، وصرفها إلى غير وجهها.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت: ٦٧].

* ومن ذلك بيان حال هذا النبي **صلوات الله وسلامه عليه في أنه أمي لم يدرس الكتب، ولم يتعاطَ التعليم قبل أن يوحى إليه**، وإنَّ أعظمَ آية تدل على صدقه هذا الكتاب الذي تحداهم وكشف عن أخبارهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨ ـ ٥١].

* ومنها **الاستهزاء بالنبي ﷺ وصحبه بأشكال وألوان شتى تبقى عبرة وتسلية للآتين إلى يوم الدين**. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦] وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ..﴾ [الفرقان: ٤١ ـ ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿... إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣].

* أما عن جدالهم، وشبههم، ومكرهم، ومؤامراتهم فكثير. ممن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا

﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [النمل: ٦٧ ـ ٧٠].

وراوده العلية المترفون من القوم على طرد الفقراء والمستضعفين، والموالي الذين آمنوا به والتفوا حوله، حتى يجلسوا إليه، ويستمعوا إليه أو يدخلوا معه في الدين. فجاءه التعليم الإلهي، والحكم الرباني خالداً إلى يوم يبعثون: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ..﴾ [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٣] وما بعدها.

* أما الحديث عن أفراد مخصوصين بأعيانهم لهم مواقف تتكرر من أمثالهم مع امتداد الزمن من العتاة والمجرمين. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم: ٧٧ ـ ٧٩].

وآخر مثله من العتاة الذين يذكرون في تاريخ النبوة ودعوة الإسلام بموقفهم العنيد، وكفرهم الشديد ممن ذكرهم القرآن الكريم في قوله عز من قائل: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٦].

وموقف آخر لجحود كفور آخر جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

❁ ❁ ❁

ولو رحت أسرد نماذج من السيرة النبوية في عهدها المكي في القرآن الكريم لطال بي الحديث إذ كانت هذه السيرة سيرةَ الصبرِ والتحمّلِ، والمثابرةِ والثقةِ بالله، والتربيةِ التي يهديها القرآن ويرعاها النبيُّ ﷺ وطالت مدتها واتسعت دروسها. وما ذلك إلا لحاجة الأمة الإسلامية إليها في كل زمان ومكان جماعات وفرادى..

* وأما **حوار النبي ﷺ مع أهل الكتاب**، ومجادلتهم يهودهم ونصاراهم في مكة، وتواطؤهم ومؤمراتهم، واتصالاتهم وتحريفهم، وإغراءاتهم لكل من يحارب

الإسلام في مكه، ثم في المدينه، فذلك كثير كثير. حري بأن يجمع أولاً فأول ثم يستلهم في مسيرة هذه الأمة المهيضة، لأنه منهج الحياة لها في العلاقة بيننا وبينهم..

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ..﴾ [الأعراف: ١٦٣] وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ...﴾ [المائدة: ٤١] وما بعدها.

إن الدارس للسيرة النبوية وهو يربط هذه الآيات بما صحَّ من نصوص السنة والسيرة في تأكيد مضمونها، وبيان سبب نزولها، وما يتعلق بها.

وذكر أشخاصها وأحداثها وأماكنها، يجعل هذه السيرة حيةً نابضةً كأنها تمر أمام القارئ واقعةَ الساعة، بل ويجعل القارئ والسامع والدارس يعيشها ويتفاعل معها، ويتخذ موقفاً كأنه واقف في ذلك المجتمع الذي يعجُّ ويموجُ بأهله، يطوي بذلك القرون، ويتجاوز حدود الزمن.

وهكذا أراد القرآن أن تكون سيرة محمد ﷺ وحياته نبراساً مضيئاً مدى الأجيال، وهذا من أنبلِ أهدافِ كتابة السيرة النبوية وأعلى غاياتها، بل ويجعل لهذا النوع من التآليف الدوامَ والاستمرارَ والتأثيرَ المتلاحق مع تجدد الحياة.

❊ ❊ ❊

أما مَدى اعتماد الباحث على هذا المصدر ـ أي القرآن الكريم ـ فيجب أن يقدَّمَ على كل ما عداه، وفي حالة تعارضه مع أي مصدر آخر يرفَضُ مخالِفُه، ويؤخذ به لأنه مصدر لا يتطرق إليه أدنَى شك، ولا يناقش في وصوله إلينا بأدق الطرق العلمية إلا معانِدٌ أو مكابِرٌ ينكر الشمس في رابعة النهار.

فلو جاءنا ـ مثلاً ـ باحث وقال: إنَّ محمداً لم يكن يتيماً، بل ورث هذه الدعوى عن آبائه وأجداده، أو قال: إن محمداً خرج مهاجراً متخذاً ذلك تكتيكاً عسكرياً يرضاه، ولم يكن مضطراً، لقلنا: يجب على العقلاء أن يأخذوا هذا الذي يدعي البحث العلمي إلى مستشفًى للأمراض العقلية، لأن هذه الأمور ثابتة بنص قطعي لا يجادل فيها عاقلان: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ

﴿... أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ١٣﴾ [محمد: ١٣] وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ..﴾ [الحشر: ٨].

وإنه لمن الجهل والغباء أن يكتب باحث أو مؤلف ويقول: إن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت تخطيطاً سياسياً، أو حنكة إدارية دبرها محمد بإرادته، أو ما شاكل هذا من المعاني والأفكار، والقرآن الكريم يقرر أن الهجرة كانت تحت ضغط أهل مكة وإجبارهم، وأن الصحابة كانوا يُكرهون على ذلك إكراهاً كما هو واضح في الآيات...

وهذا الذي نشير إليه قد كتبه وزوّقه جهلة ظنوا أنه علم ومعرفة، وأنهم باحثون.

ولهذه فعدم معرفة النصوص القرآنية في هذا الباب تؤدي إلى نتائج بعيدة وخطيرة، وهي على أية حال لا تقبل عند التمحيص والتدقيق، ولكن قد يخدع بها بعض الأغرار، وقليلو المعرفة.

وقد تنبَّه أحد الباحثين المعاصرين وهو الأستاذ محمد عزة دروزة(١) لأهمية القرآن الكريم في استخلاص سيرة صحيحة منه فكتب في ذلك واستخلص هذه السيرة وسماها (سيرة الرسول) طبعت في مجلدين، وقد جعل كتابه هذا مؤلفاً من موضوعات مستقلة، ولكنها تدور في إطار السيرة النبوية. مخالفاً بذلك الكتب المألوفة في السيرة، مشيراً إلى أمر نوافقه عليه ألا وهو أنَّ كتب السيرة القديمة كانت تستشهد بالآيات القرآنية على صدق ما تورده من أحداث وروايات(٢)، أي أنها تؤسس كتابة الحدث وتصوغه، ثم تلتمس له الآيات لتأكيده.

والصواب أن نستهدي الآيات، وأن نجعلها قواعد الحدث والواقعة وأركانه إن وجدت، ثم نتمسك بدلالاتها وإرشاداتها.

وكتابه في مجمله قيِّم، وهو خطوة هامة في هذا المجال، إلا أني من خلال استعراضه ظهر لي ثلاث ملاحظات:

الأولى: إنه قد حاول أن يشكك في قيمة كتب السيرة الأولى، وركز على هذه

---

(١) مؤرّخ ومفسّر ولد بنابلس عام ١٨٨٨ وأقام بدمشق حتى وفاته عام ١٩٨٤، له مؤلفات تربو على السبعين أشهرها التفسير الحديث، وهو تفسير مرتب حسب النزول، وسيرة الرسول ﷺ، وعصر النبي قبل البعثة، والدستور القرآني، وطبعت مذكراته في ستة أجزاء.

(٢) انظر: ١/٨.

النقطة في مقدمته، وأبدا فيها وأعاد، من ذلك قوله: «إن هذه الروايات وتلك الآثار ظلت تحتفظ بها الصدور وتتناقلها الأفواه مدى غير قصير، ربما زاد على القرن من بعد وفاة النبي ﷺ، وإنه من المعقول الذي يؤديه الواقع أن يكون قد طرأ على كثير منها زيادة ونقص، وتبديل وتغيير، كما أن منها ما يمكن أن يكون قد لفق تلفيقاً ونحل نحلاً، وأن منها ما يتناقض مع النصوص والقرائن والملهمات القرآنية..... وما في بعضها من تناقض يدعو إلى الشك أن يحمل على التوقف في أخذه حقائق مسلمة أو روايات موثوقاً بها. سواء منها ما يتصل منها بأحداث السيرة بوجه عام أو بخصوصيات النبي ﷺ بنوع خاص».

وهذا غير مسلم، بل إنّ المتأمل في كتب السيرة أو الكتب التي تعرض للسيرة من بعض الجوانب بإمعان ومنهج علمي يخالف هذا الكلام الذي ألقاه الأستاذ دروزة على عمومه، وأعتقد أن ذلك لعدم اطلاعه على تاريخ السنة أولاً، وما دار في تلك الحقبة من أفكار النحل في النصوص مما ألقى بذوره طه حسين.

والثانية: إضرابه عن النصوص الصحيحة الواردة في الكتب الستة وغيرها، واعتماده لملئ فجوات الأحداث أو تفسير الآيات وبيان مضمونها على روايات ثانوية جداً كالطبري، والخازن، والبغوي، وابن سعد وأمثالها، وهذا في تقديري راجع إلى نظرته المسبقة إلى روايات كتب الحديث والرواية عموماً في المساواة بينها، واعتماده على ما يطابق نظرته واستنباطه، ونظرته هذه قد بان ضعفها وهشاشتها في ميزان النقد العلمي، وبقيت لكتب الحديث الصحيحة والسنة قيمتها التي قوّمها بها علماء هذا الشأن، وقد أثر ذلك كثيراً في هذا الكتاب القيم بمجموعه.

الثالثة: خص المستشرقين بمناقشات غير قصيرة، ولو ترك ذلك لكتاب مستقل كما فعل هو من بعد لكان أجدى، ولا سيما والكتاب يهدف إلى بيان السيرة من خلال نص قطعي لا يناقشه في صحته وثبوته أحد.

هذا وإن ملاحظاتي هذه لا تغض من أهمية كتابه، بل إني أؤكد أنه عرض فيه **لمحات ذكية واستنباطات موفقة من خلال النص القرآني الكريم**، وهو كما قلت خطوة هامة في طريق كتابة السيرة النبوية الشريفة.

وإن اعتماد القرآن الكريم في مقدمة مصادر السيرة النبوية يستلزم الاطلاع على كتب التفسير الأولى التي تنقل بالإسناد، شأنها شأن كتب الحديث، والاطلاع على كتب الصحيح من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، لأن هذه الكتب قد دارت

حول النص القرآني بياناً وإيضاحاً، بل إن هناك آيات كثيرة لا يمكننا فهمها على الوجه الحق إذا لم نعرف أسباب نزولها، ومقدمات ذلك ونتائجه.

كما تبين لنا هذه الكتب موقف النبي ﷺ حيال كثير من الآيات الكريمة ودلالتها، ولا يمكننا بحال الاستغناء عن هذا المصدر المهم.

وقد أكد على هذا المصدر للسيرة النبوية شيخُ الإسلام ابن تيمية، فقد قال في «الفتاوى»[1]: والكتب التي فيها أخباره ﷺ؛ منها كتب التفسير، والسيرة والمغازي..

وقد كانت كتب التفسير بالمأثور من أوَّل المؤلفات في الإسلام، وكانت منطلقاً مهماً للحركة العلمية الإسلامية، ومن أهم هذه الكتب:

* تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ، وهو واسع وقيِّم في بابه، وقد أثنى عليه العلماء كثيراً، ونال القبول في جميع الأعصار والأمصار، حتى إنَّ الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال عنه: «لم يصنِّفْ أحدٌ مثلَه) ونقل عن أبي حامد الإسفراييني قوله: «لو رحل رجل إلى الصين ليحصل تفسير ابن جرير الطبري لم يكن كثيراً»[2].

وفيه علم كثير في أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والنقل عن النبي ﷺ والصحابة، والتابعين، مع كلامه هو على الآيات، واستشهاده بالشعر، واحتجاجه للقراءات وغيرها.

* وكذلك تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت٢١١هـ وتفسيره مختصر، لكنه لا يغفل في هذا الباب، نظراً لاعتماده الرواية والإسناد.

* وتفسير عبد بن حُميد الكشي ت٢٤٩هـ الإمام الحافظ.

* وتفسير الحافظ ابن ماجه القزويني صاحب «السنن» المتوفى ٢٧٥هـ، وهو كذلك ليس بالكبير، ومعوَّله على الإسناد.

* وتفسير جعفر الفريابي الإمام الحافظ المتوفى ٣٠١هـ.

* وتفسير النسائي صاحب السنن المتوفى ٣٠٣هـ، وهو جزء من الكتب الستة الأصول.

---

(١) ١٨/ ١٠.

(٢) انظر: «الأسماء واللغات» ١/ ١/ ٧٩.

* وتفسير الإمام أبي بكر بن المنذر المتوفى ٣١٨هـ، وهو نسيج وحده في العلم والتصنيف.

* وكذلك تفسير الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي المتوفى ٣٢٧هـ.

* وتفسير الحافظ أبي الشيخ بن حيان الأصبهاني المتوفى ٣٦٩هـ.

* وتفسير الحافظ العلامة الثبت أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفى ٤١٠هـ.

وغير هذه التفاسير المذكورة مما يدخل في نوع التفسير بالمأثور والتي تنقل النصوص بأسانيدها.

وقد طبع بعضُ هذه التفاسير وأصبح متداولاً.

وهذه التفاسير وغيرها مما يسلك به نفس المنهج، فتقوَّم أحاديثها بميزان علم الجرح والتعديل، فما صح منها نصطفيه ونختاره، وما لم يصح ندعه غير آبهين له، لا سيما ومؤلفو هذه الكتب لم يلتزموا إخراج الصحيح والإعراض عن الضعيف والواهي والموضوع.

وإذا تقرر هذا وأنه ليس كل ما فيها صحيح، فلا ينبغي الاغترار بنقل ناقل منها دون تمحيص أو تدقيق، بل لا بد من التثبت والمعرفة لما يؤخذ ويردّ، كما لا يكفي الإحالة إلى هذه الكتب أو بعضها وترتيب الأحكام عليها، وقد فعل هذا غير واحد من الكاتبين!!.

❊ ❊ ❊

وقد لخّص بعضُ المتأخرين هذه الكتب المتقدمة وغيرها، كما فعل الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ في كتابه القيم الواسع «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، وحشد فيه من كل ضرب، وهو مطبوع، وما أحوجه إلى غربلة وتمحيص، أو تعليقات تبين الصحيح من غيره!!.

ونشير إلى مسألة منهجية هامة، أولاً هي أن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب الفرعية المتأخرة لا نعتمدها إلا لما غاب عنا من هذه المصادر، أو فُقد وطوته يد السنين، مع مقارنة نصوصه بمطبوعات هذه الكتب الموجودة أو مخطوطاتها.

وأُذكِّر الباحثين والدارسين هنا أن أسباب النزول - وهي مهمة في معرفة جزء من السيرة، وتفسير الآيات - هي موجودة في التفاسير بالمأثور كالتي ذكرنا، ومنها

ومن كتب الحديث استخرج العلماء أسباب النزول، كالواحدي، وابن حجر، والسيوطي، وغيرهم. ولهذا فلا حاجة بنا إلى إفرادها بالحديث، ومع ذلك يمكن الاستئناس بأسباب النزول لعلي بن أحمد الواحدي المتوفى ٤٦٨هـ، وكتاب «العجاب في بيان الأسباب» للحافظ ابن حجر المتوفى ٨٥٢هـ، وكتاب «لباب النقول» للإمام السيوطي المتوفى ٩١١هـ، وقد قال السيوطي في صدر كتابه: (فهذا كتاب سميته: «لباب النقول في أسباب النزول» لخصته من جوامع الحديث والأصول، وحررته من تفاسير أهل النقول).

والكتابان الأخيران لا يُرجع إليهما إلا في نصوص لا توجد في المصادر الأصلية الموجودة بين أيدينا، وقريب منها كتاب «الواحدي»، وقد أشار السيوطي في بيان ميزة كتابه: (الاختصار، الجمع الكثير، ثالثها: عزو كل حديث إلى من خرجه من الكتب المعتبرة، كالكتب الستة... وتفاسير ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي الشيخ ابن حيان....) ويقول: (أما الواحدي فتارة يورد الحديث بإسناده، وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث، فلا شك أن عزوه إلى أحد الكتب الستة أولى من عزوه إلى تخريج الواحدي لشهرتها واعتمادها، وركون الأنفس إليها، وتارة يورده مقطوعاً فلا يدري هل له إسناد، أو لا؟).

وهذا كلام منهجي دقيق، يوضع في محله اللائق به في البحث عن صحيح السيرة من مصادرها.





كتب الحديث

وقد عُنيت هذه الكتب بجمع أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وأحكامه وقضاياه، وأفردت أبواباً لمغازيه صلوات الله وسلامه عليه، وبعضها لمولده ومبعثه، ونزول الوحي وكيفياته، إلا أنَّ مقصد مؤلفي هذه الكتب كان منصبّاً على الأقوال والأفعال التي تكوّن مصدراً للأحكام الفقهية، وكانت لوحات من السيرة تأتي في ثناياها عَرَضاً ليستدل بها على حكم أو قضية كما في حَجّته صلوات الله وسلامه عليه، أو غزواته وعُمُره، وبعض ما وقع له من المعجزات والخوارق وغير ذلك.

وهذه الكتب كثيرة جدّاً، وهي على درجات، وذلك طبقاً للمنهج العلمي الذي اتبعه المسلمون، ألا وهو النقل بالإسناد.

وهذا الإسناد يجب أن يوزن بميزان علم الجرح والتعديل، فالتزام أي كتاب من هذه الكتب، لهذا المنهج هو الذي يعطيه الأهمية، ويقدّمه على غيره، وإنَّ أهمية الإسناد في نقل الرواية التاريخية مهما كان شأنها عظيمةٌ لا ينكرها إلا غِرٌّ جاهل، فلولاه لما تميز قول الأفاك الأثيم من قول الصادق المستقيم، وإذا كان الإسناد عبارة عن مجموعة من الرجال، والرجال بشرٌ يعتريهم الوهم والنسيان والغلط، وأحياناً تعمد الكذب والاختلاق والزور والافتراء، فإن علم الجرح والتعديل قد عرض لكل ما يخطر بالبال من هذه الأمور التي يمكن أن تؤثر أو تقدح في نصاعة الحقيقة التاريخية المنقولة، فكما اشترطوا شروطاً في الرجال لقبول أخبارهم ومروياتهم، وضعوا شروطاً لنصوص ومتون هذه الروايات يجب أن تتوفَّر فيها، وإلا سقطت من الاعتبار، ولو كان الإسناد صحيحاً، وهذا الذي يسمونه في ذلك المنهج **بنقد المتن** هو ساحة واسعة جداً.

ومن يتشدَّق بأن الإسناد لا قيمة له، وقد تكون المتون غير صحيحة لم يدرك معنى ما يقول ويغالط نفسه، ويضلِّل آخرين، وينادى على نفسه بأنه لا يعرف علم الحديث ومناهجه.

إنَّ الإسناد الصحيح وموازينه الدقيقة أهم مرتكز لتصحيح التاريخ والخبر وليس هناك خبر جاء بإسناد صحيح غير معلول، لا يقبله العقل، أو يرفضه الواقع، اللهم إلا عقول أولئك الذي أقفلوها، ووضعوا مفاتحها في صناديق آخرين.

وبعد السَّبْر الذي قام به علماء الإسلام بناء على المنهج المتقدم في النقل مستندين إلى العلم الفريد، الذي اختص به المسلمون دون غيرهم، ألا وهو علم الجرح والتعديل استطاعوا تقويم هذه الكتب، فكان في مقدمتها:

* «صحيح» محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ.
* و«صحيح» مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ.
* و«موطأ» الإمام مالك بن أنس بن عامر الأصبحي إمام دار الهجرة المتوفى سنة ١٧٩هـ.

وتلا هذه الكتب الثلاثة في الدرجة السنن التي هي أصول الإسلام مع هذه المتقدمة، وهي:

* «سنن» الإمام أبي داود ـ سليمان بن الأشعث ـ السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ.
* و«جامع» الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ.
* و«سنن» الإمام أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ.
* و«سنن» الإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفى سنة٢٧٣هـ.

وهذه الكتب قد ضمَّت في جوانبها طائفةً كبيرةً من أحداث السيرة ولوحاتها، وخاصة «صحيح الإمام البخاري» فإنّه أغناها وأضبطها، وأوفرها على هذه المادة.

* ونظرةٌ في أرجاء «صحيح البخاري» تُريك أنّه قد افتتح كتابه بعد حديث النية، بحديث بدء الوحي على رسول الله ﷺ، وهو لمحة بارزة أمام دارس السيرة النبوية والباحث فيها، كما أنه تحدَّث عن قصة بئر زمزم، وأنساب العرب، وشيء من تاريخهم[1] عن خزاعة وقحطان، وبعض ما كان فيهم، كما بوب: (باب صفة النبي ﷺ) وبوَّب: (باب علامات النبوة في الإسلام)، عرض في الباب الأول طائفة كبيرة من الأحاديث التي فيها صفات النبي ﷺ الخَلْقِيَّة والخُلُقِية، وفي الثاني، لما أكرمه الله تعالى به من المعجزات التي ظهرت على يديه صلوات الله وسلامه عليه أمام الصحابة، وما أخبر به من الغيب فتحقق، وهذا جزءٌ لا يتجزأ من السيرة، كما بوَّب البخاري: (باب أيام الجاهلية)، ساق فيه طائفةً من أحوال

---

(١) انظر: ٨/١٨١.

العرب في جاهليتهم، وبعض عاداتهم وسلوكهم في المعيشة والتعايش، كما بوب، (باب بنيان الكعبة).

وحدثنا عن زواج النبي ﷺ بدءاً من خديجة، ثم ذكر هجرة رسول الله ﷺ، وبدأ يسوق بعدها غزواته وبعوثه وسراياه وكتبه إلى الرؤساء في عصره، ثم حدثنا عن مرضه ووفاته صلوات الله وسلامه عليه.

وإني أؤكد أنّ «صحيح البخاري» قد اشتمل على ما يلزم المسلم في دينه ودنياه من أحداث السيرة النبوية، وقد نثر ذلك في جميع كتابه لمنهجه رحمه الله في التصنيف، وقد كان الاسم ينطبق تماماً على المسمى إذ أسماه «**الجامعُ الصحيحُ المسنَدُ المختصَرُ من حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ وسُنَنِه وأيامِه**»، والأيام هي سيرته وحياته ﷺ.

وإنَّ أحاديث البخاري لو ضُمّتْ بعضُها إلى بعض لخرجت منها السيرة النبوية، ومعها المجتمع الإسلامي في الصدر الأول ماثلةً أمامَ القارئ، ويقيني أنَّ هذا مقصدٌ من مقاصد البخاري إن لم يكن مقصد مقاصده، اعتماداً على الحديث الشريف «خير القرون قرني....» الحديث.

وكنت قد شرعتُ في جمع السيرة منه تحت إشراف شيخنا الشيخ نايف العباس ـ رحمه الله ـ عندما كنت طالباً، ولكنَّ ظروفاً حالت دون إكماله يسّر الله لنا ذلك[1].

وأما «**صحيح مسلم**» فقد ذكر لنا مؤلفه فيه في كتاب الفضائل طائفةً كبيرةً من الأحاديث في نسب النبي ﷺ، وفضله، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ومعجزاته، وكثيراً من صفاته الخَلْقِية والخُلُقِية، ووفاته، ومدة إقامته في مكة والمدينة... إلخ[2] كما حدَّثنا عن فضائل أزواجه وآله وأصحابه.

وقد بوب في كتابه الجهاد والسير من «الصحيح» على غزواته ﷺ وكتبه التي أرسلها إلى الملوك الكفار، وسراياه وبعوثه، وما يتصل بذلك، إلا أنه لم يكن في السعة والكثرة مماثلاً لصحيح البخاري.

أما كتب «السنن الأربعة» فأكثرها ذكراً للسيرة «**جامع الترمذي**» فقد ذكر في المناقب التي صدرها بمناقب النبي ﷺ أبواباً في ميلاده، وبدء نبوته، وما جاء في

---

(١) رأيت كتاباً لبعض الباحثين اسمه «السيرة النبوية في صحيح البخاري».

(٢) انظر: كتاب «الفضائل من الصحيح» ص٥٨/٧ ط. محمد علي صبيح.

مبعثه، ودلائل نبوته، وكيف كان ينزل الوحي عليه، وصفاته الخَلْقية والخُلُقية، وخاتم النبوة، ومرضه ووفاته[1]، ثم عرض لذكر غزوات النبي ﷺ باختصار، مع عشرات من الأحاديث المبثوثة في كتابه مما يتعلق بالسيرة[2].

وقد مُحِّصت هذه الكتب تمحيصاً دقيقاً في كل حديث وكل كلمة فيها بعشرات من الشروح والتعليقات، فهي أهم مصدر لنا في جمع صورة متكاملة صحيحة من سيرة النبي ﷺ بعد القرآن الكريم.

* * *

* ومن الأعمال الهامة التي تيسر للباحث في السيرة النبوية، من خلال الكتب الخمسة والموطأ كتاب «**جامع الأصول في أحاديث الرسول** ﷺ» للإمام المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري المتوفى ٦٠٦هـ.

وقد جمع في كتابه، كتاب «الغزوات النبوية»، ورتّبها بدءاً من بيان عدد الغزوات، ثم غزوة بدر، إلى أن انتهى إلى غزوة تبوك، وقد استغرق ذلك نحواً من ثلاثمئة وخمسين صفحة، وذكر في كتاب «الفضائل، فضائل النبي ﷺ» وجعله ثمانية أنواع واستغرق ذلك نحواً من خمسة وعشرين صفحة.

* ويليها في الأهمية:

«**مسند الإمام أحمد بن حنبل**» المتوفَّى سنة ٢٤١هـ الذي يضمُّ في دفتيه قرابة أربعين ألف أو ثلاثين ألف حديث من غير المكرر[3].

---

(١) انظره مع: «تحفة الأحوذي» ٤/ ٢٩٢ وما بعدها.

(٢) انظر: «تحفة الأحوذي» ٣/ ٢٢ وما بعدها.

(٣) وقد قامت حول المسند دراسات هامة يسّرت السبيل لذلك، ومن أهمها مما هو بين يدي «الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني» ومعه «الأماني من أسرار الفتح الرباني» كلاهما للشيخ العلامة أحمد عبد الرحمن البنا، إذ حذف الأسانيد والمكرر، ورتبه على الكتب والأبواب الفقهية، وجعل من كتبه وأبوابه: أيام العرب، وكتاب «السيرة النبوية» وجعله ثلاثة أقسام، وبدأ بالنسب الشريف، والمولد، وتابع ذلك حتى وصل إلى الهجرة، وبدأ بالقسم الثاني وجعله للغزوات النبوية، ابتدأ من السنة الأولى، إلى أن انتهى إلى الوفاة النبوية، ثم أتبعه بما جاء في المسند من خطبه الشريفة.
ثم جعل القسم الأخير من السيرة للشمائل والمعجزات والعادات النبوية، ثم ذريته وأزواجه، ثم ختم ذلك بما جاء في معاشرته أزواجه أمهات المؤمنين، وأخلاقه، ثم أتبع ذلك بفضائل أصحابه رضوان الله عليهم.
لقد كان عمل الشيخ البنا رحمه الله عملاً مهماً ومفيداً للباحث في السيرة النبوية، وجاء عمله ذلك في المجلد العشرين والحادي والعشرين والثاني والعشرين.

* و«**سنن**» **أبي محمد الدارمي** المتوفى سنة ٢٥٥هـ.

* و«**المستدرك على الصحيحين**» لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري» المتوفى سنة ٤٠٥هـ، هو كتاب ضخم مطبوع، وفيه قسم خاص بالمغازي والسير.

* و«**سنن**» **أبي الحسن الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ.**

* و«**سنن البيهقي**» (أحمد بن الحسين) المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وهو كتاب ضخم نافع وقد طبع.

* و«**صحيح أبي حاتم بن حبان**» المتوفى سنة ٣٥٤هـ، وقد طبع كتاب «**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**» للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى ٧٣٩هـ، وفي المجلد الرابع عشر منه كتاب التاريخ، وبدء الخلق. وختمه بشيء من أحوال العرب، وذكر أبي طالب، وتحدَّث عن ليلة العقبة بمنى، وبيعة الأنصار، ثم ذكر من الهجرة النبوية وما تلاها من أحداث من صفته ﷺ وأخباره، والحوض والشفاعة، والمعجزات، وكيفية تبليغه صلوات الله وسلامه عليه من قومه وكتُبِ النبي ﷺ ومرضه ووفاته، وكان ذلك في مجلد كامل، فيه نصوص هامة جداً لا يستغني الدارس للسيرة النبوية عنها.

ولم يدخّر المحقق وسعاً في تمحيص النصوص والحكم عليها.

❁ ❁ ❁

* ومن الدراسات والكتب الهامة في هذا الباب «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**» للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧هـ، وقد لخص فيه من المصادر الحديثية الأولى، «**معجم الطبراني**» المتوفى ٣٦٠هـ، و«**مسند أحمد بن حنبل**» المتوفى ٢٤١هـ، و«**مسند أبي بكر البزار**» المتوفى ٢٩٢هـ، و«**مسند أبي يعلى الموصلي**» المتوفى ٣٠٧هـ، وهو كتاب جليل جمع ما جاء في هذه المصادر مما يتعلق بالسيرة النبوية في كتاب المغازي والسير في الجزء السادس، وذكر في الجزء الثامن والتاسع كتاب علامات النبوة، وما يتعلق به، إلى أن خُتم بباب بركته ﷺ.

وغيرها من مؤلفات السنة الكثيرة التي تنقل بالإسناد على أننا نقوّم كل حديث فيها بقيمة إسناده، فإن كان إسناده صحيحاً نقبله، وإن كان حسناً كذلك وإلا فنتوقف فيه. مشيراً إلى أنَّ هذه الكتب قد لقيت العناية والتمحص والدراسة مثل الكتب السابقة، فليس هناك حديث إلا وقد حكم عليه الأئمة، وترجموا رجاله،

علم ذلك من علمه فقدَّرها، وجهل ذلك من جهل فغفل عنها واستخفَّ بها!!

❁ ❁ ❁

وقد أُلِّفت كتب خاصة تخدم كتب السنة وهي بها لصيقة، وهي **كتب التراجم وتاريخ الرجال**، فمنها كتبٌ عنيت بحياة الصحابة كما فعل محمد بن سعد ـ وسنعرض له فيما بعد ـ في كتابه «**الطبقات**»، و«**معرفة الصحابة**» لابن منده، والعسكري، وابن قانع، والبارودي، وأبي نُعيم الأصبهاني، والبَرْقي، وابن أبي عاصم، و«معجم الطبراني الكبير»، وهو معدودٌ في كتب الحديث، ومعجم الصحابة لابن لال.

ومن المتأخرين:

* «أُسدُ الغابة» لابن الأثير.

* و«الاستيعاب» لابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة٤٦٣هـ.

* و«الإصابة» لابن حجر العسقلاني.

وكتب عنيت بتراجم التابعين كـ«**طبقات التابعين**» لأبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي المتوفى سنة ٢٧٧هـ، ومثله «**طبقات التابعين**» لأبي القاسم بن منده، وابن حِبّان وغيرهم.

* وكُتبَ في تواريخ الرجال بشكل عام كتبٌ ذكر فيها الصحابة والتابعون ورواة الحديث، كـ«**تاريخ ابن أبي خيثمة**» المتوفى سنة ٢٧٩هـ، وهو أحمد بن زهير بن حرب النسائي الحافظ الإمام، من أعلام الحديث صنف هذا التاريخ وغيره من الكتب، قال الخطيب في «تاريخ بغداد» ٤/ ١٦٣: كان ثقةً عالماً متقناً، حافظاً بصيراً بأيام الناس راوية للأدب، وله كتاب «التاريخ» الذي أحسنَ تصنيفَه، وأكثر فائدته، ولا أعرفُ أغزر فوائد من كتاب «التاريخ» الذي صنفه ابن أبي خيثمة، وكان لا يرويه إلا على الوجه، فسمعه الشيوخُ الأكابرُ، وذكره له ابن النديم في «الفهرست» ص٢٨٦ مع كتب أخرى.

وساق القاضي أبو علي الصدفي بإسناده إلى قاسم بن أصبغ قال لنا أبو بكر بن أبي خيثمة: من أخذَ هذا الكتابَ فقد أخذَ جوهرَ علمي، لقد استخرجته من بيت ملآن كتباً، وفيه: ستون ألف حديث، عشرة آلاف مسندة إلى النبي ﷺ، وسائره مراسيل وحكايات، وإنَّما كتابي لمن خشي حوطته!! لأني إنما آخذ الأطراف[1].

---

(١) انظر: كتابنا «المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل» ص٦٤.

* و«تاريخ خليفة بن خياط العُصفرى»، الإمام الحافظ والمتوفى ٢٤٠هـ، وقد أثنى على تاريخه غيرُ واحد من المتقدمين والمتأخرين، فقد قال ابن عدي الحافظ الناقد في كتابه «الكامل» ٣/٦٦: من متيقظي رواة الحديث، وله حديث كثير. وتاريخ حسن ـ وكتاب في طبقات الرجال ـ وكلاهما مطبوع، وقال الذهبي: محدّثٌ نسابة، أخباري علامة، وقد صدر كتابه التاريخ بعد قوله هذا: كتاب في التاريخ، وبالتأريخ عرفَ الناسُ أمرَ حجهم، وصومِهم، وانقضاء عِدَد نسائهم، ومحِل ديونهم. يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] ثم ذكر بدايات التاريخ عند الفرس، وثنى ببني إسرائيل، والعرب، ثم تأريخ المسلمين. وبدأه بقوله: مولد رسول الله ﷺ ووفاته، ثم قال: سنة إحدى من التاريخ، وصول النبي ﷺ إلى المدينة. وبدأ يذكر أحداث كل سنة، حتى ختم قسم السيرة بحجة الوداع ووفاة النبي ﷺ وعمره، ووفاة فاطمة، وتسمية عماله ورسله، ومن كتب له، وحاجبه، وصاحب نفقاته، وخازنه وخادمه، ومؤذناه، وحرسه ﷺ...

وقد أكثر النقل فيه عن ابن إسحاق، ونقل عن غيره من علماء السيرة السابقين، وبهذا فهو مصدر مهم كأمثاله من كتب التاريخ التي على شاكلته.

* و«**تاريخ أبي زرعة**» عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري الدمشقي المتوفى ٢٨١هـ.

وهو كتاب مفيد صدَّره بنبذة عن مولد رسول الله ﷺ وإقامته بمكة ومبعثه، ووفاته وسِنّه ودفنه وشيبه، ونسبه وصفته، وشيء من مغازيه. وتبلغ هذه النصوص سبعة وأربعين نصاً، ثم أتبعها بذكر خلافة الصديق أبي بكر والفاروق عمر رضي الله عنهما وتراجم العلماء، وفيها نصوص مهمة، ولهذا فالرجوع إليه للباحث في السيرة النبوية مفيد ونافع إن شاء الله.

* تاريخ الفسوي المسمى بـ«**المعرفة والتاريخ**» ليعقوب بن سفيان الفسوي المتوفى ٢٧٧هـ، وهو إمام كبير وحافظ حجة من شيوخ الترمذي والنسائي.

قال الإمام الذهبي: وله تاريخ كبير جمُّ الفوائد، وقد صدّر كتابه بالسيرة النبوية، بل بأخبار ما قبل البعثة النبوية وتاريخ العرب، ويبدو من خلال الاقتباسات أن نصوصه هامة، ولهذا كان الكتاب مصدراً لعدد من المصنفين في التاريخ وكتاب السيرة النبوية، كابن عساكر، وابن كثير، ومُغْلطاي، وابن حجر، وغيرهم، والكتاب طبعَ في ثلاثة مجلدات بتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري.

* و«تاريخ القراب»، وهو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد القراب السرخسي المتوفى ٤٢٩هـ، وهو مرتب على السنين، وقد ذكره له غير واحد من المصنفين، واقتبسوا منه ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب» ٢/٤٧، ٥/٢٨٨، ٩/٢٤٣.

* و«**تاريخ علي بن الحسين الرازي**»، وهو حافظٌ حجةٌ من أئمة الحديث المتوفى ٢٩١هـ أو نحوها. قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ١/٩٥: وهو جزء لطيف.

* «**التاريخ**» للإمام الحافظ البارع أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي المولود سنة أربع وعشرين ومئتين، المتوفى سنة ٣١٠هـ، وهو من علماء الحديث والأخبار والتاريخ، روى عن محمد بن بشار، ومعمر بن المثنى، وتلك الطبقة. وروى عنه كثيرون، ومنهم عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وأبو القاسم الطبراني، وابن حِبان وغيرهم.

وله تصانيف مفيدة في التاريخ ومواليد العلماء ووفياتهم، وكتابه «الكنى والأسماء» مطبوع، قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٤/٣٥٢: واعتمد عليه أربابُ هذا الفن في النقل، وأخبروا عنه في كتبهم ومصنفاتهم المشهورة.

قلت: وقد اعتمد كتابه في التاريخ الحافظ مُغلطاي بن قليج في كتابه «الإشارة» كما في ص٨٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧٣ وغيرها، وقد ذكر كتابه «التاريخ» المسعودي في صدر كتابه «مروج الذهب» ص١٥.

* «**التاريخ**» لأبي العباس السراج، محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران، الإمام الحافظ الثقة شيخ الإسلام أحد الثقات الأثبات محدِّث خُراسان ولد ٢١٦هـ والمتوفى ٣١٣هـ بنيسابور.

له «المسند الكبير» على الأبواب، وله التاريخ، والكتب الكثيرة، وقد اقتبس منه الأئمة كثيراً، قال أبو بكر جعفر المزكّي: سمعت السراج يقول: نظر محمد بن إسماعيل البخاري في التاريخ لي وكتب منه بخطه أطباقاً وقرأتها عليه[1].

* و«**تاريخ العجلي**» المتوفى سنة ٢٦١هـ بطرابلس الغرب.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ١٤/٣٨٨.

وكتاب «**التاريخ الكبير**» للبخاري، وهو مطبوع، وقد جمع فيه أسماء من روى عنهم الحديث من زمن الصحابة إلى زمنه، جمع فيه أربعين ألفاً بين رجل وامرأة، وقد ألفه وهو ابن ثمان عشرة سنة تجاه قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة، وفيه قال التاج السبكي: إنه لم يسبق، ومن ألف بعده في التاريخ أو الأسماء فعيال عليه[1]، وقد طبعا حديثاً، فقد قدَّم فيه نبذةٌ طيبةً عن سيرة النبي ﷺ وحياته، وبناته، ووفاته، وهجرة أصحابه إلى الحبشة، ثم انتقل إلى أصحابه، ومن بعدهم، وهكذا إلى سنة مئتين وخمس وخمسين هجرية، وقد استهله رحمه الله تعالى بقوله: (كتاب مختصر من تاريخ النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وطبقات التابعين لهم بإحسان ومن بعدهم ووفاتهم، وبعض نسبهم وكناهم، ومن يرغب في حديثه، وقد طبع الكتاب مراراً. وهو من أجلِّ الكتب، ومثله «تاريخه الصغير» أو «الأوسط».

وهذا النوع من التواريخ - وهي كثيرة وطبع قسم منها - مهم في هذا الباب، وقد أتينا على ذكر هذه التواريخ مع توثيقها وبيان أهميتها في كتابنا «المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل» ابتداءً من الصفحة ٦١.

* وكتاب «**حلية الأولياء**» لأبي نُعيم الأصبهاني، فهو لا يستغنى عنه في هذا الباب لأنه ترجم لنساك هذه الأمة وزهادها، فبدأ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وثنّى بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وانتهى بالحسن بن علي من طبقة الصحابة الرجال، ثم بدأ بالصحابيات، فبدأ بفاطمة الزهراء، وانتهى بسلمى بنت قيس النجارية، ثم بدأ بطبقة التابعين، وهكذا طبقة بعد طبقة إلى أيامه تقريباً، وأبو نعيم حافظ كبير ويسوق الأحاديث بالإسناد.

ونحن إذا تتبعنا هذه الطبقة الأولى من كتب التاريخ التي دارت حول الصحابة والتابعين ورواة الأحاديث، فسنجد فيها كثيراً من الأحاديث التي تتعلق بالسيرة، ولا بد من وضعها في ميزان الجرح والتعديل ليعطينا قيمة كل رواية وقصة وخبر. وبضمِّ الروايات إلى بعضها تتكامل وتتضح الأحداث.



(١) انظر: «الرسالة المستطرفة» ص١٢٨.



كتب الشمائل(١)

وهي الكتب التي قصد أصحابها التركيز على ذكر الصفات الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة للنبي صلوات الله وسلامه عليه، وعاداته وفضائله وسلوكه القويم في الليل والنهار(٢).

* وقد طبع عدد منها، وأهمها كتاب «**الشمائل**» للإمام الترمذي محمد بن عيسى المتقدم ذكره في «السنن» المتوفى سنة ٢٧٩هـ، وعلى هذا الكتاب شروح وتعاليق كثيرة جداً(٣).

* ومن ذلك كتاب «**أخلاق النبيِّ ﷺ وآدابه**» للحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيَّان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ المتوفى سنة ٣٦٩هـ. وقد ضم هذا الكتاب أحاديث نادرة لا توجد في غيره، ومثله شمائل الترمذي وهذان الكتابان من أغزر الكتب مادةً أمام الباحث في السيرة النبوية(٤).

وكتب أبي الشيخ بصفة عامة فيها الصحيح والضعيف والواهي...

* ومن الكتب التي دونت قديماً في هذا الفن: «**الشمائل**» أو «**شمائل النبي**» للإمام الحافظ المجود صاحب التصانيف أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري

---

(١) الشمائل: ج شِمال: وهو الطبع والخُلُق، قال عبد يغوث الحارثي:

أَلَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلامَةَ نَفْعُهَا قَلِيْلٌ؟ وما لَوْمِي أخِي مِنْ شِمَالِي

أي من خلقي، وهو كريم الشمائل؛ أي في أخلاقه ومخالطته.

ويقال: فلان مشمول الخلائق: أي كريم الأخلاق، وكذلك رجل مشمول: أي طيب الأخلاق مرضيُّها.

وقيل: الشمال: جمع شميلة ككريمة ومعها كرائم.

(٢) انظر: «الرسالة المحمدية» ص٩٥.

(٣) انظر بعضها في: «كشف الظنون» ص١٠٥٩ ـ ١٠٦٠.

(٤) ذكر في «كشف الظنون» ١/ ٨٣، «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» لأبي حاتم بن حبان البستي المتوفى ٣٥٤هـ وأعتقد أنه اشتبه عليه بكتاب أبي الشيخ ابن حيّان هذا.

المتوفى سنة ٤٣٢هـ. وقد ذكره له غير واحد: ومنهم الذهبي في «سيرة أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٦٤.

* وله كذلك، أي لأبي جعفر المستغفري، كتاب: «**الهدي النبوي**»، ذكره السخاوي في «**الإعلان بالتوبيخ**».

* وللحافظ أبي نُعيم الأصبهاني المتوفى ٤٣٠هـ كذلك «**الهدي النبوي**».

* وكتاب «**الأنوار في شمائل النبي المختار**» لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى بمرو سنة ٥١٦هـ، وقد رتب كتابه هذا على واحد ومائة باب، وهو كتاب مسند(١). وهو مطبوع، بتحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي في مجلدين، وهو كتاب جيد.

* وكتاب «**الشمائل**» لأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن الضحاك الفزاري المتوفى ٥٥٢هـ وقيل: ٥٥٣هـ، وقيل: ٥٥٧هـ من أهل غرناطة قال ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل والتكملة» ٥/ ١/ ٢٨٤: كان محدِّثاً نبيلاً، حافظاً للتواريخ وطبقات الرواة وتعديلهم وتجريحهم، مميزاً صحيح الحديث من سقيمه عني بهذا الشأن طويلاً، ماهراً في علمي الكلام وأصول الفقه، أديباً، وله مصنفات كثيرة في الحديث وتواريخه.. وذكر له بعض مصنفاته، وترجمه ابن فرحون في «الديباج المذهب» ٢/ ١١٦، عدداً من مصنفاته.

* ومنها: «**شمائل النبي ﷺ**» سفران كبيران وسماه في «كشف الظنون» ١٠٥٩: «الشمائل بالنور الساطع الكامل» وهو مشتمل على أربعة أسفار، وقسمه إلى عشرين قسماً كلها في شمائل النبي ﷺ، وسيره وأخلاقه وأوصافه وانظر: «هدية العارفين» ١/ ٦٩٨.

قلت: وقد اقتبس من هذا الكتاب ـ وهو متأخر كما ترى وليس من المصادر الأولى ـ عدد من المتأخرين ومنهم الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» في مواضع عديدة.

* ومن ذلك «**صفة النبي ﷺ**» لأبي البختري وهب بن كثير القرشي المتوفى ٢٠٠هـ. ذكره له ابن النديم في «الفهرست»، وقد تكلم في هذا الرجل علماء الحديث، واقتبس منه الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٧/ ١٢.

* و«**أخلاق النبي ﷺ**» لمحمد بن عبد الله الوراق المتوفى ٢٤٩هـ. وقد ذكره له في «كشف الظنون» ١/ ٣٨.

---

(١) انظر: «مقدمة كتاب أبي الشيخ المتقدم» ص١١، وهي بقلم شيخنا عبد الله بن الصديق.

* و«**أخلاق النبي ﷺ**» للحافظ العالم محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرْقِي المتوفى ٢٤٩هـ، وكانت له عناية بالمغازي، وقد حدّث بها.

* و«**مزاح النبي ﷺ**» للزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦هـ، وهو من مرويات الوادآشي كما هو مبين في برنامجه ص٢٦٨ وذكره له ابن النديم في «**الفهرست**».

* و«**صفة النبي ﷺ**» للإمام علي بن المديني المتوفى ٢٣٤هـ. ذكره له في «**إيضاح المكنون**» ٢/٣٠٩.

* ولهذا الإمام الناقد كتاب «**صلح النبي ﷺ**» ذكره له في «إيضاح المكنون» ٢/٣١٠.

* و«**صفة النبي ﷺ**» لابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي مولاهم البغدادي المؤدب المتوفى ٢٨١هـ، صاحب التصانيف السائرة، وهي كثيرة جداً، قال الذهبي: وفيها مخبآت وعجائب. وذكر طائفة من تصانيفه ومنها: «صفة النبي ﷺ»(١).

* و«**صفة أخلاق النبي ﷺ**» لداود بن علّي الظاهري المتوفى ٢٧٠هـ. وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٣/١٠٤.

* و«**صفة النبي ﷺ والأخلاق النبوية**» كلاهما لإسماعيل القاضي المالكي المتوفى ٢٨٢هـ شيخ الإسلام، صاحب التصانيف الكثيرة، وقد ذكره له الحافظ السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص٩١.

* و«**معيشة النبي ﷺ**» للإمام أبي داود السجستاني صاحب «السنن» المشهورة المتوفى ٢٧٥هـ. وقد ذكر له هذا الكتاب واقتبس منه نصاً الحافظ أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى ٨٢٦هـ في كتابه «المستفاد من مهمات المتن والإسناد» ٣/١٤٤٨.

* و«**الشمائل**» لأبي بكر بن المقرئ ـ محمد بن إبراهيم بن علي ـ الحافظ الكبير المتوفى ٣٨١هـ. وقد ذكر له هذا الكتاب الكتانيُّ في «الرسالة المستطرفة» ص١٠٥.

* وكذلك «**أخلاق النبي ﷺ**» لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي المتوفى

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٣/٤٠٢.

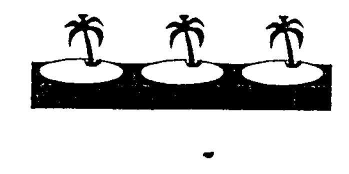
٣٩٥هـ، وهو من اللغويين ذوي العناية والدراية بالأثر والدراسات الإسلامية عموماً، وله مؤلفات في التفسير والفقه وأصول الفقه وغير ذلك.

* و«**صفة النبي ﷺ وصفة أخلاقه**» رواية أبي علي محمد بن هارون الأنصاري المتوفى ٣٥٣هـ. وهو في ظاهرية دمشق في إحدى وأربعين ورقة.

وغير هذه الكتب مما لا يزال في عالم المخطوطات.

وهذه الكتب وتلك تنقل بالإسناد، وهي مما يضم الصحيح والحسن والضعيف والواهي والمتروك، وبعضها أمثل من بعض تبعاً لاختيارات مؤلفيها ومناهجهم، ووجود كتب «الرجال والجرح والتعديل» بين يدي الباحث مما ييسر المهمة، ويوصله إلى القصد.

وكتب «الشمائل» ومثلها كتب «الدلائل» وإن كانت جزءاً من كتب السنة النبوية إلا أن تفردها بموضوع خاص يجتزئ جانباً معيناً من حياة النبي ﷺ وسيرته هو الذي دعاني إلى إفرادها كمصدر مستقل.





كتب الدلائل[1]

وهي الكتب التي ألفها أصحابها بقصد جمع المعجزات التي ظهرت على يدي النبي ﷺ مما يدل على نبوته، وسُميت معجزات لأنَّ الخلقَ قد عجزوا عن الإتيان بمثلها. وهي على ضربين:

ضرب هو من نوع **قدرة البشر فعجزوا عنه**، فتعجيزهم عنه فعل لله دلّ على صدق نيته، كصرفهم عن تمني الموت، وأمثاله.

وضرب هو **خارج عن قدرتهم**، فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى، وقلب العصا حيَّة، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام شجرة، ونبع الماء من الأصابع، وانشقاقّ القمر، مما لا يمكن أن يفعلَه أحدٌ إلا الله، فيكون ذلك على يد النبيِّ ﷺ **من فعل الله تعالى**، وتحديه به من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له[2].

ومعجزات نبينا ﷺ غير القرآن الكريم كثيرة جداً، وقد ذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أنها تزيد على ألف ومائتين، وقال البيهقي في «المدخل»: بلغت ألفاً[3]، وهي وإن لم يبلغ واحدٌ منها معيناً القطع، لكن مجموعها يفيد العلم قطعاً.

وقد جعلها القاضي عياض نوعين:

الأول: **نوع مشتهر منتشر**، رواه العدد، وشاع به الخبر عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار، كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام وهو كثير جداً، وغالبُ ذلك كان يحصل في محافل المسلمين، ومجمع العساكر، ولم يؤثر عن الصحابة مخالفة الراوي فيما حكاه، ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه، فسكوت

---

(١) الدلائل: جمع دِلالة بالفتح والكسر، ودليلة والدلالة: الدليل، والدليلة: هي المحجَّة البيضاء.

(٢) انظر: «الشفا» ١/ ٢٥٢.

(٣) انظر: «فتح الباري» ٦/ ٥٨٣.

الساكت كنطق الناطق. إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب، وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم.

والثاني: **نوع اختص به الواحد والاثنان**، ورواه العدد الكبير، ولم يشتهر اشتهار غيره، لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى، واجتمعا على الإتيان بالمعجز[1].

ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ﷺ أوتي من خوارق العادات شيءٌ كثيرٌ، كما يقطع بجود حاتم، وشجاعة علي، وعدل عمر، وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد.

قال القاضي عياض: «وما عندي أوجب قول القائل: (إن هذه القصص من باب الواحد) إلا قلةُ مطالعته الأخبار وروايتها، وشُغْلُه بغير ذلك من المعارف، وإلا فمن اعتنى بطرق النقل، وطالع الأحاديث والسِّير لم يَرْتَبْ في صحة هذه القصص المشهورة، ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد، ولا يحصل عند آخر، فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة، وأنها مدينة عظيمة، وآحاد الناس لا يعلمون اسمها فضلاً عن وضعها».

وقد ضمت كتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد والمعّاجم كثيراً من أحاديث الدلائل النبوية إلى جانب العدد الضخم من المؤلفات الخاصة في هذا الموضوع ومنها:

* «**الحجة في إثبات نبوة النبي ﷺ**» لبشر بن المعتمر، من كبار المعتزلة ببغداد، وتوفي ٢١٠هـ، ذكره له ابن النديم في «الفهرست» وغيره.

* و«**الدين والدولة في إثبات نبوة النبي ﷺ**» لعلي بن ربّن الطبري المتوفى ٢٤٧هـ وهو على طريقة المتكلمين والفلاسفة لا يذكر الأسانيد، ويناقش الأديان الأخرى، واعتقادي أنَّ المعلومات التي يسوقها عن السيرة النبوية كانت في عصره شائعة عند الخاص والعام، ولعدم تخصصه في علم الحديث فاستغنى بذلك عن الأسانيد، والكتاب مطبوع.

* و«**أمارات النبوة**» لإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني المتوفى ٢٥٩هـ ومنه مختارات في المكتبة الظاهرية بدمشق.

---

(١) انظر: «الشفا» ١/ ٢٥٥، و«الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» لإمام الحرمين ص٣٥٣.

* و«**دلائل النبوة**» للحافظ الكبير أبى زُرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي المتوفى ٢٦٤هـ قال الحافظ ابن كثير: وهو كتاب جليل(١).

* و«**أعلام النبوة**» لداود بن علي الأصبهاني المتوفى ٢٧٠هـ، ذكره له ابن النديم في «الفهرست».

* و«**أعلام النبوة**» للحافظ أبي داود السجستاني ـ سليمان بن الأشعث ـ صاحب «السنن» المتوفى ٢٧٥هـ، وهو مرتب على الأبواب كالسنن كما يبدو ذلك من قول الحافظ ابن حجر فيه(٢).

* و«**دلائل النبوة**» أو «أعلام النبوة»، كما يسميه القاضي عياض.

* و«**معجزات النبي ﷺ**»، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ، ذكرهما غير واحد في مؤلفاته، وسمى الأول أبو البركات الأنباري: «دلائل النبوة» من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام(٣). واقتبس منه نصوصاً عديدة الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «الوفا بأحوال المصطفى»(٤).

* «**أعلام النبوة**»، لسليمان الفراء بن حفص بن أبي العصفور المتوفى ٢٦٩هـ، ذكره الخشني في علماء أفريقية ص٢٨٦.

* و«**أعلام النبوة**» للحافظ شيخ الإسلام أبي حاتم الرازي المتوفى ٢٧٧هـ، قال الزركلي: هو في مكتبة محسن الهمذاني في ناربورة بالهند(٥).

* و«**دلائل النبوة مع غرائب الأحاديث**» لإبراهيم بن هيثم البلدي المتوفى ٢٧٧هـ، ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ.

* و«**دلائل النبوة**» للحافظ ابن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١هـ، ذكره له السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ».

* وذكر في مصنفاته مؤلف آخر أسموه: «**أعلام النبوة**»، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٣.

* ولهذا الحافظ المكثر من التصنيف كتاب آخر في الموضوع هو: «**هواتف**

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» ٢٥٩/٤.
(٢) انظر: «تهذيب التهذيب» ٦/١، و«فتح الباري» ٩/٣.
(٣) انظر: «نزهة الألباء في طبقات الأدباء» ص٢١٠.
(٤) انظر: «الوفا» ٦١/١ ـ ٧٢، ١٠٤ وغيرها.
(٥) «الأعلام» ٢٧/٦.

الجان»، ذكره صاحب كشف الظنون[1].

* و«**دلائل النبوة**» للإمام الحافظ شيخ الإسلام إبراهيم بن إسحاق الحربي المتوفى ٢٨٥هـ، ذكره له أبو يعلى في طبقات الحنابلة ١/٨٦، كما ذكره غير واحد.

* و«**دلائل النبوة**» لابن أبي عاصم، اقتبس منه الحافظ ابن تيمية في أكثر من موضع في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» انظر: ٢/٤٣٢ ـ ٤٣٤.

* «**الدلائل**» لعلي بن الحسن بن فضال الكوفي الشيعي المتوفى نحو ٢٩٠ ذكر له في هدية العارفين.

* و«**دلائل النبوة**» للحافظ جعفر بن محمد الفريابي المتوفى ٣٠١هـ وهو في ظاهرية دمشق.

* و«**الدلائل**» لقاسم بن ثابت السرقسطي المتوفى ٣٠٢هـ، ذكره له غير واحد منهم الحافظ ابن سيد الناس في سيرته «عيون الأثر» ١/٢٦٥، وقد ذكر غير واحد من العلماء أن «الدلائل» لقاسم السرقسطي هو في شرح ما أغفله أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث. وقد أثنى عليه غير واحد، وتوفي قبل أن يتمه، فأتمه أبوه أبو القاسم ثابت بن حزم، وهو حافظ كبير توفي بسرقسطة سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة بعد الثلاثمئة. ولا زال هذا الكتاب أو بعضه محفوظاً وموجوداً في الخزانات ومنها الخزانة العامة بالرباط.

* كتاب «**المعجزات**» لأبي جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القصري المتوفى ٣٢٢هـ، وكان إماماً صالحاً ثقة، جماعاً للكتب، كتب بخطه ما لم يكتبه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتبه عارفاً بها، قال ابن الأجدابي: كان ثقة صالحاً حسن الحديث والتصنيف.

قال القاضي عياض في «ترتيب المدارك» ٥/١٣٩: ومن تأليفه كتابه في المعجزات، وكان يقول: لو سبقني أحد لدفن كتبه لأمرتهم أن يدفنوني مع المعجزات حتى ألقى بها رسول الله ﷺ.

وكان يقول: ربما انتبهت من النوم فأرى نوراً من السماء ينزل على كتاب «المعجزات».

---

(١) انظر: «المجلد» ٢/٢٠٤٧.

* و«دلائل النبوة» للحافظ محمد بن أحمد العسال المتوفى ٣٤٩هـ، ذكره السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ».

* و«دلائل النبوة»، لأبي بكر محمد بن الحسن النقاش المتوفى ٣٥١هـ، ذكره له الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٩٠٨ والسخاوي في «الإعلان بالتوبيخ».

* و«دلائل النبوة» للحافظ الكبير أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني صاحب «المعاجم» المتوفى ٣٦٠هـ، قال الحافظ الذهبي في «التذكرة» ٣/ ٩١٣: هو في مجلد.

* و«دلائل النبوة» للحافظ أبي الشيخ ابن حيَّان المتوفى ٣٦٩هـ ذكره السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»، واقتبس منه ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٤.

* و«دلائل النبوة» للحافظ أبي حفص بن شاهين المتوفى ٣٨٥هـ.

* و«دلائل النبوة» لأبي محمد عبد الله بن محمد الفقيه، قلت: ولعله المترجم في طبقات الشافعية ٣/ ٣٠٦. عبد الله بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي رستم بن ماهان أبو محمد الأصبهاني الواعظ المتوفى سنة ٣٨٩هـ، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة وأشهر، وصلّى عليه الفقيه أبو بكر بن فورك.

وقد ذكر له هذا الكتاب الناجي في عجالة الإملاء على الترغيب والترهيب وقال: هو في مجلد كبير حافل كثير الفوائد[1].

* و«دلائل النبوة» للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مندة المتوفى ٣٩٥هـ، ذكره السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»، والسيوطي في «الخصائص الكبرى» ١/ ١٠٤.

* و«أعلام النبوة ودلائل الرسالة» لأبي المطرف عبد الرحمن بن فطيس بن أصبغ القرطبي المتوفى ٤٠٢هـ، وهو في عشرة أسفار، كما ذكر ذلك ابن بُشْكُوَال في «الصلة» ١/ ٣١٢.

* وكتاب «دلائل النبوة» ولعله هو المسمى «شرف المصطفى» لأبي سعد الخركوشي النيسابوري، الواعظ القدوة الزاهد، المتوفى ٤٠٧هـ، وهو كتاب مشهور، ذكره له غير واحد، منهم ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري فيما نسب للأشعري» ص٢٣٤، وابن العماد في «شذرات الذهب» ٣/ ١٨٤.

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» الحديث رقم (٣٣٥٤) ٣/ ١٥٥.

* وكتاب «**معجزات النبي ﷺ**» لعبد الله بن محمد بن أبي علّان قاضي الأهواز المتوفى سنة ٤٠٩هـ وهو من كتاب المعتزلة جمع في كتابه ألف معجزة، ذكره له ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/٧.

* و«**دلائل النبوة**» لأبي ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى ٤٣٤هـ، ذكره ابن خير الأشبيلي في «فهرسته» ص٢٨٦.

* و«**الدلائل**» لمحمد بن أحمد بن سليمان الهروي، ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٦/٥٥٧.

* «**أعلام النبوة**» للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المتوفى ٤٦٣هـ. وقد ذكره هو بنفسه في صدر كتابه «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص٦.

وأبو عمر حافظ كبير من أهل الحديث والرواية، وله في كتابه «الدرر في اختصار المغازي والسير» تحقيقات وتدقيقات، وتصحيح وتضعيف. ولا يستبعد أن يكون له في «أعلام النبوة» مثل ذلك.

* «**الإعلام بمعجزات النبي ﷺ**» للشقراطسي، عبد الله بن يحيى بن علي، أبو محمد الشقراطسي التوزري، الفقيه المالكي، المتوفى ٤٦٦هـ من قلعة قرب قفصة بتونس، وهو من أبناء توزر وفحول نبغائها، كان له الباع الطويل في العلوم الدينية وفنون الآداب، واشتهر ذكره في الآفاق بقصيدة فريدة في مدح النبي ﷺ وفي سيرة الصحابة تعرف بالشقراطيسية وسماها ابن خير «اللامية» وأولها:

الحمد لله منا باعث الرسل

أنشدها بالمدينة تجاه القبر الشريف، وشرحها جماعة من أهل العلم. وذكر كتابه «الإعلام في معجزات النبي ﷺ» الزركلي في «الإعلام» ٤/ ١٤٥.

وقال ختمه بقصيدته اللامية وهو القائل:

ضاءتْ لمولودِ الآفاقُ واتَّصلَتْ ... بُشرَىٰ الهواتفِ في الإشراقِ والطَّفلِ
وصَرْحُ كِسْرَى تداعَىٰ من قواعدِه ... وانقضَّ مُنْكَسِرَ الأرْجاءِ ذا مِيَلِ
ونارُ فارِسَ لم تُوقَدْ وما خَمَدَتْ ... مِنْ ألفِ عامٍ، ونهرُ القَوْمِ لم يسلِ
خرَّت لمولدِه الأوثانُ وانْبَعَثَتْ ... ثواقِبُ الشُّهْبِ تَرْمِي الجِنَّ بالشُّعَلِ

* وانظر «فهرس ابن خير الأشبيلي» ص٤١٩، و«شجرة النور الزكية» ص١١٧.

* «**أعلام النبوة**»، لأبيِّ عبيد، عبدِ الله بن عبد العزيز بن محمد البكري

القرطبي المتوفى ٤٨٧هـ. قال ابن بُشكوال في «الصلة» ١/ ٢٨٧ ترجمة رقم (٦٣٣): وهو من أهل اللغة والآداب الواسعة، والمعرفة بمعاني الأشعار والغريب والأنساب والأخبار، متقناً لما قيده، ضابطاً لما كتبه. جميل الكتب، مهتماً بها.

وقال: جمع كتاباً في أعلام نبوة نبينا ﷺ أخذه الناس عنه. وانظر: «الأعلام» للزركلي ٤/ ٩٨.

* و«**دلائل النبوة**»، لأبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري الدلائي الأندلسي المتوفى ٤٧٨هـ وكان حافظاً محدثاً متقناً، عالي الإسناد، ومن جلالته أن إمامي الأندلسي ابن عبد البر وابن حزم قد رويا عنه، ذكره له غير واحد، ومنهم الذهبي في «سير النبلاء» ١٨/ ٥٦٨، وابن العماد في «شذرات الذهب» ٣/ ٣٥٧.

* و«**دلائل النبوة**» للحافظ الكبير قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني أبي القاسم المتوفى ٥٣٥هـ. وهو في مجلد، كما يقول الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٢٨٠. ويوجد بالمكتبة السعيدية بحيدر آباد بالهند. وقد حقق قسم منه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد طبع ١٤٠٩هـ بدار طيبة بالرياض.

في آخرين كثيرين كلهم من العصور الأولى التي تنقل بالإسناد غالباً، ويجد الباحث في كل واحد منها شيئاً لا يجده في الآخر بصفة عامة.

وإن كان بعض هذه الكتب وغيرها قد فقد، فقد استمدّ منها اللاحقون، ولا يستبعد ظهور بعضها في مقبل الأيام.

* ومن الكتب التي حفظت لنا كتابان هامان وهما: «**دلائل النبوة**» لأبي نُعيم الأصبهاني المتوفى ٤٣٠هـ، و«**دلائل النبوة**»[1] للحافظ الكبير أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وفيه يقول الذهبي في «سير النبلاء» ٢٠/ ٢١٦: «عليك به فإنّه كله هدًى ونورٌ وشفاءٌ لما في الصدور» ويقول الحافظ السخاوي: «وهو أحفظها» (كذا) ولعلها أفضلها[2]. وهما ينقلان الأحاديث بالإسناد، وفيهما كذلك الحديث الصحيح والحسن والضعيف، ولكن المنهج يعري ذلك. وقد شرط

---

(١) انظر: «الرسالة المستطرفة» ص١٠٥، و«الرسالة المحمدية» ص٩٦، قلت: وهو كتاب حافل مليء بالعلم والنصوص الهامة.

(٢) قلت: بل لعلها (أحفلُها) (ن).

البيهقي على نفسه في مقدمة كتابه أن يردفَ كل حديث بما يستحقه من البيان صحة أو ضعفاً كعادته في كتبه فقال ١/ ٤٦:

«ويعلم أنَّ كلَّ حديث أوردتُه فيه قد أردفتُه بما يشيرُ إلى صحته، أو تركتُه مبهماً وهو مقبول في مثل ما أخرجتُه، وما عسى أوردته بإسنادٍ فيه ضعف أشرتُ إلى ضعفه، وجعلتُ الاعتمادَ على غيرِه.

وقد صنف جماعة من المتأخرين في المعجزات وغيرها كتباً، وأوردوا فيها أخباراً كثيرة، من غير تمييز منهم صحيحها من سقيمها، ولا مشهورها من غريبها، ولا مرويها من موضوعها، حتى أنزلها من حسنت نيته في قبول الأخبار منزلة واحدة في القبول، وأنزلها من ساءت عقيدته في قبولها منزلة واحدة في الردّ.

وعادتي في كتبي المصنفة في الأصول والفروع، الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو التمييز بين ما يصح وما لا يصح، ليكون الناظر فيها من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه، ولا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الأخبار مغمزاً فيما اعتمد عليه أهل السنة من الآثار.

ومن أنعم النظر في اجتهاد أهل الحفظ في معرفة أحوال الرواة، وما يقبل من الأخبار وما يرد، علم أنهم لم يألوا جهداً في ذلك، حتى كان الابن يقدح في أبيه إذا عثر منه على ما يوجب ردّ خبره، والأب في ولده، والأخ في أخيه، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تمنعه في ذلك شجنة[1] رحم ولا صلة مال، والحكايات عنهم في ذلك كثيرة، وهي في كتبي المصنفة في ذلك مكتوبة».

وهذه الكلمة القيمة من هذا الإمام الحافظ تلقي نوراً كاشفاً، وتعطي منهجاً واضحاً لما نحن بصدده من بيان مناهج كتابة السيرة النبوية وتقويم كتبها، فعليك بها أيها القارئ الكريم وترسمْها في بحوثك وأعمالك العلمية لتصل إلى الحقيقة التي يقر لها المخالف والموافق من طالبي الحق.

* ومن الكتب المحكمة في هذا الباب كتاب **«تثبيت دلائل النبوة»** لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المتوفى ٤١٥هـ وهو مطبوع متداول[2] وهو محذوف الأسانيد، وقد أجاد فيه وأبدع، وأفاد، وقد قال فيه العلامة الكوثري رحمه الله: لم نرَ ما يقارب كتاب «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار

---

(١) لعلها (وشيجة) (ن).

(٢) وقد حققه الدكتور عبد الكريم عثمان رحمه الله تعالى.

في قوة الحجاج وحسن الصياغة في دفع شكوك المتشككين، وهو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ، إلا أن فيه بعض النصوص الضعيفة والواهية يسوقها في خضم ما يسوق من نصوص للاستشهاد.

* كما طبع كتاب «**أعلام النبوة**» لأقضى القضاة الماوردي الشافعي المتوفى ٤٥٠هـ، وهو لطيف في بابه، ومجرد من الإسناد، لكنه كتاب رائق متسلسل جدير بالناشئة العناية به وقراءته.

* وقد جمع السيوطي في كتابه القيم «**الخصائص الكبرى**» طائفةً كبيرة من الدلائل والشمائل، كما جمع غيره من المتأخرين كتباً كثيرة في هذا الباب لا تدخل في إطار منهجنا وبحثنا عن المصادر الأصول.

وإن إفراد الدلائل والشمائل والأخلاق النبوية بكتب خاصة أو ببحوث خاصة أمر هام جداً ويشكل مادة خصبة وهامة أمام أصحاب الدراسات الاجتماعية، والدراسات النفسية، ولعل النظر فيها يفتح لهؤلاء مشارع جديدة في هذه الدراسات، ولذلك وجب تقديمها لهم صحيحة نقية بعيدة عن الضعيف والواهي والموضوع.

ويمكننا هنا أن نضيف بعض المصنفات التي اقتصرت على موضوعات معينة، وهي معدودة في المصادر الأولى الأصول، ومنها:

* «**مولد النبي ﷺ**» لمحمد بن عمر الواقدي المتوفى ٢٠٧هـ. ذكره له سزكين في «تاريخ التراث العربي» عن الظاهرية، وذكر له في «المستدرك على تاريخ التراث» نسخة أخرى بالجامعة الإسلامية رقم (٤٠٣)هـ، وقد ذكر له ابن النديم في «الفهرست» ص١١١. من جملة مصنفاته: كتاب «وفاة النبي ﷺ» و«كتاب السيرة». واقتبس منه السهيلي في الروض الأنف ١/ ١٠ وسماه في ١/ ١٧ انتقال النور، وهي من جملة ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق.

* «**المولد**» لأبي عبد الله محمد بن عايذ القرشي المتوفى ٢٣٣هـ صاحب المغازي، وقد اقتبس من هذا الكتاب الحافظ مغلطاي في كتابه «الإشارة إلى سيرة المصطفى» ص٧١.

* «**مولد النبي ﷺ**» للحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني الزاهد قاضي أصبهان المتوفى ٢٨٧هـ. ولا شك أن هذا الكتاب على طريقة المحدثين في الرواية بالأسانيد، إذ إن أبا بكر من أهل العلم، وله تصانيف كثيرة جداً جمعت أسماؤها في جزء فزادت على ثلاثمائة مصنف، ومنها «المسند الكبير»، «والآحاد والمثاني»، و«المختصر من المسند» وغيرها.

وقد ذكر له كتاب المولد الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الإمام الغزالي ١٦/ ٢٢٧، والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» في ترجمة الغزالي كذلك، نقلاً عن عبد الغافر الفارسي، وذكر أنه من رواية الشيخ أبي بكر محمد بن الحارث الأصبهاني الإمام عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ـ المعروف بأبي الشيخ ـ عن المصنف.

ورواه الغزالي عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الخواري، وذكر السبكي نصاً منه، وقال عبد الغافر الفارسي: وتمام الكتاب في جزأين مسموع له.

وقد نقل الحافظ مغلطاي في «الإشارة» ص٧١ نصاً في وصف خاتم النبوة من سيرة ابن أبي عاصم. فهل هو كتاب المولد، أو هو كتاب آخر في السيرة النبوية؟.

* «**المولد والوفاة**» لأبي القاسم حسين بن مفرج المتوفى ٣٠٨هـ وقد سمع هذا الإمام من أصحاب سحنون، وغلب عليه الحديث، وكان عالماً به وبرجاله، وكان ذا عناية وبصر بالوثائق. قال القاضي عياض في «ترتيب المدارك» ٥/ ١٣٠: وله كتاب حسن في تاريخ المولد والوفاة.

* «**المولد**» لأبي زكريا يحيى بن مالك بن عايذ العايذي المتوفى ٣٧٦هـ.

قال عنه الذهبي في «السير» ١٦/ ٤٢١: الإمام المجود، الحافظ المحقق أبو زكريا الأندلسي، وذكره في «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠٠٣ وقال الحافظ الكبير.

وقد اقتبس منه الصالحي في «سبل الهدى والإرشاد» ١/ ٣٢٩.

* «**وفاة النبي ﷺ**» للإمام عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي، المتوفى سنة ٦٠٠هـ صاحب المصنفات ومنها: «الأحكام الكبرى، والصغرى».

وقد ذكر له هذا الكتاب ـ الوفاة ـ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢١/ ٤٤٧ ضمن مصنفاته، وقال: هو في جزء.

* كما ذكر له كتاباً آخر اسمه: «السيرة»، وقال: في جزء كبير، ومصنفات هذا الإمام لا شك أنها كبيرة الفائدة.

* وما تقدم من التآليف في المولد ينقض ما شاع من أن الحافظ ابن دحية عمر بن الحسن الكلبي الأندلسي المتوفى ٦٣٣هـ ـ هو أول من ألف المولد حين صنف كتاب: «**التنوير في مولد السراج المنير**» وهو كتاب مشهور، اقتبس من غير

واحد. ومنهم الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٦/ ٢٩٥.

وقد جمع هذا الكتاب للسلطان مظفر الدين أبو سعيد كُوكُبُري بن علي بن بكتكين التركماني حاكم إربل المتوفى ٦٣٠هـ، وكان رجلاً ديناً خيراً صالحاً يحب الفقهاء والمحدثين، ويحتفي بذكرى المولد كل عام، وينفق أموالاً طائلة على ذلك ذكرت في ترجمته.

وقد ذكر المقَّري في «نفح الطيب» ٢/ ١٠٤: أن ابن دحية ألف كتابه «السراج المنير» سنة ٦٠٤هـ.

* وألف معاصر ابن دحية أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين العزفي السبتي المتوفى ٦٣٣هـ كتابه: «**الدر المنظم في مولد النبي المعظم ﷺ**»، ومات أبو العباس قبل أن يكمله، وأتمه ابنه أبو القاسم أمير سبتة، وقد ترجمهما المقري في كتابه «أزهار الرياض في أخبار عياض» ٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦.

وقال السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص٥٣٢: (الدر المنظم في المولد المعظم) في مجلدين استطرد فيه لزوائد على موضوعه.

وقد كثر التأليف في المولد بعد هذه الفترة كثرة ظاهرة واستمر لعدة قرون.

* وللحافظ ابن دحية كتابان يحسن ذكرهما هنا، ويتعلقان بالموضوع ـ وإن كانت كتب هذا العصر ليست معدودة من الأصول ـ وهما: «**الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات**» ذكره له المقري في «نفح الطيب» ٢/ ١٠٤، و«هدية العارفين» ١/ ٧٨٦. ولخصه الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٢/ ٣ وما بعدها.

* وله كتاب: «**نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ**» قال في «هدية العارفين» ١/ ٧٨٦: جزءان في مجلد، واقتبس منه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٦/ ٢٠٩.

* وله كتاب: «**الأسماء النبوية**» اقتبس منه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٦/ ٥٥٨، وقال: قال ابن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية، قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسماً.

وقال: لو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم، وذكر في تصنيفه المذكور أماكنها في القرآن والأخبار، وضبط ألفاظها وشرح معانيها، واستطرد كعادته إلى فوائد كثيرة.

وذكره له السخاوي في كتابه: «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» ص٧٣.

واقتبس منه الصالحي في «سبيل الهدى والرشاد» عدة نصوص، وسماه بعضهم: «**المستوفى في أسماء المصطفى**».

* ولابن دحية «**المعراج**»، وسماه بعضهم: «**الابتهاج في المعراج**» وذكره السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص٥٣٤.

* وله «**سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب**» وغير ذلك،

ونوع آخر:

* «**أسماء آلات النبي ﷺ وسلاحه**» لعلي بن فضال الكوفي الشيعي المتوفى ٢٩٠هـ ذكره له في «هدية العارفين».

* و«**تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها**»، لحماد بن إسحاق بن إسماعيل المتوفى ٢٦٧هـ، وهو مفيد في بابه وقد طبع.

* و«**أسلاف النبي ﷺ**» لمحمد بن إسحاق المسيبي المديني المتوفى ٢٣٦هـ ذكره له السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص٥٣٣ وترجمه محمد بن إسحاق المسيبي في «تاريخ بغداد» ١/ ٢٣٦.

* «**آباء النبي ﷺ**» لأبي علي أحمد بن محمد بن عمار، عالم الشيعة بالكوفة، المتوفى ٣٤٦هـ، وله تآليف ذكر له هذا الكتاب الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٥٦٦.

ونوع آخر من التصنيف:

* «**المعراج**» لمحمد بن حسان الكوفي الخراز - من أهل القرن الثالث - وقد ضعفه أبو حاتم الرازي وغيره، وذكر كتابه هذا كما في كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٨.

* «**المعراج**» للحافظ الكبير أبي نُعيم الأصبهاني المتوفى ٤٣١هـ، وهو من رواية الشيخ الإمام المحدِّث المعمّر أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني الحداد عن أبي نعيم كما ذكر ذلك الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٣٠٦.

* «**المعراج**» لإسحاق بن بشر، لعله أبو حذيفة البخاري المتوفى ٢٠٦هـ، وهو صاحب كتاب «المبتدأ»، وله بقية في الظاهرية، وقد اقتبس عنه المصنفون. وهو ضعيف جداً عند المحدثين. ولهذا المصنف كتاب في الفتوح، وله كتاب في «المعراج» كما يفهم من نص الذهبي في كتابه «السيرة النبوية» ص١٨٢.

ونوع آخر وهو:

* «**خُطب النبي ﷺ**» للعلامة الحافظ الأخباري أبي الحسن علي بن محمد المدائني المتوفى ٢٢٥هـ، وقد ذكره له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٠/٤٠٢ وإسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين» ١/ ٦٧١.

* «**خُطب النبي ﷺ**» للإمام الحافظ الكبير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى ٤٣٠هـ، ذكره له الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٩/٣٠٦.

* «**خُطب النبي ﷺ**» للإمام الحافظ جعفر بن محمد المستغفري صاحب التصانيف المتوفى ٤٣٢هـ، وقد ذكره له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٦٤، والبغدادي في «هدية العارفين» ١/ ٢٥٣.

ونوع آخر من ذلك هو:

* «**فضل الصلاة على النبي ﷺ**» للعلامة الحافظ الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي المتوفى ٢٨٢هـ، وهو مطبوع.

* كتاب «**الصلاة على النبي ﷺ**» للحافظ الكبير ابن أبي عاصم أحمد بن عمرو المتوفى ٢٨٧هـ صاحب التصانيف. وقد اقتبس منه ابن قيم الجوزية في كتابه «جلاء الأفهام»، وابن حجر في «لسان الميزان» ٢/١٠٧، والسخاوي في «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» في مواضع، انظر منها: ص١١٤ وغير واحد، وكأنه قد طبع، إذ رأيت بعض المعلقين يحيل إليه مطبوعاً.

* كتاب «**الصلاة على النبي ﷺ**» لمحدث أصبهان عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ بن حيان المتوفى ٣٦٩هـ. وقد اقتبس منه ابن قيم الجوزية في كتابه «جلاء الأفهام»، والسخاوي في «القول البديع» ص١٢٧.

* وكتاب «**فضيلة النبي ﷺ**» للمروزي، ولعله الإمام محمد بن نصر المروزي الإمام الكبير المتوفى ٢٩٤هـ، وقد اقتبس منه الحافظ ابن قيم الجوزية في «بدائع الفوائد».

وإن لم يكن هو فلعله محمد بن حمدان المروزي، وقد نقل عنه أبو سعيد شعبان بن محمد الآثاري في كتابه «الخير الكثير في الصلاة والسلام على البشير النذير» الحديث الثلاثين.

* كتاب «المنبي في أسماء النبي ﷺ» لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي المتوفى ٣٩٥هـ، وقد اقتبس منه السخاوي في «القول البديع» ص٧٦.

* ويقرب منها - ليس من المصادر الأصول - كتاب «أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار» لأبي العباس الإقليشي، أحمد بن سعد بن عيسى المتوفى بقوص نحو سنة ٥٥٠هـ، قال في مقدمته: «أستخير الله الواحد الملك القهار، بعد حمده الذي هو من أنفس الأذكار، وصلاته على نبيه الطاهر المختار، في جمع أربعين حديثاً من الآثار المختصة بفضل الصلاة على نبيه نور الأنوار، ليلبس المصلي عليه من صفائها أصفى شعار، ويلهج بها لسانه في العشي والأبكار»، وقد جمعها من «موطأ مالك»، و«صحيح مسلم»، و«السنن» وغيرها، وهو مخطوط في عدة مكتبات ومنها الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع تحت رقم (٢٤٢).

واقتبس منه السخاوي في «القول البديع» ص٢٦١ وذكره له غير واحد.



٥

كتب المغازي والسِّير[١]

. وهذه الكتب تعنى بصفة أساسية بمغازي رسول الله ﷺ وحروبه، ولا تخلو من التمهيد لذلك بالحديث عن أشياء أخرى من حياته وتاريخ العرب، وقد كانت المغازي النبوية محطَّ عناية المسلمين منذ الصدر الأول، وظهرت هذه العناية واضحة عند الصحابة وأبناء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وهم يسألون آبائهم عن مشاهدهم مع رسول الله، وذكرياتهم عنها؛ لأن هؤلاء الأبناء يعتزون بسابقة آبائهم أو بمواقفهم المشرفة إلى جانب النبي ﷺ.

* **فعبد الله بن الزبير** يسأل أباه الزبير وهو يمدّ يده إلى جراحة كانت في صدره عن أسبابها وقصتها ومواقفه مع رسول الله ﷺ.

---

(١) المغازي: جمع مغزى، وهو موضع الغزو، ويمكن أن يكون مصدراً من غزا، فيقال: غزا يغزو، غزواً، ومغزىً ومغزاةُ، وهو غازٍ، والغزو: السير إلى قتال العدو ويأتي بمعنى القصد.
قال الأزهري: والمغزى، والمغزاة، والمغازي: مواضع الغزو، وقد تكون الغزو نفسه، ومنه الحديث: كان إذا استقبل مغزىً.
وتكون المغازي: مناقبهم، وغزواتهم.
والغزوة: المرة الواحدة من الغزو.
قال ثعلب: وإذا قيل: غزاة؛ فهو عمل سنة، وجمع الغزاة: الغزوات، وغزا الشيء غزواً: إذا طلبه، وأراده.
وجمع غاز: غزاة، كقضاة، وغُزّى: كسبَّق، وجاءت في القرآن الكريم ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ [آل عمران:١٥٦]، وغزيّ: كنديّ، ونجيّ، وغزّاء كفساق.
وأغزيت فلاناً: إذا جهزته للغزو، ومغزى الكلام: مقصده، وجعله الزمخشري من المجاز.
أقول: واشتهرت باسم المغازي، لبيان مواضع غزو النبي ﷺ للكفار، وسيره إليهم، سواء كان الكفار في بلادهم أو غير بلادهم أينما كانوا، وذكر فضائل النبي ﷺ وفضائل أصحابه. وسوابقهم ومناقبهم فيها. وتضم المغازي ما قصده النبي ﷺ وتوجه إليه بنفسه، أو بإرسال جيشٍ من قبله.
والسير: هي أمور الغزو، كالمناسك هي: أمور الحج.

* وعازب بن الحارث بن عدي الأنصاري والد البراء يشتري أبو بكر الصديق رضي الله عنه منه رحلاً فيقول أبو بكر لعازب مُر ابنك - البراء - فليحمله معي، قال: لا حتى تحدثنا كيف هاجرت أنت ورسول الله ﷺ وذكر الحديث بطوله وهو في «صحيحي البخاري ومسلم» وغيرهما.

وكان **ابن عباس** يأتي أبا رافع مولى رسول الله ﷺ فيقول: ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا؟ ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب بها، كما ذكره ابن سعد في «طبقاته»، والخطيب البغدادي في «تقييد العلم».

وقد جعل ابن عباس حلقة درسه فنوناً كما أخرج ذلك ابن سعد في «الطبقات» فكان يجلس يوماً يذكر فيه الفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر وأيام العرب.

ومع الأيام كانت تنمو العناية بالسيرة، فلما جاء التابعون أعطوها كل الاهتمام.

* من ذلك ما جاء عن **عبد الله بن محمد بن عقيل** قال: كنا نأتي جابر بن عبد الله فنسأله عن سير رسول الله ﷺ فنكتبها، ذكر ذلك الخطيب البغدادي بسنده في كتابه «تقييد العلم»، وغيره[١].

* وأخرج الخطيب[٢] عن **إسماعيل بن محمد بن سعد** قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ، ويعدها علينا، وسراياه ويقول: يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها.

* وعن **علي بن الحسين** رضي الله عنه قال: كنا نعلَّم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلَّم السورة من القرآن[٣].

ونظراً لشيوع هذا العلم في عهد التابعين وإقبالهم على البحث والتنقيب عنه قال الإمام الزهري: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا.

* ومن أبرز الذين اشتهروا بذلك **أبان بن الخليفة الراشد عثمان بن عفان** رضي الله عنه وقد ولد على الأرجح قبل سنة ٢٠ هجرية[٤] واستمرت حياته إلى أن

---

(١) انظره في: «تقييد العلم» ص١٠٤.

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ٢/ ١٩٥.

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ٢/ ١٩٥. وانظر: «البداية والنهاية» لابن كثير ٣/ ٢٤٢.

(٤) انظر: «المغازي الأول ومؤلفوها» ص٣، انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد» ط. بيروت ٥/ ١٥١، و«التاريخ الصغير» للبخاري ١/ ٢١٥.

توفي في عهد الوليد، كما يرى ذلك الإمام البخاري أي بين سنة ٨٦ ـ ٩٦هـ، أما ابن سعد فيرى أن وفاته كانت في عهد يزيد الثاني أي بين ١٠١ ـ ١٠٥هـ.

وعلى أية حال فقد جاءتنا نصوص تدل دلالة واضحة على أن أباناً قد دون مجموعات في السيرة النبوية، وكانت تقرأ عليه ويأمر بتعليمها.

فقد جاء في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي؛ قال الواقدي: حدثنا يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه أنه لم يكن عنده خط مكتوب من الحديث. إلا مغازي رسول الله ﷺ أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيراً ما يقرأ عليه، وأمرنا بتعلمها[1].

وقد أخرج الزبير بن بكار في «الموفقيات» عن عمه مصعب بن عبد الله عن الواقدي قال: حدثني ابن أبي سبرة عن عبد الرحمن بن يزيد قال:

قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجاً سنة اثنتين وثمانين، وهو ولي عهد، فمرّ بالمدينة، فدخل عليه الناس فسلَّموا عليه، وركب إلى مشاهد النبي ﷺ التي صلى فيها، وحيث أصيب أصحابه بأُحد، ومعه عمرو بن عثمان، وأبان بن عثمان، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي أحمد، فأتوا به قباء، ومسجد الفضيخ، ومشربة أم أبراهيم، وأُحد، وكل ذلك يسألهم ويخبرونه عمّا كان.

ثم أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي ﷺ ومغازيه، فقال أبان: هي عندي قد أخذتها مصححة ممّن أثق به، فأمر بنسخها وألقى فيها إلى عشرة من الكتاب، وكتبوها في رقّ، فلمّا صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين، وذكر الأنصار في بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، إما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان:

أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه أن القول بالحق هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا.... إلى أن قال:

ثم إن سليمان جلس مع قبيصة بن ذؤيب فأخبره خبر أبان بن عثمان وما نسخ من تلك الكتب، فقال قبيصة:

من الحظ أن تعلمها وتعلّمها ولدك وأعقابهم... ثم قال قبيصة: لقد رأيتني أنا وهو ـ يعني عبد الملك بن مروان ـ وعدّة من أبناء المهاجرين ما لنا علم غير

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/٢١٠، و«تهذيب الكمال» للمزي ٢٨/٣٨٦.

ذلك حتى أحكمناه، ثم نظرنا بعد في الحلال والحرام.

وإن صح هذا الخبر الهام ولا يبعد ففيه دلالة قوية واضحة على عناية أبناء المهاجرين والأنصار بهذا العلم، ورغبة الخلفاء والأمراء به، وتدوينه من لدن العارفين الثقات، وتداول تلك المدونات منذ الصدر الأول، ثم توالى ذلك عبر القرون، ولهذا كله شواهد تؤكده من صحيح النصوص ووثيق النقول، إلا أن أمر أبناء الصحابة مع من تلاهم من المصنفين والمؤلفين في هذا الباب ينطبق عليه قول ابن الأثير: كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه، ومبتدع لأمرٍ لم يُتَقدّم فيه عليه فإنه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر.

* ومن هؤلاء **عروة بن الزبير بن العوام** حواري رسول الله ﷺ المتوفى سنة ٩٤، قال محمد بن يوسف الصالحي: أول من صنف في المغازي عروة بن الزبير ثم تلاه تلميذاه: موسى بن عقبة ومحمد بن شهاب الزهري[(١)].

وقد اقتبس من مغازي عروة البيهقي في كتابه «الاعتقاد» ص٣٣٩ وغير واحد من الأئمة.

وجمع مغازي عروة من المصادر الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ما أمكنه جمعه، وطبع مستقلاً.

* **وشرحبيل أبو سعد** وهو مولى بني خطمة المدنيين، وقد توفي سنة ١٢٣هـ وقد نيف على المائة، قال ابن المديني: قلت لسفيان بن عيينة: كان شرحبيل أبو سعد يفتي؟ قال: نعم، ولم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه[(٢)].

وذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٦/١١٦؛ عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا سفيان بن عيينة قال: كان بالمدينة شيخ يقال له: شرحبيل أبو سعد، وكان من أعلم الناس بالمغازي، قال: فاتهموه أن يكون يجعل لمن لا سابقة له سابقة، وكان قد احتاج، فأسقطوا مغازيه وعلمه، قال إبراهيم: فذكرت هذا لمحمد بن طلحة بن الطويل ـ ولم يكن أحد أعلم بالمغازي منه ـ فقال لي: كان شرحبيل أبو سعد عالماً بالمغازي، فاتهموه أن يكون يدخل فيهم من لم يشهد بدراً ومن قتل يوم أحد، والهجرة، ومن لم يكن منهم، وكان قد احتاج فسقط عند الناس، فسمع بذلك موسى بن عقبة، فقال: وإن الناس قد اجترؤوا على هذا، فدبَّ على كبر

---

(١) انظر: «سبل الهدى والرشاد» ٤/١١.

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ١/٣٧، وزاد: (واحتاج ـ أي افتقر ـ فاتهموه)، و«تهذيب الكمال» ١٢/٤١٥، و«تهذيب التهذيب» ٤/٣٢١.

السن، وقيد من شهد بدراً وأحداً، ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة وكتب ذلك.

* ومن هذه الطبقة كذلك **وهب بن منبه** وهو من الأبناء الذين أسلموا، وكان مطّلعاً على الكتب السابقة، ولذلك كانت له عناية بهذا الجانب أي جانب السيرة النبوية، وأحاديثه عن أهل الكتب السابقة كانت أحد المشارع التي دخلت منها إلى الثقافة والفكر الإسلاميين، وقد نقل ابن سعد في «الطبقات» بإسناده عن وهب قوله: لقد قرأت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل... ولعل ذلك إن صح يعني به فصولاً من كتب الله السابقة كالسور من القرآن الكريم، وليست كتباً مستقلة والله أعلم.

ونقل بإسناد آخر عنه: لقد قرأت ثلاثين كتاباً نزل على ثلاثين نبياً[1] وقد عزا عدد من الكتاب والمؤلفين كتباً لوهب في الإسرائيليات وغيرها، ومنها قطعة في «المغازي» عثر عليها المستشرق بيكر بين مجموعة أوراق بردي شتارينهارت المحفوظة الآن بهيدلبرج، وتاريخ نسخ هذه القطعة ٢٢٨هـ، فهي ليست بعد وفاة وهب بأكثر من مئة عام، وتبدأ بالعبارة التالية: أخبرنا محمد بن أبي بكر أبو طلحة ثنا عبد المنعم عن أبيه عن أبي الياس عن وهب، ويتكرر ما في هذا الإسناد إلى وهب[2].

وعلى أية حال، فعبد المنعم كذاب، كان يكذب على وهب وعلى أبيه وغيرهما، وهو ابن بنت وهب.

ولم تصلنا بشكل عام من هذه الطبقة كتب تامة في السيرة، وإن كان قد وصلنا روايات من طريقها.

وقد تلت هذه الطبقة طبقة أخرى فيها ثلاثة أسماء كانت تتمتع بشهرة واسعة في السيرة وهم:

* **عبد الله بن أبي بكر بن حزم.**

* **وعاصم بن عمر بن قتادة**، وقد أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن يقرأ في الجامع الأموي قصص المغازي ومناقب الصحابة وتوفي ١٢٠هـ.

* ومحمد بن شهاب الزهري توفي ١٢٤هـ.

وقد رويت من طريق هؤلاء الثلاثة روايات كثيرة في السيرة النبوية خصوصاً الزهري، الذي كان إماماً فيها إلى جانب إمامته في علوم أخرى، ومن علمه فتق

---

(١) انظر: «الطبقات» ٥/٥٤٣.

(٢) انظر: «المغازي الأولى ومؤلفوها» ص٣٥، وانظر: ترجمة عبد المنعم في «المجروحين من المحدثين» لابن حبان ٢/١٥٧، و«التاريخ الصغير» للبخاري ٢/١٨٠.

تلاميذه تصنيف السيرة على الحوليات والأبواب، ولم يصلنا كذلك عن هؤلاء الثلاثة كتب خاصة في الموضوع، إلا ما يذكر عن «**سير الزهري**» فقد ذكره له السهيلي في «الروض الأنف»[1] وقال: (وهي أول سيرة في الإسلام) وذُكر له كتاب «**مشاهد النبي ﷺ**» رواه عنه يونس بن يزيد الأيلي المتوفى ١٥٩هـ ذكره السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»، كما ذكر له كتاب «**المغازي**» يرويه عنه الحجاج بن أبي منيع المتوفى نحو ٢١٦هـ، وستأتي الإشارة لذلك.

حتى إذا ما جاء تلامذة الزهري أخذت التآليف في السيرة طوراً جديداً، وأبرز تلامذته الذين دونوا هم: موسى بن عقبة، ومعمر بن راشد، ومحمد بن إسحاق.

* أما **موسى بن عقبة** المتوفى نحو ١٤١هـ فقد عدّه الأئمة الثقات من المتخصصين في هذا الفن فكان الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثني عليه، ويقول: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة، وكذلك الإمام الشافعي كان يعتمد مغازي موسى بن عقبة، وقد عول عليها البخاري في «صحيحه»، إلا أن كتابه لم يُعرف له أصل كامل حتى الآن، وقد نشر إدوارد سخاو ما وجده منه مع ترجمة ألمانية سنة ١٩٠٤م، ولعل مقبل الأيام يكشف عن كتابه، ليلقي لنا ضوءاً مهماً على ما بأيدينا من كتب في السيرة.

وقد أخذ المحدثون من «مغازي موسى بن عقبة» بعضاً من جانب السيرة، وأدخلوه في كتبهم الجامعة. ومن المتقدمين الإمام البيهقي، فقد اقتبس منه في كتابه «الاعتقاد» ص٣٣٩ ـ ٣٥١، وابن عبد البر في كتابه «الدرر في اختصار المغازي والسير» في مواضع كثيرة.

وقد وصفه الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٦/ ١١٤ بقوله: الإمام الثقة الكبير، كان بصيراً بالمغازي النبوية، ألفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك.

وقال: أما مغازي موسى بن عقبة، فهي في مجلد ليس بالكبير سمعناها وغالبها صحيح، ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة.

وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في تأليفه المسمى «كتاب دلائل النبوة».

---

(١) انظر: ١/ ٢٠٥، ٢١٤.

وقد اقتبس الذهبي في كتابه في السيرة نصوصاً كثيرة منه، واقتبس منه ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ١/١٥٠ في مواضع.

* أما **معمر بن راشد**، وقد توفي نحو سنة ١٥٤هـ فقد وصلنا عنه روايات منثورة في «تاريخ الطبري» و«طبقات ابن سعد»، وكتب الواقدي. وقد ذكر له ابن النديم كتاباً في المغازي، ونشرت نبيهة عبود قطعة منه عام ١٩٥٩م، لم أرها.

وعلى أية حال فمعمر مذكور في أوائل المصنفين تصنيفاً منهجياً في الإسلام وله كتاب «الجامع»، مشهور، طبع مع مصنف تلميذه عبد الرزاق الصنعاني.

وقد وجدتُ ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول» ٢/٢٢٦. قد اقتبس نصاً من مغازي معمر فقال: وروينا في مغازي معمر عن الزهري في قصة الفتح وذكر النص مطولاً.

* وأما **محمد بن إسحاق** فقد كان إمام هذا الفن أعني فن السيرة لمن بعده على اختلافهم بلا منازع، فكتابه في «**المغازي**» كان المصدر الخصب، والمادة الأساسية لكل من يكتب أو يتحدث في السيرة، ويندر جداً أن تجد مؤلفاً بعده يتعرض للسيرة ولا ينقل عن ابن إسحاق.

رأى محمد بن إسحاق سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه وسعيد بن المسيَّب، وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأبان بن عثمان بن عفان، والزهري، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وقد روَى عنه الأئمة الكبار: يحيى بن سعيد الأنصاري، وسفيان الثوري، وابن جريج، وشعبة، والحمادان، وسفيان بن عيينة وآخرون، وتوفي سنة ١٥٠هـ أو ١٥١هـ.

ولقد كانت عدالة محمد بن إسحاق بين أخذ وردّ، فقد روى له الإمام مسلم في «صحيحه» مقروناً بآخر كما روى عنه أصحاب «السنن الأربعة»، وعلق له البخاري في «صحيحه» ولكنه لم يسلم من غوائل الجرح الشديد، وكان يتصدر الجارحين عالمان جليلان مالك بن أنس، وهشام بن عروة، أما مالك فلما ذكر عنده قال عنه. دجال من الدجاجلة، وأما هشام بن عروة فلما بلغه أن محمد بن إسحاق يروي عن زوجه فاطمة بنت المنذر قال: ألعدو الله الكذاب يروي عن امرأتي من أين رآها؟!

وقال: رمي بالقدر والتشيع، ومع كل هذا فقد عدّه كثيرون عالماً جِهْبذاً، بل قال فيه شعبة بن الحجاج: هو أمير المؤمنين في الحديث، وأثنى عليه الزهري، وما اتهمه به مالك وطعنه به، ومثله هشام بن عروة لم يسلّم به، ولم يرتضه كثير من الأعلام،

وقد أنصف الحافظ الكبير أبو أحمد ابن عدي وهو مَنْ هو في نقد الرجال وكتابه «الكامل» أساسٌ في هذا الباب حيث قال: وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف وربما أخطأ أو يهم في الشيء بعد الشيء كما يهم غيره.

وقد ساق الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في صدر سيرته «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» جميع الأقوال فيه تقريباً وفنَّدها، وكان يجنح إلى تقوية أمره وتوثيقه[1].

إلا أن أمراً كان يتفق عليه الجميع في شأن ابن إسحاق ألا وهو إمامته في المغازي والسير، فقد كان الجميع يقرون له بذلك، ويعولون عليه، ويرجعون لكتابه، قال الشافعي: من أراد المغازي فهو عيال على ابن إسحاق، ولهذا يقول الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: إمام المغازي. وأنصف ابن سيد الناس بقوله: «هو العمدة في الباب لنا ولغيرنا.

أما كتابه ويسمى «المغازي» فلم يظهر حتى الآن كاملاً. وقد طبع في المغرب قسم منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي منذ عهد قريب وطبع ثانية في المشرق بتحقيق الدكتور سهيل زكار، ولا يبعد أن يظهر في المستقبل كاملاً، ولكن ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ الذي روى هذا الكتاب عن تلميذ ابن إسحاق زياد البكائي المتوفى سنة ١٨٣هـ قد اعتصره وهذبه.

وإذا نظرنا النقول التي في «تاريخ الطبري»[2]، و«تاريخ مكة» للأزرقي، وفي «طبقات ابن سعد» وغيرها من كتب المحدثين الذين كتبوا في السيرة، أمكننا بناء تصور صحيح عن وضع هذا الكتاب، ومنه نتبين أنه مقسم إلى ثلاثة أقسام، المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

فالمبتدأ عالج فيه ما كان من أحداث ورسل ووحي قبل الإسلام، واعتمد في ذلك على وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وكتب اليهود والنصارى التي وصلت إلى أيدي العرب والمسلمين، أو عن طريق أهل الكتابين الذين دخلوا في الإسلام، كما عرض في هذا القسم تاريخ القبائل العربية وبعض أحداثها، يقول هورفتش: وجملة

---

(١) انظر في ابن إسحاق: «تقريب التهذيب» ٢/ ١٤٤، و«خلاصة تذهيب الكمال» ص٢٧٨، و«عيون الأثر» ١/ ٨، وغيرها من المراجع الكبيرة.

(٢) استفدنا في هذه الجزئيات هنا من كتاب المستشرق يوسف هورفتش «المغازي الأولى ومؤلفوها»، ترجمة حسين نصار، فهو قيّم في بابه، وفيه فلتات صليبية استشراقية واضحة وليست بالقليلة.

القول: إن الأسانيد نادرة في المبتدأ، وهي في أغلب الأحيان في الفصل الأول[1].

أما القسم الثاني ـ **المبعث** ـ ويشمل حياة النبي ﷺ في مكة والهجرة. وفي هذا القسم يروي بأسانيده غالباً، أو يرسل أو يسوق الخبر بلا إسناد، وفي هذا القسم تفرد محمد بن إسحاق برواية المعاهدة التي كتبها النبي ﷺ بينه وبين المشركين واليهود في المدينة.

وفي القسم الثالث الذي عرض فيه **لغزوات النبي ﷺ وحروبه بشكل رئيسي**، وأحداث الجماعة المسلمة بشكل عام إلى مرض النبي ﷺ ووفاته.

وكان يسلك في هذا القسم مسلك التقسيم للأحداث على السنين، ويبرز أسانيده ورواته الذين روى عنهم «ويستخدم ابن إسحاق منهجاً محدداً لعرض الغزوات الفعلية، حيث يقدم ملخصاً حاوياً للمحتويات في المقدمة، ويتبعه خبراً جماعياً مؤلفاً من أقوال أوثق أساتيذه ـ كالزهري، وحميد الطويل، وعاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر ـ ثم يكمل الخبر الرئيس بالأخبار الفردية التي جمعها من المراجع الأخرى».

وقد كان ابن إسحاق حريصاً جدّاً على تلقي الوثائق المكتوبة والمحفوظة عن أساتذته ومعاصريه، وكان طلّابة لهذا الفن، كثير السؤال عنه، حتى اشتهر بذلك، فكان يأتيه الناس وأصحاب الأسر ليحدثوه عن أمجاد آبائهم، ويحملون له في ذلك أشعاراً قيلت في المناسبة، فيرويها في كتابه، ومن هنا نقده محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١هـ وغيره بأنَّ كثيراً من هذه الأشعار غير صحيح، وبعض الأشعار التي كانت في كتابه ذكرها على أنها منقولة من عهد عاد وثمود والقرون الخوالي!!! ولهذا أقدم ابن هشام على حذف كثير من هذه الأشعار، وكانت سبباً للطعن في ابن إسحاق، وقد كلم في ذلك فاعتذر بأنه غير عالم بالشعر!!.

وعلى أية حال فلو قُيِّض لكتاب محمد بن إسحاق أن يظهر موحداً كاملاً لكان من أنفع الكتب وأجلها وموقفنا منه كالتالي:

ما يتعلق بالأمم السابقة قبل الإسلام فإن أصاب فيه أو أخطأ فلن يضير سيرة سيدنا محمد ﷺ في شيء، وهو وغيره ممن عاصروه أو جاؤوا بعده أو سبقوه في هذا الباب سواء.

وما جاء في المبعث والمغازي ويستعمل فيها غالباً الإسناد، وبذلك تكون

---

(١) «المغازي الأولى» ص٨٤.

الدالة على الأسانيد مع النظر إليه بالثقة في ذاته، وما أرسله أو ساقه بدون إسناد، وخالف فيه حديثاً جاء بإسناد صحيح فنستأنس به، ونعتمد الإسناد الصحيح، إلا إذا جاء ما يرجحه من المرجحات الأخرى، وإن لم يكن له معارض فابن إسحاق مقدم في هذا على كل من سواه، وقوله في هذا الباب حجة، وهذا منهج علماء المسلمين الذي سبروا الطرق والروايات، ومن هؤلاء أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني إذ نراه يقدم الحديث الصحيح على ما رواه أصحاب السير بمن فيهم ابن إسحاق. وقد قال في «فتح الباري»[١]: والحكم بكون الذي في السير أثبت مما في الصحيح مردود، وإذا لم يرد في صحيح الأسانيد شيء يعوّل عليه كما في تفصيله لخبر فداء أسرى بدر، وقد قال ابن حجر في ذلك: وقد ساق ابن إسحاق تفصيل أمر فداء أسرى بدر فشفى وكفى.

وقد أُحصيتُ لابن إسحاق مخالفاتٌ وشذوذات لم يوافق عليها، لأنها عارضت الصحيح من ذلك: قوله إن الخارجين إلى الحديبية كانوا سبعمائة، وقد جاء في الصحيح أنهم كانوا ألفاً وأربعمئة، وفي روايات أخرى صحيحة أكثر من ذلك[٢]. ولهذا قالوا: إن قوله هذا كان منه تفقهاً، وليس روايةً، لأنه اعتمد على أن الهدي كان سبعين وكان لكل عشرة بدنه.

ومن ذلك قوله في أصحاب الرجيع كانوا ستة، والبخاري يروي بإسناده الصحيح أنهم كانوا عشرة. انظر: «عيون الأثر» ٢/ ٤١، وانظر: «صحيح البخاري بشرح الفتح» ٧/ ٢٧٨.

ومثله في بعث أصحاب بئر معونة، فكان يرى أنهم أربعون رجلاً، ويرى البخاري وآخرون أنهم سبعون رجلاً. انظر: «صحيح البخاري بشرح الفتح» ٧/ ٢٨٥، وكذلك معارضته لما جاء في «صحيح مسلم» وغيره من شهود سعد بن عبادة بدراً[٣].

وأود أن أشير هنا إلى أن ما يذكر من اعتماد ابن إسحاق على الزهري في السيرة لم يتبين لي هذا الأمر من خلال القطعة التي طبعت أخيراً، وقد أحصيت المواضع التي روى الأحداث فيها من طريق الزهري فكانت نحو خمسة عشر موضعاً.

وهذه المواضع جلُّها إن لم نقل كلُّها قد وردت في الصحاح والسنن وليس فيها خبر غير معروف، وهذا يؤكد كلام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في ابن إسحاق: ومحمد بن

(١) انظر: ٧/ ٤٢١، وانظر كذلك: ٧/ ٤٦١.
(٢) انظر: «فتح الباري» ٧/ ٤٤١.
(٣) انظر: «صحيح مسلم» باب غزوة بدر، رقم (١٧٧٩).

إسحاق إذا ذكر سماعه من الرواية وكان ثقة استقام الإسناد[1].

ويبدو لنا في هذه القطعة التي طبعت كثرة الزيادات التي زادها يونس بن بكير، وبضعة مواضع من زيادات أحمد بن عبد الجبار الذي رواها عن يونس بن بكير. انظر: ص٢٠٩ و٢٦٩.

وكان كتابه وما زال أقوم الكتب وأنفعها، ونحن وإن لم نطّلع عليه كاملاً فقد نقل ابن هشام السيرة عن ابن إسحاق من طريق أبي محمد زياد بن عبد الله البكائي - بفتح الباء الموحدة وتشديد الكاف - وهو صدوق ثبت في المغازي، كما قرره غير واحد من الأئمة.

وقدم ابن هشام الصورة القريبة التي توضح أبعاده لنا، وتعطينا تصوراً عن هيكله الأساسي، وكيفية سرده للوقائع والأحداث.

وقد بين ابن هشام منهجه في الاختصار بقوله: وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من المعرفة بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنّع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقصٍ - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به[2].

وقد بين في بعض المواطن ما فيه من كلمة غريبة، أو اسم مبهم، وخالفه في بعضها، وصحح ما يراه خطأ.

وقد لقي عمل ابن هشام هذا وتهذيبه عناية العلماء من بعده حتى يومنا هذا من شرح أو اختصار أو تخريج أو تهذيب، وممن أفاد وأجاد في ذلك الحافظ أبو ذر الخشني مصعب بن محمد بن مسعود إذ شرح غريب لغاته، وهو على وجازته واختصاره مفيد، وسماه: «**الإملاء المختصر في شرح غريب السيرة**».

ولا ننسى شرح الإمام السهيلي - عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي الأندلسي - المتوفى بمراكش سنة ٥٨١هـ على مختصر ابن هشام، وقد سماه: «**الروض الأنف والمشرع الروّى في تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة رسول الله ﷺ واحتوى**» فإنه قيم في بابه، مليء بالعلم والفائدة، وبيان الصحيح والضعيف، وقد عرّج فيه كثيراً على اللغة والأنساب، مسايرة لعصره.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» ١/٩٩.

(٢) انظر: ٢/١ من «سيرة ابن هشام».

وقد اختصر «الروض الأنف» الإمام شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ، وسماه: «بلبل الروض»، وتبعه على اختصاره آخرون.

* وعلق الحافظ مغلطاي على «الروض الأنف» و«السيرة» كتاباً في مجلدين قال محمد بن يوسف الصالحي: رأيته بخطه، تعقب فيه السهيلي كثيراً في النقل وذكر شرح كثير من غريب السيرة الذي أخل به، وهو شيء كثير واف.

قلت: ولعل كتاب هذا هو المسمى بـ «الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم» ومن هذا الكتاب اختصر كتابه «الإشارة»[(١)].

* ومن المتخصصين في السيرة والذين أذاعوا هذا العلم، وتركوا بعدهم أثراً في ذلك محمد بن عمر الواقدي الأسلمي، ولد سنة ١٣٠هـ وتوفي ٢٠٧هـ ببغداد. سمع ابن أبي ذئب، ومعمر بن راشد، ومالك بن أنس، وابن جريح، والثوري وآخرين، يقول الخطيب البغدادي عنه: سارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته وبعد وفاته ﷺ.

وقد وقف المحدثون وعلماء الجرح والتعديل من الواقدي مواقف متباينة انتهوا إلى أمر يهمنا هنا، ألا وهو معرفته بالمغازي والسير، وعدم الاعتماد عليه في رواية الحديث والحلال والحرام، ولهذا يقول الحافظ في «تقريب التهذيب»: متروك مع سعة علمه[(٢)].

ولم يخرج له من الستة سوى ابن ماجه. وقد دافع عنه ابن سيد الناس في صدر سيرته «عيون الأثر» وساق الأقوال فيه[(٣)].

وعلى أية حال فقد كان الواقدي من أوعية العلم في فنون شتى، وقد وصلنا كتابه «المغازي» الذي اعتمد في تصنيفه على رواياته الخاصة وبعض الكتب المؤلفة في هذا الفن قبله[(٤)]، والجدير بالذكر هنا أن الواقدي قد تفرد بروايات لم يروها غيره.

يقول ابن سيد الناس: «وكثيراً ما أنقل عن الواقدي من طريق محمد بن سعد وغيره أخباراً، ولعل كثيراً منها لا يوجد عند غيره، فإلى ابن عمر انتهى علم ذلك أيضاً في زمانه»[(٥)].

---

(١) انظر: «سبل الهدى والرشاد» ٤/ ١١.
(٢) انظر: ٢/ ١٩٤.
(٣) انظر: ١/ ١٧ وما بعدها.
(٤) انظر لمحة عنه في: «المغازي الأولى» ص١٢٠ ـ ١٢٤.
(٥) «عيون الأثر» ١/ ٧.

ولا غرابة في ذلك، فقد كان من منهجه ما بينه هو بقوله: «ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم إلا سألته هل سمعتَ أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيتُ إلى الموضع فأعاينه، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها، وما علمت غزاةً إلا مضيتُ إلى الموضع حتّى أعاينه أو نحو هذا الكلام.

وقال ابن منيع: سمعت هارون الفروي يقول: رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة، فقلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حُنين حتّى أرى الموضع والوقعة»[1].

وهذا منهج جِدُ دقيق، فلا غرابة إذا تفرد بمعلومات دون غيره في هذا العلم الذي تخصص فيه، وكان يجلس في المسجد يقرئه الناس حزباً حزباً كما يقرئ غيره القرآن والحديث.

وقد نقم عليه أنه يسوق الروايات ذات الأسانيد العديدة بسياق واحد ويدمجها في بعضها، وقد أعطانا بذلك السيرة النبوية قصة ممتعة بأسلوب سهل، ولم يكثر فيها الأسانيد التي ثقلت على المتأخرين فلجؤوا إلى حذفها.

وعلى أية حال فقد تأتي في سيرة الواقدي روايات تخالف غيرها، كما حصل هذا في غزوات النبي ﷺ التي قاتل فيها، فابن إسحاق يرى أنها تسع غزوات، والواقدي يرى أنها إحدى عشرة غزوة، وقد اتفقا على أنه قاتل في: بدر، وأُحد، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وتبوك.

وزاد الواقدي أنه قاتل في غزاة وادي القرى، وذلك أن غلامه المعروف بمدعم رُمي بسهم فقتل، وقاتل في يوم الغابة، فقتل من المشركين يومئذ ستة نفر، وقُتل يومئذ محرز بن نضلة.

وإننا في هذه الحالة نلتمس الأدلة التي ترجح أحد الأطراف، لأن الواقدي لا يدفع في هذا الميدان، وفيه يقول الذهبي: رأس في المغازي والسيرة، ويقول: والواقدي - وإن كان لا نزاع في ضعفه - فهو صادق اللسان، كبير القدر[2] ويقول ابن كثير: والواقدي عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالباً، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوق في نفسه مكثار[3]. وإذا جاء عن الواقدي ما يخالف الصحيح يترك ليعوّل على الأسانيد الصحيحة بما جاء عن الواقدي.

---

(١) انظر: «عيون الأثر» ١/ ١٨.

(٢) «تذكرة الحفاظ» ١/ ٣٤٨، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ١٤٢.

(٣) انظر: «البداية والنهاية» ٢/ ٣٢٤.

ويشتد عليه في موضع آخر فيقول[1]: وهو لا يحتج به إذا انفرد، فكيف إذا خالف؟!).

* وقد انتفع بالواقدي ونشر علمه تلميذه الذي عرف به «كاتب الواقدي» وهو **(محمد بن سعد بن منيع)** المولود في البصرة عام ١٦٨هـ وتوفي سنة ٢٣٠هـ ومؤلف كتاب **«الطبقات»**، وقد طبع في عشرة مجلدات، خصص المجلد الأول والثاني منه لسيرة النبي ﷺ، وبقية الأجزاء لتراجم الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء.

وابن سعد بما أنه كان كاتباً عند الواقدي فهو ولا شك يكثر النقل عن ذلك الإمام في المغازي والسير، ولئن كان التجريح قد تناول أستاذه الواقدي، فإن ابن سعد كان ثقة عند علماء الجرح والتعديل، وإن كانوا قد عابوا عليه رواياته عن الواقدي والكلبي والإكثار منها، وفيه يقول الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: صدوق فاضل. وقال عنه أيضاً: أحد الحفاظ الكبار والثقات المتبحرين. وصنفه الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» مع الحافظ الكبار، وقال: الحافظ العلامة.[2] وقد أخرج له أبو داود في «سننه».

وقد التزم في كتابه «الطبقات» الإسناد خصوصاً فيما يتعلق بالسيرة النبوية وبما أنه كان حافظاً واسع الرواية روى عن كبار العلماء أمثال هشيم، ومعن بن عيسى، وسفيان بن عيينة، وابن عليَّة، وعن أقرانه يحيى بن معين وأمثاله، فقد استفاد من كل ذلك، ويسوق الروايات المسندة عن طريق هؤلاء.

ولم يكن يلتزم الإسناد الصحيح، فجاء فيه روايات شاذة، ومنكرة تظهر للباحث عند المعارضة والتقصِّي ومراجعة كتب السير الأخرى والرجال، وخصوصاً في القسم الأول منه فيما يتعلق بتاريخ ما قبل الإسلام حيث أكثر فيه عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ، الذي قال فيه الحافظ الذهبي: متروك ليس بثقة، وقلَّما يروي من المسند شيئاً، بل كان معروفاً بالأخبار والتاريخ، ويأخذ ذلك عن كل ضرب.

وعلى أي حال فابن سعد قد استفاد من كتب المصنفين قبله، وامتاز كتابه عنهم بعدة أمور منها إكثاره من أحاديث روايات الشمائل، وصفات رسول الله ﷺ الخلقيَّة والخُلُقيَّة، كما أنه أطال القول في حديثه عن رسل النبي ﷺ إلى الملوك والحكام في عصره، والوفود إليه، وكذلك عن وفاته ومرضه.

---

(١) انظر: «فتح الباري» ٧/٤٢٨، ٤٧٢، وانظر: «ميزان الاعتدال» لترى الأقوال فيه ٣/٣٦٢.

(٢) انظر: «تذكرة الحفاظ» ٢/٤٢٥، و«التقريب» ٢/١٦٣.

ومن خلال تراجم الصحابة نجد الكثير كذلك عنده فيما نحن بصدده من السيرة، وإن كانت تراجمه بعد طبقة الصحابة بدأت تضمر وتقصر، بل أحياناً يكتفي بذكر الاسم وكلمة واحدة في التوثيق، أو التجريح.

وعلى أية حال فهو كتاب غزير الفائدة، عظيم النفع في هذا الباب، ومن الأمهات الأصول للباحث في السيرة النبوية، والمجتمع الإسلامي في الصدر الأول.

ونظراً لاشتهار هذه الكتب المتقدمة في السير والمغازي، وخصوصاً كتب ابن إسحاق والواقدي، ربما خطر ببال الكثيرين كما يبدو من خلال كتاباتهم، ولا سيما المستشرقين، أنه لم يدوَّن في هذه الفترة غير هذه الكتب، وهذا غير صحيح، فقد وجد على امتداد هذه الفترة من يكتب في السير والمغازي، كما وجد من الأعلام من اشتهر بهذا الفن دون غيره خلال هذه الحقبة.

وقد كانت مؤلفات عديدة لهؤلاء الأعلام تنقل وتروى في شرق الأرض وغربها، وبقيت مستمرة إلى أعصر متأخرة، بل إنها بعضها قد ظهر وسينشر بحول الله.

وسأذكر بعضاً من هؤلاء الذين لا تزال آثار مؤلفاتهم في كتب المغازي والسيرة المتأخرة وهم:

* **أبو الأسود المدني**، محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، يتيم عروة بن الزبير؛ لأن أباه كان أوصى إليه، وكان جده الأسود من مهاجرة الحبشة، روى عن عروة وعلي بن الحسين، وسليمان بن يسار وآخرين. وقد روى عنه الزهري وهو من أقرانه، ويزيد بن قُسيط ـ ومات قبله ـ، ومحمد بن إسحاق، وابن لهيعة، وشعبة وآخرون كثيرون.

وقد أخرج له الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم، وقد وثقه غير واحد. قال ابن البرقي: لا يعلم له رواية عن أحد من الصحابة، مع أن سنه يحتمل ذلك، وقد توفي في آخر سلطان بني أمية وذلك في سنة بضع وثلاثين[1].

ولأبي الأسود كتاب في «**المغازي**» رواه عنه ابن لهيعة[2] كما يظهر ذلك من النصوص التي حفظت لنا في المصادر المتقدمة مثل «المعجم الكبير» للطبراني. انظر مثلاً: المجلد ٢٠ صفحة ٣٦٢ ومثل «الحلية» لأبي نعيم وغيرهما، وقد نقل

---

(١) انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» ٩/ ٣٠٧.
(٢) انظر: «الإعلان بالتوبيخ» ص٨٨، وانظر: «عيون الأثر» ٢/ ٨٦، ٧٩، ١٠٥، ١٠٧ وغيرها.

منه المتأخرون، ومنهم الحافظ ابن القيم المتوفى ٧٥١هـ في «زاد المعاد»، وابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» و«الإصابة» وغيرهما، والحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»[1].

ويبدو أن كل ما جمعه أبو الأسود هو من علم عروة. مع أنَّه روى عن غيره. وقد تفرد بروايات لا نجدها عند غيره من أصحاب هذا الشأن، كما يتبين ذلك من خلال المؤلفات المتأخرة، ومهما يكن من أمر فإن أبا الأسود أكبر سنّاً من ابن إسحاق. وقد توفي قبله كما قدمنا، وكانت له عناية وأي عناية بالمغازي والسير!! ومع ذلك لم يذكره المستشرق هورفتش في بحثه عن المغازي الأولى ومؤلفوها.

* **سليمان بن طرخان التيمي**، شيخ الإسلام، أبو المعتمر البصري، لم يكن من بني تيم، بل نزل فيهم، سمع أنس بن مالك، وأبا عثمان النهدي، وطاوساً، والحسن، وعنه شعبة، والسفيانان، وابن المبارك، وابنه المعتمر، وآخرون كثيرون وتوفي ١٤٣هـ، قال شعبة: ما رأيت أصدق من سليمان التيمي، وكان من العباد المجتهدين في العبادة، وقد أخرج له الجماعة، وأثني عليه الأئمة[2] وقد ألف سيرة ومغازي رواها عنه ابنه معتمر، ورواها عن ابنه محمد بن عبد الأعلى الصنعاني[3].

ومعتمر بن سليمان من الثقات الذين أخرج لهم الجماعة، وكذلك محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، ثقة أخرج له مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبو داود في غير «السنن»، وأثنى عليه الأئمة، ومات سنة خمس وأربعين ومئتين، وقد رويت هذه السيرة عن معتمر من غير طريقه، كما تبين من خلال النقول. وقد بقيت تروى وتُتداول حتَّى أعصر متأخرة، فنجد ابن خير الأشبيلي المتوفى ٥٧٥هـ يروي هذه السيرة ضمن مروياته، مع العلم بأنه كان وراقاً، ويروى الكتب المتداولة في عصره بين طلبة العلم وفي الأندلس خاصة.

وقد سماها «سيرة رسول الله ﷺ». انظر: ص٢٣١ وحفظت لنا منها نقول

(١) انظر: «زاد المعاد» ٣/ ٨ و٢٩٨، ٥٤٥/ ط. الرسالة، و«البداية والنهاية» ٤/ ٤٨، ٤٩، ٨٨، ٩٩، ٣٥٠ وغيرها، و«الإصابة» ١/ ٢١٣، ٢٨١، ٢/ ٢٩، ٤٥، ٥٠، ٧٢، و«فتح الباري» ١/ ٢٤، ٧/ ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٧٧ وغيرها.

(٢) انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ١٥٠، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٢٠٢.

(٣) انظر: «فتح الباري» ١/ ٢٣، و«الإعلان بالتوبيخ» ص٨٨، ٨٩.

في كتاب «الروض الأنف» للإمام السهيلي المتوفى ٥٨١هـ. انظر: ١/ ٢٧١، ٢٧٣، و٢/ ٤٨، ٥٣، ١٧٧، واقتبس منها الحافظ ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» ٣/ ٦٠٠ وغيره من المواضع. وقد ذكرها ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ وسماها «السيرة» كما في «فتح الباري» ١/ ٢٣ وأحياناً يذكرها باسم المغازي، ويبدو أنها كانت موجودة بين يديه ينقل عنها، كما يؤكد ذلك نقله في «فتح الباري» ٧/ ٤٩٧ و٨/ ٢٩/ ٥٠٦. وانظر: «فتح الباري» ١٣/ ٢٧٤ كتاب «الاعتصام» باب ٤ فقد سماها «السير».

وقد ذكر الدكتور سزكين أن الخطيب البغدادي قد استجاز رواية سيرة التيمي من المشيخة الذين أخذ عنهم[١]. ومن الملاحظ أن سليمان التيمي من أقران الزهري، وهو مثله من التابعين، ولم أرَ الذهبي في «التذكرة»، ولا الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ذكر أن الزهري من شيوخه. فلو كان له رواية عن الزهري في سيرته لذكرا ذلك، أما روايته عن ابن إسحاق فهي غير واردة هنا، لأن التيمي لم يرتضِ ابن إسحاق بل كذّبه[٢].

ومن هنا يتبين أن مخرج السيرة لم يكن واحداً بل جاء من طرق عديدة.

كما يبدو لي - والله أعلم - أن سليمان التيمي كان يلتزم الإسناد وبيان الرجال، ولا يسوق أحاديث جماعة الرواة مساقاً واحداً كما فعل ابن إسحاق. ويفرق بين ألفاظ الرواة، ويلتزم التحديث من كتبه وسماعه[٣].

* **ومجالد بن سعيد الهمداني**، المتوفى ١٤٤هـ روى عن كبار التابعين، وروى عنه شعبة والسفيانان وابن المبارك وأضرابهم، صنف كتاباً في السيرة، ذكره له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٦١ وابن حجر في «تهذيب التهذيب» ١٠/ ٤٠.

* **نجيح بن عبد الرحمن**، أبو معشر السندي المتوفى ١٧٠هـ.

قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٣٤: الفقيه صاحب «المغازي»، وقد استفاد من مغازيه غير واحد منهم الواقدي وابن سعد وغيرهما. وانظر: «فتح الباري» ٨/ ٤٣٩ ففيه اقتباس منه، و«الروض الأنف» ٢/ ٨٥.

---

(١) انظر: «تاريخ التراث العربي» ١/ ٤٥٧ ط. الهيئة العامة المصرية.

(٢) انظر: «التهذيب» ٩/ ٤٥.

(٣) انظر: «تهذيب التهذيب» ٤/ ٢٠٣، و«عيون الأثر» ٢/ ١٩.

* **عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري**، المتوفى ١٧٦هـ، وكان قاضياً لهارون الرشيد ببغداد، وله كتاب «المغازي» ذكره له ابن النديم في «الفهرست» ص٢٨٢.

* **هُشيم بن بشير** بن أبي حازم أبو معاوية الواسطي الحافظ الكبير المتوفى ١٨٣هـ، روى عن الجلّة من التابعين، وروى عنه الأئمة الكبار، وفيهم مالك وشعبة والثوري ـ وهم أكبر منه ـ وابن المبارك ووكيع وغيرهم، وله كتاب «المغازي» ذكره الزركلي في الأعلام ٨/ ٨٩ نقلاً عن التبيان لابن ناصر الدين.

* **إبراهيم بن سعد** بن إبراهيم أبو إسحاق المدني نزيل بغداد، روى عن أبيه، وصالح بن كيسان، والزهري، وهشام بن عروة وأضرابهم، وروى عنه شعبة بن الحجاج، ويزيد بن الهاد، وهما من شيوخه وغيرهم، وتوفي سنة ١٨٣هـ أو نحوها، له كتاب «المغازي» رواه عنه أحمد بن محمد بن أيوب البغدادي، وقرأه على الناس، كما ذكر ذلك ابن أبي خاتم الرازي في الجرح والتعديل ٢/ ٧٠.

وقال ابن سعد[١]: أحمد بن محمد بن أيوب كان وراقاً يكتب للفضل بن يحيى بن جعفر بن برمك، فذكر أنه سمع كتاب «المغازي» من إبراهيم بن سعد مع الفضل بن يحيى، وتوفي ببغداد سنة ثمان وعشرين ومائتين.

وقد يكون هذا الكتاب هو مغازي ابن إسحاق وهو أحد رواته، لكن يبعد أن يكون له كتاب في ذلك يحمل هذا الاسم، وأرجح الثاني لما يستفاد من نص الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣.

ونقل المزي[٢] عن يعقوب بن شيبة في ترجمة أحمد بن محمد بن أيوب قوله: كان وراقاً، فذكر أنه نسخ كتاب «المغازي» الذي رواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق لبعض البرامكة، وأنه أمره أن يأتي إبراهيم بن سعد فيصححها.

* **أبو إسحاق الفزاري**، إبراهيم بن محمد بن الحارث، الإمام صاحب التصانيف، روى عن حميد الطويل وأبي طوالة، وأبي إسحاق السبيعي، والأعمش، وموسى بن عقبة وآخرين، وروى عنه أبو عمرو الأوزاعي وهو من شيوخه، وابن المبارك، ومحمد بن كثير المصيصي، والمسيب بن واضح،

---

(١) «الطبقات» ٧/ ٣٥٣.

(٢) انظر: «تهذيب الكمال» ١/ ٤٣٢، وقبله «تاريخ بغداد» ٤/ ٣٩٤، فقد نقل النص عن يعقوب، وفيه نص آخر يذكر نسبة «المغازي» لإبراهيم بن سعد فتأمله.

وآخرون وقد وثقه الأئمه وأثنوا عليه، قال سفيان بن عيينة: كان إماماً، وقال العجلي: كان ثقة رجلاً صالحاً صاحب سنة، وهو الذي أدَّب أهل الثغر، وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه، وكان كثير الحديث، وكان له فقه.

وقد روى عنه الأئمة الستة في كتبهم، وقال الخليلي: أبو إسحاق الفزاري إمام يُقتدى، وهو صاحب كتاب «**السير**»، نظر فيه الشافعي وأملى كتاباً، على ترتيبه، ورضيه.

وقال الحميدي: قال لي الشافعي: لم يصنف أحد في السير مثله[١]، وكان الأوزاعي يجلُّه غاية الإجلال، ويقول: حدثني الصادق المصدوق أبو إسحاق الفزاري[٢].

وقد توفي أبو إسحاق سنة ١٨٦هـ على الراجح الذي اختاره البخاري[٣].

وسير أبي إسحاق بقي مرويا حتى أعصر متأخرة يتبين ذلك من النقول عنه، واعتماد المتأخرين عليه، فقد رواه ابن خير الأشبيلي عن شيوخه، وساقه من طريق محمد بن وضَّاح محدث الأندلس عن عبدِ الملك بن حبيب البزاز المصيصي عن أبي إسحاق مؤلفه[٤].

وفي «فتح الباري» للحافظ ابن حجر نص عن أبي علي الجياني المتوفى ٤٩٨هـ يدل على أنه كان موجوداً بين يديه. وعند ابن سيد الناس في «عيون الأثر» بعض النصوص منه[٥].

والكتاب منقول بالأسانيد على طريقة المحدثين، وقد أصبح بين يدي الباحثين والدارسين محققاً متقناً، وموردا لكل من قصد هذا العلم النافع، وصدر عن مؤسسة الرسالة في طبعته الأولى عام١٩٨٧م وقد عرفنا به وبقيمته هناك بما يشفي ويكفي إن شاء الله، فالحمد لله على ما ألهم ويسّر وعلّم.

* **علي بن مجاهد** بن مسلم بن رفيع الكابلي أبو مجاهد الرازي المتوفى في

---

(١) انظر: «تهذيب التهذيب» ١/ ١٥٢.

(٢) انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٧٣.

(٣) انظر: «التاريخ الصغير» ٢/ ٢٣٨.

(٤) انظر: ص٢٣٦.

(٥) انظر: «فتح الباري» ١/ ٣٣، ٦/ ٧٧، و«عيون الأثر» ٢/ ٢٣.

بضع وثمانين ومائة، من تلامبذ ابن إسحاق، وكتب عنه الإمام أحمد بن حنبل، له كتاب «**المغازي**» ذكره غير واحد ومنهم ابن معين، وتكلم في أسانيده، ونقل ذلك الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٢/١٠٧، والمِزي في «تهذيب الكمال» ٢١/١١٨ والحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ٧/٣٧٨. وغيرهم.

* الإمام الحافظ **الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي**، قال الذهبي: صنف التصانيف والتواريخ وعني بهذا الشأن أتمَّ عناية، وقال أحمد بن حنبل: ما رأيْتُ في الشاميين أعقل منه، وقال ابن جوصا: لم نزل نسمع أنه من كتب مصنفات الوليد صلح أن يلي القضاء وهي سبعون مصنفاً.

وقال ابن المديني: الوليد رجل أهل الشام، وعنده علم كثير، ولم استمكن منه، وقال غيره: كان الوليد بارعاً في حفظ المغازي[١] وقد روى عنه الجماعة، وتوفي الوليد بن مسلم سنة ١٩٥هـ[٢] وقد ذُكر له كتاب في «**السير**»، ذكره غير واحد من العلماء، منهم ابن النديم في «الفهرست» وسماه «المغازي»، وقال السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»: والوليد بن مسلم أبو العباس القرشي الدمشقي الذي قال أبو زرعة الرازي: إنه أعلم بأمر المغازي من الأوزاعي[٣].

وقد كانت هذه السير من مرويات ابن خير الأشبيلي، فقد قال في «فهرسته»: كتاب «**سير الوليد بن مسلم**» عن الأوزاعي حدثني به أبو محمد بن عتاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أخبرني أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: نا بها أبو القاسم خلف بن يحيى قال: قرأت على أبي المطرف عبد الرحمن بن عيسى بن مدراج قال: نا أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، قال: نا محمد بن وضَّاح قال: نا أبو العباس الوليد بن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عمرو الأوزاعي رحمه الله تعالى[٤].

وقد اقتبس منه غير واحد من الأئمة كابن عبد البر في «الاستيعاب» وغيره، والذهبي في «السيرة» في مواضع عديدة.

ولعل أكثر الأحاديث الواردة فيه عن الأوزاعي، ولا ضير في ذلك، وإلا لو كانت كلها للأوزاعي لنسب الكتاب إليه، أو لقيل: للأوزاعي كتاب في «السير» جمعه الوليد بن مسلم.

---

(١) انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/٣٠٢.

(٢) انظر: «التاريخ الصغير» للبخاري ٢/٢٧٦، و«تهذيب التهذيب» ١١/١٥١.

(٣) انظر: «الفهرست» ص١٥٩ وص٣١٨، و«الإعلان» ص٨٨.

(٤) انظر: ص٢٣٦.

ومن خلال النصوص التي حفظت منه خصوصاً عند ابن سيد الناس في «عيون الأثر» نرى أنه يروي عن غير الأوزاعي. انظر مثلاً في: ٢/ ١٣، ٨٦، ١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١١٣.

ويبدو لي كذلك أنه ملتزم للإسناد على طريقة المحدثين.

* **عبد الله بن وهب المصري**، الحافظ الكبير الذي شهد له مالك بالفهم والعلم، وهو من تلامذته المتوفى ١٩٧هـ له كتاب «**المغازي**» ذكره له غير واحد منهم القاضي عياض في «ترتيب المدارك» ٤/ ٥٠ والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٩/ ٢٢٥ و١٢/ ٦٧.

وقد ذكر عن إبراهيم بن المنذر الحزامي أن ابن معين كتب عنه أحاديث عبد الله بن وهب.

قال عثمان بن سعيد الدارمي: ظننتها المغازي[1]. وابن حجر في «تهذيب التهذيب» ١/ ١٦٧. وغيرهم.

* والحافظ الحجة يحيى بن سعيد القطان، إمام الجرح والتعديل، المتوفى ١٩٨هـ ذكره له صاحب «كشف الظنون» عمود ١٤٦٠.

قلت: ولعله اشتبه عليه بالحافظ يحيى بن سعيد بن أبان القرشي الأموي، فهو الذي توفي ١٩٤هـ، كما ذكر صاحب «كشف الظنون»، وهو الذي ذكر في المغازي، وقد حملها عن ابن إسحاق، واقتبس غير واحد من «**مغازي الأموي**»، ومنهم من يجعلها للأب يحيى بن سعيد، كما عند الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٤٤ حيث قال: وفي مغازي يحيى بن سعيد الأموي، وكما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٢٤: قال الأموي في «**مغازيه**»: حدثنا محمد بن إسحاق... والابن لا يروي عن ابن إسحاق. في نقول أخرى تجعل المغازي للأب.

ومنهم من يجعل المغازي للابن كما ذكر الذهبي في ترجمة الأب في «سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٣٠، فقال: وهو والد سعيد بن يحيى الأموي صاحب «**المغازي**»، وكذلك نسب الكتاب لابنه في ترجمة ابن الشجري ٢٠/ ١٩٥.

فأما سماعه المغازي عن ابن إسحاق. فقد قال ابن أبي خيثمة عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي: قال أبي: كان محمد بن سعيد ـ أخي ـ والعوفي سمعوا

(١) انظر: «تاريخ بغداد» ٦/ ١٨١.

المغازي سماعاً من ابن إسحاق، فأما أنا وأبو يوسف ـ يعني القاضي ـ وأصحابنا لنا عَرْضاً إلا الشيء يمر. انظره في: «تاريخ بغداد» ١٤/ ١٣٣، و«تهذيب الكمال» في ٣١/ ٣٢٢.

وسيأتي الحديث عن ابنه سعيد.

* **عبد الرزاق بن همام الصنعاني**، الحافظ الكبير صاحب التصانيف، روى عن الكبار، وارتحل في طلب العلم، وروى عنه الأئمة كأحمد بن حنبل، وإسحاق، وابن معين، والذهلي، والدبري. وغيرهم. وقد أثنى عليه الأئمة، وعلماء الإسلام. وإن وصف بالتشيُّع، وقد كفَّ بصره في أخريات أيامه فلقِّن ما ليس في كتبه، ولم ينقم عليه شيء قبل ذلك سوى التشيُّع.

ولد عبد الرزاق سنة ست وعشرين ومائة، وتوفي سنة إحدى عشرة ومائتين، وقد ترك وراءه تصانيف عديدة أجلها «**المصنَّف**»، وقد طبع أخيراً.

وله كتاب في «**المغازي**» رواه عنه إسحاق بن إبراهيم الدبري، ومن طريقه رواه محمد بن خير الأشبيلي ونصَّ على ذلك في (فهرسته). وذكره له الحافظ السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»[1]. واقتبس منه موفق الدين بن قدامة المقدسي في «المغني» ١٠/ ٥١٩. وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢٢/ ٣٥٧، وأنه هو ومغازي موسى بن عقبة من مسموعات المسند ابن باتكين إسماعيل بن علي المتوفى ٦٣١هـ.

* **أبو عبيدة معمر بن المثنى**، المتوفى ٢١٠هـ المصنف المكثار، له جزء في «**تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده**». وهو مطبوع بمجلة معهد المخطوطات بالقاهرة ١٩٦٧م المجلد ١٣. وطبع مستقلاً سنة ١٤٠٥هـ.

* **أبو الحسن علي بن محمد المدائني**، العلامة الحافظ الأخباري صاحب «التصانيف»، المتوفى ٢٢٥هـ قال الذهبي: كان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله، عالي الإسناد، له كتاب «**المغازي**».

قال ابن النديم: زعم أبو الحسن ابن الكوفي أنها عنده في ثمانية أجزاء جلود بخط ابن عباس.

---

(١) انظر: «فهرست ابن خير» ص٢٣٦، و«الإعلان بالتوبيخ» ص٨٨، وانظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» ١/ ٣٦٤، و«تهذيب التهذيب» ٦/ ٣١٠.

وله كذلك «رسل النبي ﷺ»، وقد أكثر من التصنيف في هذا الباب، وذكره له ابن النديم ص١١٣ كتباً كثيرةً من ذلك:

* «**عهود النبي ﷺ**».

* «**عمال النبي ﷺ على الصدقات**».

* «**أمهات النبي ﷺ**».

* «**رسائل النبي ﷺ**»، وقد اقتبس منه الحافظ في «الإصابة» ٢/٥٨، ٨٠ وسماه «رسل النبي ﷺ».

* «**كتب النبي ﷺ إلى الملوك**».

* «**آيات النبي ﷺ**».

* «**دعاء النبي ﷺ**».

* «**سرايا النبي ﷺ**».

* «**من كتب له النبي ﷺ كتاباً وأماناً**».

* كتاب «**الوفود**» - وفيه: وفود اليمن، ومضر، وربيعة.

* «**أزواج النبي ﷺ، وخبر الإفك**».

* «**أموال النبي ﷺ وكتابه**».

* وكتاب «**الخاتم والرسل**».

* و«**تسميةُ المنافقين، ومن نزل فيهم القرآن منهم ومن غيرهم، وأخبار المنافقين**».

* و«**تسمية الذين يؤذون النبي ﷺ**».

* و«**تسمية المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين**».

وكل هذه الكتب تدخل في السيرة النبوية وهي أصل في موضوعها.

وذكر له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٠/٤٠٢ بعض تصانيفه، ومنها: «**فتوح النبي ﷺ**».

* **أبو عمر الجرمي** صالح بن إسحاق النحوي المتوفى ٢٢٥هـ وكان محدِّثاً فقيهاً، عالماً بالنحو واللغة، قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٢/٤٨٦: كان جليلاً في الحديث والأخبار، وله كتاب في «**السير**» عجيب.

* **محمد بن عايذ القرشي**، أبو أحمد الدمشقي الكاتب من رجال أبي داود والنسائي، روى عن الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة الحضرمي وآخرين، وقد وثقه غير واحد منهم ابن معين، ودحيم، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي ٢٣٤هـ.

عرف بالمغازي التي ألفها حتَّى أصبح يقال له: صاحب «**المغازي**»[١]، وله كتاب «**الفتوح**».

وقد بقي كتابه هذا متداولاً معروفاً حتَّى الأعصر المتأخرة، وهو من المصادر التي اعتمدها ابن سيِّد الناس في «عيون الأثر»، وساق إسناده بهذا الكتاب إلى مؤلفه[٢] وأكثر النقل منه.

واقتبس منه ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» ٣/٥٣٦.

وأكثر النقل منه كذلك الحافظ ابن كثير في «البداية». انظر مثلاً: ٣/ ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥، وغيرها. ونقل منه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري». انظر: ٧/٣٠٢، ٣٢٦، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٦٠ وغيرها من المواضع. وذكره له الحافظ السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»[٣]. قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١١/١٠٦: جمع كتاب «المغازي» سمعت معظمه، وكتاب «الفتوح والصوائف»، وحلّاه بالإمام المؤرخ الصادق.

وقال الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ١١/٤ في وصف كتابه: كتاب كبير في ثلاثة مجلدات فيه فوائد ليست في كتاب ابن هشام.

ويبدو أن ابن عايذ كان يلتزم الإسناد، وينقل عمَّن سبقوه من المصنفين في هذا الباب مثل الوليد بن مسلم. وأبي الأسود، وابن إسحاق، والكلبي، وغيرهم، وقد تفرد بأشياء هامة، ولهذا فإن مغازيه لا تدفع، مما جعلها محط عناية العلماء في العصور السالفة.

ومن تتبعنا للنصوص المحفوظة عنه نلاحظ أنه كثيراً ما يتفق وموسى بن عقبة.

* **الأموي**: سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان القرشي الأموي أبو عثمان المتوفى ٢٤٩هـ. روى عن أبيه وعمِّه، ووكيع، وابن المبارك، وجماعة، وعنه

(١) انظر: «تهذيب التهذيب» ٩/٢٤١، و«خلاصة تهذيب الكمال» ص٢٨٢.
(٢) انظر: «عيون الأثر» ٢/٣٤٤.
(٣) انظر: ص٨٨.

البخاري ومسلم وأصحاب السنن سوى ابن ماجه، وقد وثقه غير واحد، كابن المديني والنسائي، ويعقوب بن سفيان الفسوي[1] ألف في هذا الموضوع كتاباً كان مشهوراً متداولاً فهو من مرويات ابن خير الأشبيلي في (فهرسته)، وسماه «السير»[2].

وذكره الحافظ السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»[3]، واستمد منه الأئمة في مصنفاتهم مثل الحافظ أبي عمر بن عبد البر في «الاستيعاب» في مواضع كثيرة ومنها ٢/ ٤٠ في ترجمة سعد بن عبادة، و«الدرر في اختصار المغازي والسير» ص١٢ وابن سيد الناس في «عيون الأثر». انظر: ١/ ١٧٠ و٢/ ١٠٠، ١٠٢، وابن كثير في «البداية والنهاية» وأكثر عنه. انظر: ٢/ ٣٥٣ و٣/ ٦٥، ٨٩، ٣١٠ و٤/ ٣٠، ٦٠، والحافظ ابن حجر في كتبه. انظر: «الإصابة» ١/ ٨٠ و٢/ ٩٩ وغيرها من المواضع وكتبه الأخرى.

ويبدو أن الأموي كان يلتزم الإسناد في روايته، وينقل عمَّن سبقوه في هذا الميدان، وقد حظي كتابه بثقة العلماء، نظراً لمكانة مؤلفه.

وقد ذكر الدكتور سزكين في كتابه «تاريخ التراث العربي» أن الخطيب البغدادي ت٤٦٣ ممن حصَّلوا على إجازة رواية هذا الكتاب، واعتمد في ذلك على مشيخة الخطيب في ظاهرية دمشق مجموع ٨/ ١٢٦ وقد ذكر غير واحد من العلماء، والمعاصرين هذا الكتاب ليحيى بن سعيد، وهو في الواقع لابنه سعيد بن يحيى.

وقد نصَّ على ذلك غير واحد من الحفاظ منهم الذهبي في «تذكرة الحفاظ»، والسخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»[4].

وقال الصالحي: كتاب جليل جمع فيه غالب الروايات عن ابن إسحاق مع زوائد كثيرة[5].

وقد نقل الحافظ ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول على شاتم

---

(١) انظر: «التاريخ الصغير» للبخاري ٢/ ٣٨٨، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٩٧.

(٢) انظر: ص٢٣٧.

(٣) انظر: ص٨٨.

(٤) انظر: «التذكرة» ١/ ٣٢٦، و«الإعلان» ص٨٨١.

(٥) انظر: «سبل الهدى والرشاد» ٤/ ١١.

الرسول» عدة نصوص من هذا الكتاب. انظر: ٢/٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣٤٣، ٣٥٦ وفي بعضها يحدث عن أبيه، وفي بعضها عن غيره، وجاء نص على الكتاب للابن في عدة مواضع، قال في ٢/٢٨٦: قال الأموي سعيد بن يحيى بن سعيد في مغازيه، ثنا أبي قال: أخبرني عبد الملك بن جريج عن رجلٍ أخبره عن عكرمة عن عبد الله بن عباس؛ أن رجلاً من المشركين شتم النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «من يكفيني عدوي؟». فقام الزبير بن العوام فقال: أنا، فبارزه، فأعطاه رسول الله ﷺ سلبه، ولا أحسبه إلا في خيبر حين قتل ياسر.

وقال ابن تيمية في ٢/٢٩١: قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه حدثني محمد بن سعيد ـ يعني عمه ـ قال: قال محمد بن المنكدر: إنه ذكر له عن ابن عباس... وساق نصاً.

وقال في ٢/٣٤٣: قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه: حدثني أبي عن المجالد بن سعيد عن الشعبي قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة دعا بمال العزى فنثره بين يديه، ثم دعا رجلاً قد سماه فأعطاه منها، ثم دعا أبا سفيان بن حرب فأعطاه منها، ثم دعا سعيد بن الحارث فأعطاه منها، ثم دعا رهطاً من قريش فأعطاهم، فجعل يعطي الرجل القطعة من الذهب فيها خمسون مثقالاً وسبعون مثقالاً. ونحو ذلك، فقام رجل فقال: إنك لبصير حيث تضع التبر، ثم قام الثانية فقال مثل ذلك، فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم قام الثالثة فقال: إنك لتحكم وما نرى عدلاً، قال: ويحك، إذاً لا يعدل أحد بعدي، ثم دعا نبيُّ الله ﷺ أبا بكر فقال: اذهب فاقتله، فذهب فلم يجده، فقال: لو قتلته لرجوت أن يكون أولهم وآخرهم.

قال ابن تيمية: فهذا نص في قتل مثل هذا الطاعن على رسول الله ﷺ من غير استتابة.... وهذا الحديث مرسل، ومخرجه عن مجالد، وفيه لين، لكن له ما يؤيد معناه.

وأرجح أن يكون لكل من الأب يحيى والابن سعيد، كتاب في السيرة وضع الأساس الأب وزاد فيه ووسعه الابن، وروي عن الأب كتابه وله رواة، وعن الابن كتابه كذلك، والله أعلم.

* **أحمد بن محمد بن أيوب البغدادي**، أبو جعفر الوراق المتوفى ٢٢٨هـ.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «التهذيب»، وفي «فتح الباري» أنه ألف في

المغازي، بل كان مشهوراً بهذا العلم كما يفهم من نصرته[1].

قال الذهبي في «الكاشف» ١/ ٦٨: كتب «المغازي» للبرامكة، وسمعها من إبراهيم بن سعد، وقد وصف في غير موضع بأنه صاحب المغازي.

وقد روى أبو جعفر عن إبراهيم بن سعد أحد رواة ابن إسحاق في المغازي كما تقدم، وروى عنه أبو داود السجستاني في (سننه)، ويعقوب بن شيبة، وأبو يعلى وغيرهم.

كان أحمد وعلي بن المديني يحسنان القول فيه، وكان يحيى يحمل عليه، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ما أعلم أحداً يدفعه بحجة[2]، وذكره ابن حبان في «الثقات». وتقدم ذكره عند ذكر إبراهيم بن سعد.

* **سعيد بن المغيرة بن الصيَّاد أبو عثمان المصيصي**. روى عن أبي إسحاق الفزاري المتقدم، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، والوليد بن مسلم، وآخرين، وروى عنه عبد الله الدارمي، وأبو حاتم، وابن ديزيل، والحسن بن الصباح البزار، وآخرون.

أخرج له النسائي دون الستة، وذكر كتابه في «**السير**» في كتابه «عمل اليوم والليلة» عند روايته الحديث من طريقه، وقال الحسن بن الصباح: كان من خيار الناس، وقال: كان ثقة حسبك به فضلاً، ابتدأ في قراءة كتاب «السير»، فرأيت أهل المصيصة قد أغلقوا حوانيتهم، وحضروا مجلسه، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما أغرب، وقد توفي في حدود العشرين ومائتين[3].

* **أبو بكر ابن أبي شيبة**، الحافظ الثبت، صاحب التصانيف الكثيرة الغزيرة: «المسند، والمصنف، والتفسير»، وغيرها، توفي ٢٣٥هـ، وقد روى عنه البخاري ومسلم، وأبو داود، والنسائي وغيرهم من الأئمة، وأثنى عليه العلماء[4] وعلى مصنفاته ومنهجه في التأليف.

وقد ألف كتاباً في «**المغازي**» ذكره الحافظ السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»[5]، وقال: رواه عنه الحسن بن سفيان المتوفى ٣٠٣هـ الحافظ الإمام أبو

---

(١) انظر: «التهذيب» ١/ ٧٠، و«الفتح» ٧/ ٢٩٤.

(٢) انظر: «التهذيب» الموضع السابق.

(٣) انظر: «التهذيب» ٤/ ٨٨، و«تقريب التهذيب» ١/ ٣٠٦.

(٤) انظر: «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٤٣٢، و«التهذيب» ص٢١٦.

(٥) انظر: ص٨٩.

العباس الفسوي، وهو كذلك من الأئمة المصنفين الثقات. وقد سمع تصانيف ابن أبي شيبة منه[1]. وساق الوادي آشي في «برنامجه» إسناد روايته إليه ص٢٣٧.

وفي كتابه «المصنف» جزء جليل في المغازي بدأه بذكر أبي يكسوم والفيل ثم تابع الأحداث، حتى وصل إلى خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم أردفه بثمانية نصوص تتعلق بالسيرة.

وفي هذا الكتاب نصوص هامة في السيرة النبوية. ورأيت أنه قد طبع مستقلاً بتحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العمري، وقد أحسن في ذلك، وبين أنه كتاب «المغازي» الذي صنفه مستقلاً.

* وقد ذكر الحافظ السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص٩١ كتاب «المبعث» **لهشام بن عمار**، وأظنه هو السلمي الدمشقي أبو الوليد شيخ الإسلام، روى عنه البخاري وأبو داود والنسائي، وابن ماجه، وأخرج له الترمذي من طريق البخاري، كما روى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، ويحيى بن معين، ومؤمل بن الفضل، وقد ماتوا قبله، وتوفي هشام بن عمار سنة ٢٤٥هـ، ووثقه جمع، ويكفيه رواية البخاري والنسائي عنه[2]. وذكره له الواد آشي في «برنامجه» ص٢٣٧ وساق أوله وآخره.

وقبل أن أنتقل من هذه القرون الخيِّرة، أذكر بأن الزهري ـ وهو المكثر في هذا الميدان ـ لم يتفرد ابن إسحاق بالرواية عنه، بل روى عنه آخرون علاوة على من تقدم ذكرهم منهم:

* **حجاج بن أبي منيع**، حجاج بن يوسف بن أبي منيع، عبيد الله بن أبي زياد الرصافي، روى عن جده نسخة عن الزهري في «**المغازي**».

قال الذهلي: أخرج إليَّ جزءاً من أحاديث الزهري، فنظرت فيها فوجدتها صحاحاً، فلم أكتب منها إلا يسيراً.

وهو ثقة، ذكره ابن حبان فيهم، وعلق له البخاري في الطلاق[3].

* **يونس بن يزيد الأيلي**، الحافظ الثبت الإمام، مولى معاوية بن أبي سفيان توفي ١٥٢هـ وقد أكثر عن الزهري وتمكن منه.

قال ابن المبارك: كتابه صحيح، ما رأيت أحداً أروى للزهري من معمر إلا يونس، فإنه كتب على الوجه، وقال أحمد: ما أعلم أحداً أحفظ لحديث الزهري

---

(١) انظر: «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٤٠٧.

(٢) انظر: «تهذيب التهذيب» ١/ ٥٤، و«تذكرة الحفاظ» ٢/ ٤٥١.

(٣) انظر: «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٠٨، و«الإعلان بالتوبيخ» ص٨٨.

من معمر إلا ما كان من يونس، فإنه كتب كل شيء هناك. وقد أخرج له الجماعة - الستة - ووثقه جمع، وله «مشاهد النبي ﷺ» وقد رواه عن الزهري[1].

فضلاً عن آخرين كثيرين جداً من الأئمة الأعلام رووا عن الزهري أحاديثه.

بل إن الإمام السهيلي المتوفى ٥٨١هـ في شرحه لرواية ابن هشام من سيرة ابن إسحاق - «الروض الأنف» - ينقل عن سيرة الزهري، ونقوله تدل على أنها كتاب مؤلف بين يديه يطلع عليه كما في ١/ ٢٠٥، ٢١٤ حيث يقول: «وذكر الزهري في سيره، وهي أول سيرة ألفت في الإسلام». وانظر: ٣/ ٤٩ كما أشرت لذلك فيما سلف.

ولا يبعد أن يكون حجاج ويونس قد رويا ما أفرده الزهري في هذا الجانب من مدوناته ومكتوباته[2].

ومما تقدم نستخلص النتائج التالية:

١ - **لم ينفرد ابن إسحاق** في القرن الثاني الهجري **بالتصنيف في السيرة** النبوية، والمغازي المصطفوية، بل سبقه وعاصره آخرون أكثر منه ثقة، وأدق أداءً ورواية، وخلفهم آخرون في ذلك.

٢ - **لم تنحصر رواية السيرة النبوية في طريق الزهري**، بل رويت من طرق عديدة جداً، وتسلسلت من رواية كثيرين معه؛ من التابعين الذين أخذوها عن جمع الصحابة.

٣ - ما قدمناه من ذكر الأئمة الذين صنفوا في السيرة يدحض ما حاوله المستشرقون ومن سلك مسلكهم من التركيز على أن نقل السيرة النبوية كان يعتمد على ثُلة من المجروحين ومهزوزي الثقة، أمثال الواقدي، وأبي معشر، والكلبي... وحتّى ابن إسحاق المتكلم فيه... وهذا مدفوع بما قدمناه ومردود، والأئمة في كتبهم التي هي عماد الإسلام لم يعتمدوا على ما صنفه هؤلاء، بل

---

(١) انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ١٦٢، و«تهذيب التهذيب» ١١/ ٤٥٠، و«الإعلان بالتوبيخ» ص٨٨.

(٢) وقد أفرد الدكتور سهيل زكار ما جاء في مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣١٣ - ٤٩٣) عن معمر عن الزهري كتاب المغازي مستقلاً، اعتقاداً منه أنه مغازي الزهري وقال في ص٢٢ من هذه الطبعة المستقلة: (ولدى تفحصي لهذا القسم - أي من المصنف لعبد الرزاق - تبين لي أنه يحوي كتاب الزهري في المغازي مع زيادات طفيفة، وقد روى الإمام عبد الرزاق هذا القسم عن الإمام معمر بن راشد تلميذ الزهري ورواية علمه).

وفي تقديري إن الأمر بالنسبة لمغازي الزهري أوسع من ذلك بكثير، وليس ما جاء من طريق معمر وحده.

اعتمدوا ما صنفه الثقات الذين قدمناهم، ويدفع كذلك ما قالوه وواطأهم عليه من تشبَّعوا بمناهجهم مثل الدكتور محمد حسين هيكل، فقد قال في مقدمته لـ«سيرة النبي ﷺ» لابن هشام التي علق عليها الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقليلون هم الذين أرخوا عصراً خاصاً، وقليلون كذلك هم الذين وقفوا جهودهم على سيرة صاحب الرسالة الإسلامية وعهده) وهذا الكلام وإن صدر من شخصية كان لها مكانها!! يدل على قلة الاطلاع في هذا الجانب، ويقول بعد ذلك: «لذلك كان أكثر الذين كتبوا في السيرة كجزء من التاريخ العام يكتفون بالنقل عمن سبقهم، دون بحث أو تمحيص، والذين وقفوا في حدود السيرة، قد اكتفوا بذكر الروايات المتعددة المتناقضة أحياناً دون أن ينقدوها ويميزوا صحيحها ويكتفوا به».

وهذه الجمل تضيف إلى ما سبق أن قائلها قصير الباع في معرفة مناهج بحث الأسانيد والتمحيص والتدقيق في الروايات، وقليل الاطلاع على كتب الأئمة، وفي القرون الثلاثة الأولى بالذات، ولو اطلع على كتاب المغازي في «صحيح البخاري» ـ مثلاً ـ اطلاع متأمل عالم منصف لعرف كيف يتقصى صحيح الأخبار، وكيف يمحص الأسانيد والروايات.

وقد يتساءل متسائل: ولماذا كُتب الخلود والانتشار العريض في مشارق الأرض ومغاربها لسيرة ابن إسحاق دون هذه المصنفات الأخرى التي تطامنت بجانبها وخمل ذكرها؟!

والجواب هو التالي:

١ ـ لقد صاغ ابن إسحاق مؤلفه بتسلسل منهجي كان مبتكراً في عصره من ناحية ترتيب الأحداث وسياقها.

٢ ـ لم يقف ابن إسحاق طويلاً عند الإسناد، وقد كان سمة العلم والمعرفة بكافة فروعها في ذلك العصر، وكان شرطاً لازماً لقبول الأخبار، بل تجاوزه، ولم يلتزمه الالتزام الشديد، وكان يجمع أطراف الأخبار المعروفة المتداولة من الرواة ويسوقها مساقاً واحداً، وبذلك جعل السيرة النبوية قصة متكاملة شاملة، بعيدة عن أزمَّة الأسانيد وتفريعات الرواة، وبهذا تكون أقرب إلى قلب المستمع، وأسهل للفهم والتلقين والحفظ، ولا سيما لدى طلاب العلم المبتدئين، وعامة الناس، الذين لا يهمهم الإسناد قليلاً ولا كثيراً، فعندما يسمعون القصة تسرد سرداً ينتقلون إلى ساحة المصطفى ﷺ، ويعيشون في ظلال تلك الملحمة المحبَّبة الفريدة في تاريخ الإنسانية.

٣ ـ ومن هنا كانت سيرة ابن إسحاق التي لا تلتزم الإسناد، ولم تضع له

شروطاً معينة من الصحة وتمييز الحروف بين الرواة، أشمل وأجمع ما كتب في الموضوع؛ لأنها تضم الجزئيات إلى الكليات من دون تمييز لإعطاء صورة كاملة، كأن السامع يراها فتقنع نفسه وتشبع نهمته.

٤ ـ سعة علم بن إسحاق ومكانته العلمية في عصره، وتَطْلابه للعلم، وتنقله في أنحاء البلاد الإسلامية، وتفوقه على أقرانه، يستند ذلك كله إلى بيان مشرق، وقلم سيَّال، وكلمة وضاءة، وتصوير بارع للأحداث. وقد أصاب الكلاعي حين بيَّن حجته في اعتماده ابن إسحاق دون الواقدي بقوله: «رأيته كثيراً ما يجري مع ابن إسحاق، فاستغنيت عنه لفضل فصاحة ابن إسحاق في الإيراد، وحسن بيانه الذي لا يعقل معه استحسان المعاد»[1].

قال الحافظ ابن عدي المتوفى ٣٦٥هـ: ولو لم يكن له ـ أي لابن إسحاق ـ من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتبٍ لا يحصل منها شيء إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق إليها، وصنفها قوم بعده فلم يبلغوا مبلغه[2].

كل هذا جعل كثيرين من طلاب العلم يعجبون به، ويتتلمذون له، ويروون عنه هذه السيرة باعتزاز في وقت كان فيه تصنيف الكتب المتكاملة الممنهجة نادراً، فكتب لها بذلك الانتشار في جميع الأقطار، ومن هؤلاء الرواة عنه: يونس بن بكير، محمد بن فليح، زياد البكائي، إبراهيم بن سعد، عبد الله بن إدريس، وسلمة بن الفضل الأسدي... وقد أعطاها تهذيب ابن هشام بهاءً وجلاءً وحلية حظيت بها عند المسلمين على مر العصور، وتناولها العلماء بالعناية والدراسة من شروح وتعليقات وبيان غريب، ووصل منقطع... وما إلى ذلك.

وبعد هذه الفترة المتقدمة لم ينقطع التأليف في السيرة النبوية، أو في جانب من جوانب هذه السيرة العطرة، إلا أن المؤلفين كانوا يعتمدون من سلف قبلهم موحدين بين مجموعات هؤلاء الأسلاف ومنتقين، ومختصرين.

ونشير إلى عدد المؤلفين الذين اعتمدت كتبهم في القرون التوالي، ونالت القبول عند علماء المسلمين مذكراً أني غير محاولٍ الحصر هنا ومتوخٍ للإيجاز ومنهم:

* ـ **علي الرضا** ـ بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أبو الحسن ثامن

---

(١) انظر: «الاكتفا في المغازي» ١/٤.

(٢) انظر: «الكامل» لابن عدي، ترجمة محمد بن إسحاق ٦/١١٢.

الأئمة الاثني عشرية، من أجلاء سادة أهل البيت وفضلائهم، أحبُّه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، لكنه توفي في حياة المأمون سنة ٢٠٣هـ، له نسخة في «**المغازي النبوية**» ذكرها الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ٤/ ٢٥٨ وكانت عند علي بن محمد بن مهرويه القزويني، وكان يأخذ الدراهم عليها، قال صالح بن أحمد عن علي: هذا تكلموا فيه، ومحله عندنا الصدق.

الإمام الفقيه **عبد الملك بن حبيب الأندلسي** المتوفى ٢٣٧هـ وهو إمام متبحر، متفنن في ضروب العلم، وألف الكتب الحسان، كما يقول القاضي عياض في الفقه والتاريخ والأدب، ومنها كتاب «**المغازي**»(١).

وقال ابن فرحون في «الديباج المذهب» ٢/ ١٣ في ذكر تآليفه: كتاب «**مغازي رسول الله ﷺ**»، اثنان وعشرون كتاباً(٢).

* **الزبير بن بكار القرشي**، المتوفى ٢٥٦هـ وهو عالم بالنسب ثقة عارف بأخبار المتقدمين وعلى كتابه «نسب قريش» عوّل الناس في معرفة أنساب القرشيين، والكتاب الذي نشير إليه هنا هو «**أزواج النبي ﷺ**».

* **محمد بن سحنون** بن سعيد الإمام ابن الإمام الفقيه ابن الفقيه المتوفى ٢٥٦هـ، قال أبو العرب القيرواني: كان إماماً ثقة في الفقه، وكان عالماً بالذب عن مذاهب أهل المدينة، عالماً بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه فيما علمت. وقد ذكر له كتاب «**المغازي**» غير واحد، منهم عبد الله بن محمد المالكي في «رياض النفوس» ١/ ٤٤٣، والدباغ في «معالم الإيمان» ٢/ ١٢٢. وذكره القاضي عياض في «المدارك» ٤/ ٢٠٧ باسم «**السير**»، وقال: هو عشرون جزءاً.

* **أحمد بن الحارث الخرّاز** المتوفى ٢٥٨هـ وهو راوية المدائني وصاحبه، وله «**مغازي النبي ﷺ وسراياه**»(٣). ويقع الكتاب في جزأين، كما ذكر ذلك ابن النديم. وله كذلك «**أزواج النبي ﷺ**».

* **ابن حبان البستي** محمد بن أحمد أبو حاتم، الحافظ العلامة الإمام المتوفى ٣٥٤هـ صاحب التصانيف الكثيرة المشهور بها ومنها: «**السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**»، وهي جزء من كتابه «الثقات»، وقد طبع مستقلاً في مجلد، وهو كتاب

---

(١) انظر: «ترتيب المدارك» ٤/ ١٢٨.
(٢) وانظر: «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٥٥.
(٣) وانظر: «الفهرست» ص١١٧ وص١١٧.

جيد محرر مختصر يسوق في بداية الحدث إسناداً ثم يستغني عن الأسانيد، وقد رتبه على السنين، وأدخل فيه معلومات جيدة عن أحداث ووقائع لها ارتباط بالمجتمع الإسلامي، وتاريخ تشريع الأحكام، واستشارة الصحابة للنبي ﷺ في قضاياهم.

ولا يخلو من نقد، كما صنع في ذكر وصف رسول الله ﷺ، حيث قال: «أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائي، يخبر بإسناد ليس له في القلب وقع، ثنا سفيان بن وكيع بن الجراح... الحديث ص٤١٠.

* **عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي**، أبو قلابة البصري أحد المحدِّثين الحفاظ المتوفى ٢٧٦هـ ذكره له في «هدية العارفين» ١/ ٦٢٤.

* **إسماعيل بن جميع** المتوفى ٢٢٧هـ له «**أخبار النبي ﷺ ومغازيه وسراياه**» ذكره ابن النديم في «الفهرست» ص١١٢، واقتبس منه ابن الجوزي في «الوفا» ١/ ٢١٧.

* **أبو زرعة عبد الرحمن بن عامر الدمشقي**، الحافظ الكبير المتوفى ٢٨٢هـ محدث الشام في زمانه له **سيرة رسول الله ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين**، وهو المعروف بـ«تاريخ أبي زرعة الدمشقي»، هو مطبوع[1].

* الحافظ أبو بكر عبيد الله بن محمد **بن أبي الدنيا** القرشي المتوفى ٢٨١هـ صاحب التصانيف السائرة، ومؤدب الخلفاء، وله كتاب «**المغازي**»، وقد ذكره له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤٠٣، وغيره.

* القاضي **إسماعيل بن إسحاق الجهضمي الأزدي**، الإمام الكبير، الفقيه المحدِّث المجتهد، صاحب التآليف الكثيرة المفيدة المتوفى ٢٨٢هـ، له كتاب «**المغازي**» ذكره له القاضي عياض في «المدارك» ٤/ ٢٩١ وابن النديم في «الفهرست» ص٢٥٢ وغيرهما.

* **إبراهيم بن محمد الثقفي الرَّقي** المتوفى ٢٨٣هـ ذكره المنجد في «معجم ما أُلف عن رسول الله ﷺ» نقلاً عن «الوافي بالوفيات» ٦/ ١٢١.

* **إبراهيم بن إسحاق الحربي**، الإمام الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، المتوفى ٢٨٥هـ ذكره له ابن النديم في «الفهرست» ص٢٨٧.

* **وعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي** المتوفى ٢٨٥هـ وله كتاب «**المغازي**» ذكره له في «هدية العارفين» ١/ ٦٧٨.

---

(١) ضمن منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق (ن).

* **أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي** المتوفى ٢٧٤هـ أو نحوها وفي «هدية العارفين» ٣٧٦هـ: أصله من الكوفة، وسافر جده إلى برقة في جهة قم، وهناك ولد ونشأ، وصنف، وله كتاب: «**مغازي النبي ﷺ**»، وله كتاب: «**بنات النبي ﷺ وأزواجه**». وهو من فقهاء الشيعة، وله تواريخ، وكتب أخرى كثيرة. انظر: «هدية العارفين» ١/ ٦٧، و«التاريخ العربي والمؤرخون» لشاكر مصطفى ١/ ٢٢٠.

* **الإمام محمد بن جرير الطبري**، الحافظ الكبير المشهور، المتوفى ٣١٠هـ له كتاب «المغازي» ذكره له تلميذه أبو الفرج الأصبهاني في صدر كتابه «مقاتل الطالبيين» فقال في ص١٠: مقتل جعفر بن أبي طالب، والسبب فيه، وبعض أخباره: قرأت على محمد بن جرير الطبري في كتاب المغازي فأقرّ به....

وقال الدكتور محمد حميد الله في كتاب «الوثائق السياسية» ص٤٩٧: «السيرة» للطبري برواية البكري، عن نسخة في أياصوفيا باستنبول رقم ٣٢٤٨.

* **أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي**، الحافظ صاحب «التصانيف»، المتوفى ٣١٠هـ له كتاب «**المولد والوفاة**» وكتابه هذا من مرويات ابن خير الأشبيلي في «فهرسته» ص٢٠٨. واقتبس منه السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ١٨٤.

* **أبو إسحاق الزجاج**، إبراهيم بن السري بن سهل النحوي، المتوفى ٣١١هـ وهو من أهل الفضل والدين والاعتقاد الحسن، تتلمذ للمبرد، وله تصانيف كثيرة منها: «**المغازي**»، ذكره له في «الروض الأنف» ١/ ٣٦.

* **إسماعيل بن عيسى العطار البغدادي**، المتوفى ٣٣٢هـ وهو من أصحاب السير والحديث، له: «**المبعث والمغازي**» ذكره له في «هدية العارفين» عمود ٢٠٧.

* **أبو ذر عبد بن أحمد الهروي**، الحافظ الكبير، المتوفى ٣٤٣هـ صاحب «التصانيف» ومنها «**سيرة النبي ﷺ وأصحابه في عيشهم وتخليهم عن الدنيا**»، ذكره له ابن خير الأشبيلي في «فهرسته» ص٢٨٦.

* **أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني**، الحافظ الكبير، المتوفى ٣٦٠هـ، له الكتب الكثيرة النافعة، ومنها «**نسب النبي ﷺ**» ذكره له السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص٥٣٨.

* **الحسين بن محمد الماسرجسي**، النيسابوري، الحافظ الكبير البارع، المتوفى ٣٦٥هـ صاحب المصنفات، ومنها: «**المغازي**» ذكره له غير واحد من الأئمة منهم الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٩٥٦، و«سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٢٨٨، وابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٢٨٣.

* **أبو الشيخ عبد الله بن جعفر بن حيّان الأصبهاني** المتوفى ٣٦٩هـ الحافظ الكبير المصنف في علوم الحديث وفنونه والتفسير والتاريخ والأحكام، وقد ذكره السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص٥٢٨ فيمن ألفوا في سيرة النبي ﷺ، وكتابه **«أخلاق النبي ﷺ»** قد مرّ ذكره في الشمائل.

* **محمد بن عمران بن موسى المرزباني**، أبو عبد الله المتوفى ٣٨٤هـ صاحب المصنفات الكثيرة، ومنها: «**المغازي**»، ويقع كتابه هذا في نحو ثلاثمئة ورقة، كما يقول ابن النديم في «الفهرست» ص١٤٧.

* **الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيِّع النيسابوري**، الإمام الحافظ الناقد، صاحب التصانيف البديعة، ومنها كتاب «**الإكليل في أيام النبي ﷺ وأزواجه، وأحاديثه**»، ورتبه ترتيباً فريداً كما يفهم من «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ١٦٧ ونقل أنه صُنِّفَ لأبي علي بن سَيْمجور.

وقال هو في «معرفة علوم الحديث» ص ٢٣٩، بعد أن روى عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ كانت ثلاثاً وأربعين، قال الحاكم: هكذا كتبناه، وأظنه أراد السرايا دون الغزوات، فقد ذكرتُ في كتاب «الإكليل» على الترتيب بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المئة.

وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر رَحِمَهُ اللهُ «السرايا والبعوث» دون الحربِ بنفسه نيفاً وسبعين.

وفي «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر ص٢٢٨: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمئة جزء منها: الصحيحان.... وأما الكتب التي تفرد بإخراجها: «معرفة أنواع علوم الحديث»، و«تاريخ علماء أهل نيسابور»، وكتاب «مزكي الأخبار»، و«المدخل إلى علم الصحيح»، وكتاب «الإكليل في دلائل النبوة»... إلخ. ولعله ذكر في هذا الكتاب فصولاً في دلائل النبوة، وقد كان لهذا النوع من التصنيف صدى في عصره، فسماه ابن عساكر بهذه التسمية.

وقد اقتبس من هذا الكتاب الحافظ ابن سيد الناس في «عيون الأثر» ٢/ ٧٦ في غزوة بني النضير، والحافظ مغلطاي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ» نصوصاً عديدة. انظر: ١١٦، ١٤٤، ١٤٩، ٢٢٠ وغيرها، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٧/ ٤٧٦، ٤٦٠ وغيرها.

ومنه نسخة في الأسكوريال رقم ١٥٩٩ في ١٣٨ ورقة، ومنها مصورة بدار الكتب القطرية رقم ميك ٨٧ كما في «الاستدراك على تاريخ التراث العربي» للدكتور نجم عبد الرحمن خلف ص٥٦٥.

* **وأبو سعد عبد الملك بن محمد النسابوري الخركوشي** ـ وخركوش سكة بنيسابور ـ الواعظ الزاهد المتوفى نحو سنة ٤٠٦هـ، له «شرف المصطفى»، وسبق له ذكر في دلائل النبوة، وقال عنه ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» ص٢٣٤، وقد صنف في علوم الشريعة ودلائل النبوة، وفي سير العباد والزهاد كتباً نسخها جماعة من أهل الحديث وسمعوها منه، وسارت تلك المصنفات في بلاد المسلمين. . وقال: وصنف أعداداً من الكتب، ويقع كتابه هذا «شرف المصطفى» في ثمان مجلدات، كما يقول السبكي في «شفاء السقام» ص٣٩ والحافظ السخاوي. وانظر: «القول البديع» ص١٢٠، ١٢٢، ١٩٦.

وهو من مرويات ابن خير الأشبيلي في «فهرسته». انظر: ص٢٨٩. وقد حفظت لنا منه نصوص كثيرة في كتب المتأخرين، والأئمة الذين جاؤوا بعده. كما في «الإشارة» لمغلطاي ص٣٣٠ وغيرها، و«فتح الباري» للحافظ ابن حجر ٧/ ٢٥١، ٢٥٢ وغيرها، و«الإصابة» ٤/ ٣١١.

ويبدو لي أن أبا سعد النيسابوري ينقل جلَّ النصوص ـ إن لم يكن كلها ـ بالأسانيد مع استنباطاته وتعليقاته، في أشياء تفرد بها دون غيره.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد اختصره القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من هو في العلم والعمل، واتساع الرواية، ذكر ابن خير الأشبيلي تلميذ القاضي عياض في «فهرسته»[1].

قال الكتاني في «الرسالة المستطرفة» ص١٠٩: وهو غير أبي سعد عبد الرحمن بن الحسن الأصبهاني النيسابوري، صاحب «شرف المصطفى» أيضاً.

قلت: وأبو سعد النيسابوري عبد الرحمن بن الحسن هو المعروف بعليّك، وهو حافظ إمام حجة، روى عن الدارقطني وأبي أحمد الحاكم وخلق، وروى عنه أبو المعالي إمام الحرمين وغيره. وتوفي سنة ٤٣١هـ، وله مصنفات.

قال الكتاني: وهناك كتاب «شرف المصطفى» لأبي الفرج ابن الجوزي.

---

(١) انظر: ص٢٨٩.

* سيرة النبي ﷺ لأبي الحسين **أحمد بن فارس**، اللغوي، صاحب كتاب «مقاييس اللغة» و«الصاحبي» في فقه اللغة، المتوفى ٣٩٥هـ، وقد طبع قديماً في بومباي في ثمان صفحات تحت عنوان «**أوجز السير في سيرة خير البشر**»، أشار إلى ذلك الأستاذ محب الدين الخطيب في مقدمته لكتابه «الصاحبي».

وشرحها أبو مدين بن أحمد بن محمد بن يوسف الفاسي في سبع وسبعين ورقة، وشرحه هذا محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، وله كتب أخرى في السيرة النبوية.

* **الحسين بن علي المغربي**، أبو القاسم الوزير المتوفى ٤١٨هـ، قال الزركلي: وزير من الدهاة العلماء الأدباء، له تصانيف كثيرة، منها: «**السيرة النبوية**»، ذكره المنجد نقلاً عن «الوافي بالوفيات» ٢/ ٤٤٤.

* **أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد النيسابوري** المفسّر المتوفى ٤٣٠هـ، له: «**الكفاية في السير**»، ذكره له في «كشف الظنون» ٢/١٤٩٨.

* **أبو نعيم الأصبهاني** أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠هـ وهو حافظ كبير، له: «**الوفاة النبوية**» ذكره الواد آشي في «برنامجه» ص٢٢٦.

* كتاب «**الدرر في اختصار المغازي والسير**» للحافظ الكبير **يوسف بن عبد البر** القرطبي المتوفى ٤٦٣هـ، وقد طبع كتابه بتحقيق الدكتور شوقي ضيف تحت رعاية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، وهو كتاب لطيف جداً ترسَّم فيه ابن عبد البر خطى سابقيه، وعلى رأسهم موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، ويقول في هذا: «وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه، وأوقاته ﷺ، اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة وكتاب ابن إسحاق، رواية ابن هشام وغيره، وربما ذكرت خبراً ليس منهما، والنسق كله على ما رسمه ابن إسحاق»[1].

ولكن الحافظ ابن عبد البر بما له من واسع الرواية، وكبير الدراية في علم الأثر، كان ينقل من المصادر الأخرى المفردة للسيرة النبوية ككتب الواقدي، وسعيد بن يحيى الأموي، ومغازي أبي الأسود[2].

كما ينقل من كتب الحديث والسنن كـ «صحيح البخاري»، و«سنن أبي داود السجستاني» ويكثر منها، و«تفسير سنيد»، وكتاب «ابن أبي شيبة» وغيرهم.

---

(١) انظر: ص٢٩.

(٢) انظر: ص٤٠، ٥٦، ٥٩، ٢١١.

ويوفق بين الروايات، وينقد ويرجح، ويبين بعض الأمور التي تحتاج إلى بيان، ولكنه في غالب الأحيان يثبت الرأي الذي قد ترجح عنده، دون غيره، ولا يكثر الأسانيد، بل اختصرها اختصاراً شديداً.

وما ترسُّمه لخطى ابن إسحاق، ونسجه على منواله، وجعله كتاب ابن إسحاق محور كتابه: إلا للأسباب التي قدمناها في أسباب انتشار سيرة ابن إسحاق.

٤ ـ «**جوامع السيرة**» للحافظ **أبي محمد بن حزم الأندلسي** ت٤٥٦هـ كتاب موجز لطيف أشبه ما يكون بالخطوط العريضة للسيرة النبوية، وما يجب أن لا يغيب عن ذهن طالب العلم والعالم والباحث وضعه بتسلسل ومنهج.

ولقد عرض له الدكتور شوقي ضيف في «مقدمته» لكتاب ابن عبد البر بقوله: «وبلغ من قيمة هذه السيرة ـ أي «الدرر» ـ وأهميتها في عصرها أن وضعها ابن حزم تلميذ ابن عبد البر علماً منصوباً أمام بصره حين حاول أن يصنف في السيرة النبوية التي سماها «جوامع السيرة»[1]» والأمر وإن كان محتملاً إلا أن المؤكد أن كليهما قد دار في فلك سيرة ابن إسحاق مع سعة روايتهما وإمامتهما.

* **أبو الحسن الواحدي** علي بن أحمد المتوفى ٤٦٨هـ صاحب المصنفات الكثيرة في التفسير وغيره، وله كتاب: «**المغازي**» ذكره له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤١ وابن مفلح في «شذرات الذهب» ٣/ ٣٣٠.

* وللخطيب أبي الربيع **سليمان بن سبع السبتي** المتوفى في حدود ٥٢٠هـ «**شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول ﷺ وخصائصه**» قضى في تأليفه نحو ثلاثين عاماً كما في «مقدمته».

قال ابن النحاس في «مشارع الأشواق» مخطوط الخزانة العامة بالرباط ق٢١: كتاب «شفاء الصدور»، وقفت عليه بثغر الإسكندرية في نحو أربعة أسفار، ذكر أنه جمعه في قريب من ثلاثين سنة في خمسة عشر مجلداً، يشتمل على أحاديث في فضائل الأعلام، ودلائل النبوة، وغير ذلك، وقد وضع فيه مؤلفه من عجائب الغرائب أصولاً وفروعاً، وجمع فيه ما دبَّ ودرج، فأوعب وأوعى... أحاديث عارية عن الإسناد خالية من التصحيح والتضعيف.

قلت: وتوجد منه قطع في الخزانة العامة بالرباط[2].

---

(١) انظر: ص١٤.

(٢) عن رسالة ماجستير للأستاذ ضمان بوشعيب، بعنوان «التأليف في علوم الحديث عند المغاربة» بكلية الآداب بالرباط بإشرافنا ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

ولابن سبع كتاب آخر اسمه «الخصائص» اختصره من كتب «شفاء الصدور» كسره على عشرة أبواب، وكان يشير في نهاية كل باب أنه استقصى مادته في الكتاب الأصل وهو «شفاء الصدور»، وقد أفاد من هذا الكتاب عدد من المؤلفين والشارحين في السيرة النبوية كمحمد بن يوسف الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ١٠/ ٤٧٣، ٤٩٢، والقسطلاني في «المواهب اللدنية»، والملا علي القاري وغيرهم.

وللكتاب نسخة خطية بمكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم ٢٨٤٢، ومنه قطعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨ حديث.

* **إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني** الحافظ الكبير قوام السنة المتوفى ٥٣٥هـ كان إمام وقته، وقدوة أهل السنة في زمانه، له مصنفات كثيرة ومنها: «**المغازي**»، قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٢٨٠: هي في مجلد، ومنه نسخة في استنبول في كوبرلي، كما ذكر ذلك الدكتور محمد حميد الله.

* **ولابن ظَفَر محمد بن عبد الله الصقلي المكي** حجة الدين المتوفى نحو ٥٦٥هـ «**خير البِشَر بخير البَشَر**» ذكر الزركلي في «الأعلام» ٦/ ٢٣٠ أنه مطبوع، ومؤلفه إمام كبير، وأديب مفسر، ورع زاهد، له تصانيف ممتعة، كما يقول ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٤/ ٣٩٦ وذكر منها «خير البشر بخير البشر»، و«الينبوع في التفسير»، و«نجباء الأنباء»، وغير ذلك، قال السيوطي في «بغية الوعاة» ١/ ١٤٢: قصد حماة، فصادف قبولاً، وأجرى له راتب، وصنف هناك تصانيفه.

* **علي بن الحسن أبو القاسم بن عساكر** الحافظ الكبير المتوفى ٥٧١هـ خصص صدر كتابه العظيم «تاريخ دمشق» بسيرة رسول الله ﷺ[1].

وللملّا عمر بن محمد بن خضر الأربلي الموصلي، أبي حفص، المعروف بـ «الملاء» ـ بفتح الميم وتشديد اللام، المتوفى ٥٧٠هـ ـ، شيخ الموصل. كان صالحاً زاهداً، وسمي بالملّاء، لأنه كان يملأ تنانير الآجر، ويأخذ الأجرة، فيتقوّت بها. ولا يملك من الدنيا شيئاً.

له: «**وسيلة المتعبدين في سيرة سيد المرسلين**»، منه بضعة أجزاء في معهد المخطوطات، وقد وجدت عدداً من العلماء يقتبسون من سيرته بدءاً من الحافظ ابن حجر، وإلى محمد يوسف الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ١١/ ٤، ٥، ٧ ومواضع أخرى.

---

(١) وقد طبع في مجلدين وصدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق (ن).

وذكر الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ١/ ٣٦٥: إن الملّاء عمر بن محمد هو أول من قام بإحياء ذكرى المولد بالموصل ثم تبعه على ذلك صاحب إربل.

* **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن حبيش الأنصاري الأندلسي المتوفى** ٥٨٤هـ قال الصفدي: برع في النحو، وولي القضاء بجزيرة شقر ثم بمرسية، وكان أحد الأئمة في الحديث وغريبه ولغته، له: «**المغازي**» مجلدات، ذكر ذلك السيوطي في «بغية الوعاة» ٢/ ٨٥.

وهذه الطائفة التي سقتها ترد على ما قاله يوسف هورفتش في خاتمة مقالاته المشار إليها، والتي تعرف بـ «المغازي الأولى ومؤلفوها» إذ قال بعد أن ختم المؤلفين في المغازي بابن سعد صاحب «الطبقات» المتوفى ٢٣٠هـ: «ولا تؤلف سيرة النبي في مجموعات العصور التالية في مصنفات الطبري، والمسعودي، واليعقوبي وغيرهم غير فصل في معرض تاريخ العالم، ولا يخصص لها كتباً ثانية إلا مؤلفو القرون المتأخرة من أمثال الحلبي عام ١٠٤٤هـ وابن سيد الناس المتوفى ٧٣٤هـ اللذين أكثرا في آثارهما من ذكر مؤلفي المغازي الأولى الذين هم موضوع المقالات»[1].

وهذا الكلام منقوض بما قدمناه، ولم ينقطع التأليف في السيرة النبوية في أي عصر من العصور، حتَّى في أشد العصور ظلاماً وقتاماً.

وهناك كثيرون في القرن الخامس والسادس يأتي في المقدمة الكتب الممتعة النافعة المفردة للسيرة والتي تركها الحافظ أبو الفرج بن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى ٥٩٧هـ وأقرانه، وأخص بالذكر كتابه «الوفا بأحوال المصطفى»، وهو كتاب مفيد مختصر في مضمونه وطريقته، إذ حذف الأسانيد ورتبه ترتيباً جيداً. وله بأحاديث الصحيحين اهتبال وعناية، وقد حلّاه بآراء جيدة، ونقول مشرقة ذكية لإمام عصره شيخ الحنابلة لأبي الوفاء علي بن عقيل، المتوفى ٥١٣هـ والكتاب مطبوع.

والتأليف في هذه المرحلة وما تلاها تعاظم وزاد وتنوع بشكل عظيم جداً ويحتاج لبحث وبيان من جوانب عديدة يسر الله لنا ولغيرنا ذلك.

ومما ينبغي التنبه له في خاتمة هذه الفقرة أن كُتب السير ومثلها كتب التاريخ تسوق كل ما ورد في الباب مما صح أو لم يصحّ من الأخبار لتمحيصه وغربلته لا قطعاً منهم بصحته، ولا جزماً بصدقه، ولهذا فليكن الدارس الباحث على وعي من

---

(١) انظر: ص١٣٢.

ذلك حتى لا ينسب للنبي ﷺ وسيرته ما لا يثبت عند النقد، وما لا يجوز الاحتجاج به عند المحاققة، وفي هذا يقول الحافظ زين الدين العراقي المتوفى ٨٠٦هـ في فاتحة ألفيته في السيرة النبوية:

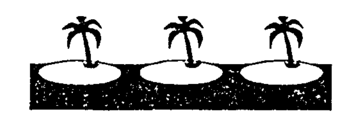
وليعلم الطّالبُ أنَّ السِّيرا تَجْمَعُ ما صحَّ وما قَدْ أُنْكِرَا
والقصدُ ذِكْرُ ما أتى أهلُ السِّيَر بهِ وإنْ إسنادُه لم يُعْتَبَر

ولهذا كان الأئمة عبر العصور يتتبعون ما ورد في كتب السير، ويبينون ما فيها من الضعيف والواهي، والموضوع، مثل خمود نار فارس ليلة المولد النبوي الشريف، وغيض بحيرة ساوة، وارتجاس إيوان كسرى، وقصة الغرانيق[١]، وغير ذلك، ولا بد للباحث النزيه أن يرجع إليهم وينظر أحكامهم ويتبين ما هو الحق.

وأختم هذا المصدر بأمر منهجي هام ألا وهو:

إذا جاء خبر من الأخبار في مصادر السيرة النبوية الأولى، وخاصة كتب المغازي والسير بلا إسناد، أو كانت أسانيده ضعيفة وخاصة من جهة الإرسال، ولم يأت في نص موثق صحيح ما يعارضه، فالذي أراه أن هذا الإجماع والاتفاق ينهض بهذا الخبر ويقويه، ويجعلنا نركن إليه.

وإن انتشار الخبر في حلقات الدرس في العصور الأولى دون نكير من أهم مقويات الخبر، كما هو شأن النصوص الحديثية، وقد تكرر قولهم في السير والمغازي: أجمعوا على هذا واتفقوا عليه... وإن الباحث في السيرة النبوية إذا وجد هذه الأخبار فليشدّ عليها بكلتا يديه.



(١) انظر: «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» المقدمة للشيخ عبد الفتاح أبو غدّة ص١٨.



كتب أُلفت في تاريخ الحرمين الشريفين مكة المكرمة، والمدينة المنورة

وكانت الضرورة داعيةً للتركيز على تاريخ هاتين المدينتين عند المسلمين، لأمور منها:

* أنهما محرمتان يحرم فيهما القتال، والصيد، وتهييج الطير، وقلع الشجر. . . باتفاق في مكة المكرمة، فوجب الاعتناء بتحديدهما، والبحث عن المنطقة المحرمة.

* ومكة المكرمة فيها بيت الله المعظم، معقد عزّ العرب والمسلمين، وعنوان مجدهم وفخرهم، وقد تحدث القرآن الكريم عن بنائها، وتاريخها، وحبُّ المسلم وفضول الباحث العلمي لا بد أن يلاحق كل أثر يتعلق بهذا المجد، وماضيه.

* وبما أن الكعبة الشريفة قبلة المسلم أينما كان على وجه الأرض، ولا تصح صلاته إلا بالتوجه إليها، فلو جهل مسلم، دمشق، وبغداد، والرياض، وغيرها فقد يعذر، أما أن يجهل مكة والمدينة فلا يعذر، لا عند الله، ولا عند الناس، لا سيما وأن في كل بقعة منهما حدث بارز، ولكل جيل في ربوعهما قصة وخبر مع المسلمين، وفي كل شبر من ثراهما شهيد أو شهداء، وعلى كل رابية مجد من أمجاد بناء الإسلام وبناته الأولين.

وقد ركز أصحاب هذه الكتب ـ التي ألفت في تاريخ الحرمين ـ اهتمامهم على مكة المكرمة، والمدينة المنورة قبل الإسلام وبعده، وبالتالي كان حديثهم يشمل تاريخ الكعبة المشرفة وبناءها، وما نقل في ذلك، وتاريخ القبائل العربية التي سكنت مكة منذ إسماعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام حتّى البعثة النبوية وما تلاها من الأحداث إلى ما يقرب من عصر كل مؤلف.

وكذلك ما ألف في تاريخ المدينة يتناول ماضيها قبل الإسلام وتاريخ الأوس

والخزرج والطوائف اليهودية وكيفية حلولها في يثرب، حتى شرّفها الله بحلوله ﷺ فيها وسماها (طابة).

والتأريخ لهاتين المدينتين يستلزم ذكر طرف من السيرة النبوية؛ لأن النبي ﷺ ولد ونشأ في مكة، وأكرمه الله بالوحي في شعابها، وعاصر الكثير من أحداثها، كما أن أسرته كانت لها مكانة وأعراف دينية وقبلية قبل الإسلام في حاضرة مكة وبواديها.

وكذلك هجرته ﷺ قد جعلت من يثرب عاصمة الدولة الإسلامية، ومركز إشعاع الوحي والهدى، فلولاه ﷺ لكان شأن هاتين المدينتين كشأن غيرهما من المدن الأخرى، وبه أصبحتا قطب رحى العالم الإسلامي، ومحط أنظاره، وغدا الارتباط بمكة والمدينة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونلفت الانتباه إلى أن التاريخ للمدن في الإسلام قام أساساً لتشريف أصحاب رسول الله ﷺ لها، وحلولهم في أرجائها، ولولا ذلك لم يكن لها ذكر، فانظر «تاريخ دمشق» لابن عساكر و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، وحمص، والرقة، والقاهرة، نجد أن التاريخ منهم انطلق، وسار على من خلفهم من أهل العلم والفضل، ومن خلال حركتهم العلمية وعليها تدور التواريخ، مذكراً أن بعض المؤلفين كتب في موضوعات خاصة تتعلق ببعض الأماكن في الحرمين الشريفين: كما فعل الإمام أبو بكر الآجري المتوفى ٣٦٠هـ إذ كتب «قصة الحجر الأسود، وزمزم وبدء شأنها» ذكره ابن خير الأشبيلي في فهرسته ص٢٨٥.

* ومن أقدم ما ذكر في هذا الباب «**رسالة في فضل مكة**»، نسبت **للحسن البصري** المتوفى ١١٠هـ، وله نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس في ١٤ ورقة[1].

وفي «سبل الهدى والرشاد» نص منها حيث قال: وفي رسالة الحسن لأهل مكة: من دخل البيت دخل في رحمة الله عز وجل، وفي حمى الله، وفي أمن الله، ومن خرج خرج مغفوراً له ١/ ١٧١.

* ومن الكتب المهمة المطبوعة في هذا الباب «**تاريخ مكة**» لأبي الوليد محمد بن عبد الله **الأزرقي** توفي سنة ٢٥٠هـ وهو متداول بين أيدي الباحثين، وينقل أحياناً بالأسانيد وينقل في الأخبار الماضية عن أهل الكتاب ومن أسلم منهم، مثل وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وهو يعنى بالخطط قبل كل شيء.

كما أن هناك كتب قد يوجد بعضها في مستقبل الأيام مثل:

* «**تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار**» **لابن النّجار** توفي سنة ٦٤٣هـ.

---

(١) أنظر المستدرك على تاريخ التراث للدكتور نجم خلف ص٣٥.

* وله كذلك تاريخ المدينة واسمه: «**الدرة الثمينة في أخبار المدينة**»[1] وهو مطبوع.

* و«**تاريخ مكة**» **للفاكهي**، محمد بن إسحاق بن العباس، توفي سنة ٢٨٠هـ وقد طبع وستنفيلد زياداته على الأزرقي، وتوجد له مخطوطات في بعض الخزائن، وجدير بالنشر كاملاً، ففيه زيادات كثيرة مهمة. واقتبس منه غير واحد منهم السهيلي في الروض ٢/١٣٩، وقد طبع بعنوان: «أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه».

* و«**تاريخ المدينة**» **لأبي الحسن محمد بن الحسن** بن زبالة المخزومي المدني المتوفى قبل المائتين هجرية، وقد أخرج عنه أبو داود في «سننه»، ونقل عنه المصنفون في هذا الفن، كابن حجر العسقلاني والسمهودي وغيرهم.

ويذكر في مصنفاته: «**أزواج النبي ﷺ**» وقد طبع بتحقيق أكرم ضياء العمري، كما رأيت في بعض الفهارس.

* و«**تاريخ المدينة**» **لأبي عبد الله الزبير بن بكار**، المتوفى سنة ٢٥٦هـ. واقتبس منه السهيلي ٢/٢٥١، وله كتاب: «**أخبار مكة**»، و«**مزاح النبي ﷺ**».

* ومثله **لعمر بن شبَّة النمري** المتوفى سنة ٢٦٢هـ، وابن شبة حافظ علامة أخباري، كان بصيراً بالسير والمغازي وأيام الناس، وقد طبع وذكره له غير واحد.

وله كذلك «**أخبار مكة**». اقتبس منه ابن حجر في «الإصابة» وقال في «فتح الباري» ٦/٤٠٤: «ورأيتُ في نسخة قديمة من كتاب مكة لعمر بن شبة». وقد حفظت لنا نصوص منهما تعطينا على الأقل تصوراً عن هذه الكتب.

* **وللحميدي** «**فضائل مكة**»، ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» ٣/٤٦٣، وأعتقد أنه الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي المكي شيخ البخاري، وهو أول شيخ ذكره في «صحيحه»، وقد توفي سنة تسع عشرة ومئتين، وكان من الأئمة المصنفين، ومسنده مطبوع.

* و«**أخبار مكة**» **للواقدي** محمد بن عمر صاحب المصنفات الكثيرة في هذا الباب، المتوفى ٢٠٧هـ، ذكره له ابن النديم في «الفهرست»، وذكر له: «**أزواج النبي ﷺ**».

* و«**قصة الكعبة**» **لأبي عبيدة معمر بن المثنى**، المتوفى ١١٢هـ ذكره ابن النديم في «الفهرست» ص٥٩.

* «**بناء الكعبة وأخبارها**»، **لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي محمد بن يحيى المبارك اليزيدي** المتوفى ٢٢٥هـ وهو من الأدباء الشعراء، ذكره له

---

(١) انظر: «الرسالة المستطرفة» ص١٣٤.

أبو البركات بن الأنباري في «نزهة الألباء في طبقات الأدباء» ص١٦٥.

* «**تاريخ المدينة**» **للحسن بن خلف بن شاذان الواسطي**، المتوفى ٢٤٦هـ، وهو ممن أخرج له البخاري، فقد أخرج له حديثاً واحداً.

* «**أخبار المدينة**»، **لأبي الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسين العقيقي** المتوفى ٢٧٧هـ. وقد اقتبس منه عدة نصوص الإمام السبكي في كتابه «شفاء السقام» ص٣٩، ١٥٢، ٢٠٧ وغيرها، وذكره له الزركلي في «الأعلام» ٨/ ١٤٠.

* «**فضائل مكة المكرمة**» و«**فضائل المدينة المنورة**» **كلاهما للمفضل بن محمد الجَنَدِي** محدِّث مكة، المتوفى نحو ٣٠٨هـ.

و«**فضائل المدينة**» من مخطوطات المكتبة الظاهرية. وقد طبع، وهو مهم ويقع في جزء حديثي، وفيه ثمانية وسبعون نصاً.

* «**فضائل البيت الحرام، ودخوله والطواف به، والصلاة فيه**» **لإسحاق بن أحمد الخزاعي**، وهو من مرويات ابن خير الأشبيلي في فهرسته ص٢٧٩، ٢٨٠.

* «**الابتغاء في أخبار المدينة المنورة**» للحافظ **أبي طاهر المخلص** محمد بن عبد الرحمن بن زكريا بن العباس الذهبي المتوفى ٣٩٣هـ ذكره له في هدية العارفين ٢/ ٥٧.

* و«**فضائل مكة على سائر البقاع**»، **لأحمد بن سهل البلخي**.

* و«**تاريخ المدينة**» لأبي **محمد عبد الله بن أبي محمد المرجاني**، ذكره السمهودي في «**وفاء الوفا**» ص٣١٧.

وقد جاء المتأخرون فاعتمدوا هذه الكتب وانتقوا منها وزادوا عليها، ومن هؤلاء:

* الحافظ **رزين بن معاوية العبدري السرقسطي** المتوفى ٥٣٥هـ له «**فضائل مكة**».

* **وتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن الفاسي** نزيل مكة المتوفى سنة ٨٣٢هـ له: «**شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام**»، في ثلاث مجلدات واختصره في «**تحفة الكرام**» في مجلد واحد، وله: «**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**» وهو كبير كذلك[1] وهو مطبوع.

* ومما طبع في هذا الباب كتاب «**خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**» ﷺ للإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني **السمهودي** المتوفى سنة ٩٢٢هـ، ويقع في مجلد، وهو قيّم في بابه، إذ يعتمد على السابقين، ويبين ذلك، ويبين في بعض الأحايين قيمة النصوص والمرويات.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١٩٤ وقد طبع هذا الكتاب في عدة مجلدات.



كتب التاريخ العام

وهي التي تُعنى بالتأريخ للأمم والدول بشكل عام قبل الإسلام وبعده، وكثيراً ما تبدأ من بدء الخليقة، وينتهي كل مؤلف بعصره. وهذا النوع من المؤلفات كثير جداً، نجتزئ أهم ما طبع من هذه الكتب أو ما له أهمية خاصة.

* وفي مقدمتها يأتي تاريخ **الإمام أبي جعفر الطبري** المتوفى سنة٣١٠هـ «**تاريخ الأمم والرسل والملوك**» وهو من أهم التواريخ وأنفسها، كما أنه كبير حافل.

والطبري من المحدِّثين الكبار، والفقهاء المجتهدين اجتهاداً مطلقاً، ومن المفسرين الثقات، وقد اعتمد في تاريخه قسم السيرة النبوية على من كتب في هذا الميدان قبله ابن إسحاق، والواقدي، وأبو مخنف، وسيف بن عمر التميمي، والسابقين على هؤلاء، ويروي ذلك بأسانيده، وبما أنه محدِّث واسع الرواية فهو يروي أحاديث تتعلق بأحداث السيرة من غير طريق هؤلاء، ويكثر الرواية والجمع في الحادثة الواحدة حتَّى تشعر أنه يريد استقصاء جميع الأقوال صحيحها وضعيفها وواهيها، لذلك لا يمكن الاستغناء عنه، لا سيما وأنَّ كتابه لا يخلو من إبداء وجهات نظر العالم الفقيه المدقق المطلِّع، وينطبق عليه منهج النقد الإسلامي كما ينطبق على غيره. فهو كآخرين يسوق الروايات الجمَّة المتعارضة المتناقضة في الحادثة الواحدة مما لا يصح ولا يقبله العقل، ولا يعلق عليها بشيء، لذلك كان مرتعاً خصباً لكثير من الذين تعاطوا تشويه التاريخ الإسلامي، إذ كانوا يأخذون ساقط الروايات وواهيها، وفيها الطعن بالصحابة وغيرهم، ويحيلون على الطبري لما له من مكانة علمية تمويهاً منهم ومخاتلة.

وأحب أن أذكر هنا بأن جُلّ الحفاظ الأقدمين ومنهم الطبري يعتمدون في روايتهم الأحاديث والروايات الموضوعة والواهية مع سكوتهم عنها على ذكر

أسانيدهم فيها لاعتقادهم أنهم متى أبرزوا الإسناد فقد برئوا من العهدة، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده[1].

وقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته[2]:

«وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكر فيه الآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضي، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين دون الاستخراج، بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس.

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، **فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا**»[3].

وينسحب هذا القول على غيره من المؤرِّخين والمصنفين في هذا الباب فإنهم يسوقون المستنكر من الروايات والضعيف والواهي من الأخبار قاصدين جمع ما نقل وذكر مما ورد، صح أم لم يصح، تاركين التمحيص لمن يريد كلّ على حسب شرطه وقصده.

* وكتاب «التاريخ» **لابن أبي الأزهر**، علي بن سراج المصري، الحافظ البارع صاحب التصانيف، المتوفى ٣٠٨هـ، قال الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١١/ ٤٣٢: كان حافظاً عارفاً بأيام الناس وأحوالهم، وأثنى عليه الدارقطني.

وكتابه «التاريخ» كان من المصادر التي اقتبس منها الحافظ مغلطاي في كتابه «**الإشارة إلى سيرة المصطفى** ﷺ». انظر: ص٤٦٥.

* وهناك **أبو جعفر محمد بن الأزهر بن عيسى**، قال ابن النديم ص١٢٦

---

(١) انظر: في «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر العسقلاني ٣/ ٧٥.

(٢) انظر: ١/ ٧ ـ ٨.

(٣) وقد قامت حول «تاريخ الطبري» دراسات عديدة لبيان قيمة رواياته وتمحيصها، ومنها ما يتعلق بالسيرة النبوية والصحابة الكرام، وكانت أطروحتان للدكتوراه من ذلك تحت إشرافنا.

مولده سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ سمع من ابن الأعرابي وغيره، وله كتاب «التاريخ»، وهو من خيار الكتب. وانظر: «التاريخ العربي والمؤرِّخون» ١/ ٢٢٤، ولا أستطيع القطع عن أيهما نقل الحافظ مغلطاي.

* وكتاب **ابن طاهر المقدسي** توفي سنة ٣٥٥هـ، **«البدء والتاريخ»** فقد تناول كذلك حياة النبي ﷺ ومن بعده، كما تعرض لتاريخ العرب قبل الإسلام باعتباره من كتب التاريخ العام، وهو لا بأس به، يسرد الأحداث سرداً، وينقل عن كتب لم تصلنا، ولا يبين مصادره في أحيان كثيرة، ويذكر ذلك بقوله: قرأت في بعض الكتب[1]، ويعتمد كغيره من المؤرخين في السيرة النبوية على ابن إسحاق والواقدي، وينص على رواية كل واحد منهما في موضع الخلاف، وينقل عن ابن إسحاق بعض الأشعار الواردة في سيرته، وقد حاول في كثير الأحيان أن يرد شبهاً يوردها، كما يقول خصوم الإسلام، فمن ذلك رأيه في الإسراء والمعراج، إذ يرى أن المعراج منام، ويسوغ ذلك فيقول: ولكن ذكرنا ليهون عليك ما يرد من كلام الخصوم، ولتقصير الأشبه بالمتعالم المعروف[2].

وكتابه لا يخلو من طرائف يستأنس بها، من ذلك ما ذكره من أسماء الجن الذين أسلموا بنصيبين عندما سمعوا قراءة النبي ﷺ فقال: أسماهم حسّاً ومسّاً، وشارصة وناجر، وسارسان، والأحقب، ولاورد، وليته بين لنا مصدر هذه التسمية؛ لأن مثل هذه الأمور لا بدّ فيها من النقل الصحيح.

* ومن كتب الطبقة الأولى من المؤرِّخين كتاب **«فتوح البلدان» للبلاذري** أحمد بن يحيى بن جابر المتوفى سنة ٢٧٩هـ وهو كتاب مطبوع مراراً، ابتدأه بقوله: أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة، وفتوح البلدان سقت حديثهم، واختصرته، ورددت من بعضه على بعض أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة من مكة نزل على كلثوم بن الهدم...

ثم تحدث عن نزول النبي ﷺ بالمدينة، وبنائه المسجد وغير ذلك، ثم تحدث عن فتح مكة وغيرها من البلدان، فتناول جزءاً مهماً من السيرة النبوية، ومع أن البلاذري نقل عن ابن إسحاق والواقدي وهشام الكلبي، إلَّا أنَّه قد نقل أحداثاً وأخباراً بأسانيد أخرى، والإسناد في الجانب الذي يَعْنينا كثير، وله كثير

---

(١) انظر: ٤/ ١٤٤.

(٢) انظر: ٤/ ١٦٤، ١٧٣.

من الأسانيد الصحيحة التي تعتمد عند المحدثين، وأسانيد أخرى فيها رجال متكلم فيهم، وقد نقل البلاذري عدداً من نصوص العهود التي كان النبيُّ ﷺ يكتبها للمعاهدين ككتاب المعاهدة مع أهل نجران، وأهل مقنا، وكتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى، ولأكيدر دومة... إلخ.

ولا يخلو من زيادات لا نجدها الآن فيما بين أيدينا من كتب، من ذلك ما نقله بإسناده، فقال: حدثنا الحسين بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن الكلبي، قال: لما ظهر رسول الله ﷺ على أموال بني النضير وكانوا أول من أجلي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]. فكانت مما لم يوجف عليه المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فقال رسول الله ﷺ للأنصار: «ليستْ لإخوانِكم من المهاجرينَ أموالٌ، فإن شئتم قسمتُ هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً، وإن شئتم أمسكتُم أموالكم وقسمتُ هذه فيهم خاصة» فقالوا: **بل اقسم هذه فيهم، وأقسم لهم من أموالنا ما شئت**، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] فقال أبو بكر: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي:

جَزىٰ اللهُ عنّا جَعْفَراً حين أزلِقَتْ ... بنا نَعْلُنا في الوَطْأتَيْنِ فَزَلَّتِ
أبَوْا أن يَمَلُّونا وَلو أنَّ أُمَّنَا ... تُلاقِي الذي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ
فَذُوْ المَالِ موفورٌ وكلُّ مَعَصَّبٍ ... إلى حُجُرَاتٍ أدفَأَتْ وَأظَلَّتِ

قلت: وهي أبيات للطفيل بن كعب أو ابن عوف أبو قرّان القيسي، ويلقب بالمحبر لتحسينه شعره.

* وللبلاذري كتاب آخر يؤخذ بالاعتبار من الباحث في السيرة النبوية ألا وهو: «**أنساب الأشراف**»، وهو كبير الفائدة، كذلك ككبر حجمه، وقد طبع كاملاً[1]، وفيه فوائد مهمة.

* ومن هذه الكتب كذلك **تاريخ اليعقوبي** أحمد بن جعفر بن وهب توفي سنة ٢٩٢هـ ولا يستعمل الإسناد فيه، ويسرد الأحداث سرداً، ونقل في مولده ﷺ أقوالاً عن أهل الفلك والتنجيم، وقد ذكر قصة الإسراء قبل موضعها، ويذكر فيها

---

(١) بتحقيق الأستاذ محمود فردوس العظم، كما أردفه المحقق بذيل استكمل فيه ما أغفله البلاذري (ن).

أن أبا طالب كان حياً، وهذا مخالف لما هو شائع ومعروف، وقد وضعها ابن هشام قبل وفاة خديجة وأبي طالب، وقد ساق نماذج من خطبه عليه الصلاة والسلام تحت عنوان: خُطب رسول الله ﷺ ومواعظه وتأديبه بالأخلاق الشريفة.

وقد أخَّر نسبه صلوات الله وسلامه عليه ومرضعاته إلى ما بعد وفاته.

* ومن المؤرِّخين القدامى كذلك **أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي** توفي سنة ٣٤٦هـ وهو كما يقال من ذرية عبد الله بن مسعود، وأرَّخ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» وفاته ٣٤٥هـ.

وقد عرض للسيرة النبوية في غير ما كتاب من كتبه، وقد طبع منها اثنان: «مروج الذهب ومعادن الجوهر»[1]، والآخر هو «التنبيه والإشراف»، والأول يغلب عليه الطابع التاريخي، والآخر يغلب عليه الطابع الجغرافي، حيث أودعه لمعاً من ذكر الأفلاك وهيآتها، والنجوم وتأثيراتها، والعناصر وتراكيبها، وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها، والرياح ومهابها، والأرض وشكلها ومساحتها، والنواحي والآفاق وتأثيراتها على السكان... عرض فيه لسيرة النبي ﷺ وظهور الإسلام، ويسوق الأحداث مختصرة دون ذكر للأسانيد، ويعزوها إلى الذين نقل عنهم أحياناً أمثال الواقدي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي عبيد القاسم بن سلام.

وقد ركَّز في كتابه هذا على غزوات النبي ﷺ وسراياه، مقسماً ذلك على السنين، وقد ذكر أسماء السنين، فالسنة الثانية **سنة الأمر**، لأنه أُمر فيها بالقتال، والثالثة **سنة التَّمحيص**، والرابعة **سنة الترفيه**، والخامسة **سنة الأحزاب**، والسادسة **سنة الاستئناس**، والسابعة **سنة الاستغلاب**، والثامنة **الفتح**، والتاسعة **سنة الوفود**، والعاشرة **سنة حجة الوداع**، والحادية عشر **سنة الوفاة**.

وختم ذلك بكتَّابه ﷺ ويقول في ذلك: «وإنما ذكرنا من أسماء كتَّابه ﷺ من ثبت على كتابته، واتصلت أيامه فيها، وطالت مدته، وصحت الرواية على ذلك من أمره، دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة، إذ لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً، ويضاف إلى جملة كتَّابه».

* ويعزو في هذا الكتاب إلى كتاب آخر له، فصَّل القول في السيرة فيه على ما يبدو وسماه «**الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار**»، وكتاب «التنبيه والإشراف» فيه لطائف وفوائد قلَّما توجد في كتاب آخر.

---

(١) وأجود طبعاته تلك التي أخرجتها الجامعة اللبنانية بتحقيق شارل بلا (ن).

وفي كتابه «مروج الذهب» كذلك اختصر القول في السيرة اختصاراً، وأحال في غير ما موضع إلى كتاب له سماه «**الأوسط**» وساق الأحداث على السنين، ويشير إلى اختلاف الأقوال في المسألة إن كان ثمَّة اختلاف، وينقل فيه عن ابن إسحاق وعن الواقدي، وعن تاريخ الطبري[1] وختم جزء السيرة بنبذة من أقواله ﷺ التي لم يسبق إليها، وحكمه، وقد قال: «وقد أتينا في كتابنا «**أخبار الزمان**»، والكتاب الأوسط على ما كان في سنِّيه سنة سنة من مولده ﷺ إلى مبعثه، ومن مبعثه إلى هجرته، ومن هجرته إلى وفاته، ومن وفاته إلى وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة، وما كان في ذلك من المغازي والفتوح والسرايا والبعوث والطرائف والأحداث، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا...»[2].

والمسعودي في كتابيه ذو أسلوب قوي، وعبارة جزلة ودقيقة، وقد تكلموا فيه وقالوا: هو معتزلي شيعي، وكُتبه طافحة بذلك[3].

* ومن كتب التاريخ: «**التعريف بصحيح التاريخ**»، **لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ابن الجزار القيرواني**، الطبيب المؤرخ المتوفى ٣٦٩هـ، وقيل: بعدها، من أهل القيروان وله كتب كثيرة في الطب، وله هذا الكتاب وغيره في التاريخ، وقد اعتمده الحافظ علاء الدين مغلطاي في **الإشارة**، ونقل منه نصوصاً هامة وعديدة[4]. واقتبس منه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٧٤ وسماه «صحيح التاريخ» والصالحي ١/ ٤٠٣ طبعة مصر، ووصفه الزركلي في «الأعلام» بأنه كتاب كبير.

* و«**تاريخ العُتَقي**»: وقد أكثر النقل عنه الحافظ مغلطاي في الإشارة في قضايا السيرة النبوية، وقال فيه أبو عبد الرحمن العتقي- ص٧٨، ٨٠، ٨٧، وقال في ص٨٩: وفي كتاب العتقي، وفي ص١١٢، قال العتقي: وسار معه في أحداث السيرة بالتتابع.

وقد بحثتُ عن العتقي، فوجدت الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي

---

(١) انظر: ٢/ ٢٨٩ ط٣ بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٢) انظر: ٢/ ٢٩٨.

(٣) انظر في ترجمته: «الفهرست» لابن النديم، و«سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٥٦٩، و«طبقات الشافعية» ٣/ ٤٥٦، و«لسان الميزان» ٤/ ٢٢٤.

(٤) انظر منها: ص١٦٧، ١٩٦.

المتوفى ٤٠٩هـ، يقول في كتابه «مشتبه النسبة» ص٤٨ يقول: **أبو عبد الرحمن العنتي المغربي** الشاهد اسمه محمد بن عبد الله بن محمد، له «تاريخ في المغاربة»، وكتبت عنه عن أبي العرب، وقد أثبت هذا النص الحافظ ابن حجر في كتابه «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» ٣/ ٩٩٤.

* **«وتاريخ القضاعي» محمد بن سلامة بن جعفر المصري الشافعي القاضي** المتوفى ٤٥٤هـ، وهو فقيه علامة شافعي المذهب والمعتقد، له مصنفات. قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٩٣ نقلاً عن غيث الأرمنازي: منها «تاريخ مختصر من مبتدأ الخلق إلى زمانه» في مجلدين. قال محقق السير: واسمه «**عيون المعارف، وفنون أخبار الخلائف**»، جمع فيه جملاً من أنباء الأنبياء، وتاريخ الخلفاء وولايات الملوك ورتبه على السنين، ورحل فيه إلى سنة ٤٢٢هـ، ويوجد منه عدة نسخ بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٧٧٩)[١]. وانظر: «التاريخ والمؤرخون» لشاكر مصطفى ٢/ ١٩٠.

قلت: وعند ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٤/ ٢١٢ نقلاً عن الحافظ ابن عساكر قوله: وله عدة تصانيف منها: كتاب «الشهاب»، وكتاب «مناقب الشافعي رضي الله عنه» وأخباره، وكتاب «الأنباء عن الأنبياء»، و«تواريخ الخلفاء» وله كتاب «خطط مصر»[٢]. قلت: وقد اقتبس منه الحافظ مغلطاي في كتابه «الإشارة» في صفة خاتم النبوة ص٧١.

* و«**التاريخ من المولد إلى الوفاة ومن كان بعد النبي ﷺ من الخلفاء والملوك» لمحمد بن علي الحسنيّ العلوي الدينوري**، وقد ذكره المسعودي في مقدمة كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ١/ ١٤.

* ومن أعلام المؤرِّخين الذين يذكرون في هذا المكان: الإمام الحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن **ابن عساكر** المتوفى سنة ٥٧١هـ، فقد كتب «تاريخ دمشق الكبير» الذي بلغ ثمانين مجلداً، ويقول هو عنه: «وهو كتاب مشتمل على ذكر من حلَّها من أماثل البَريَّة، أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوي الفضل والمزية من أنبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها

---

(١) وقد طبع في جامعة أم القرى في مجلدٍ واحدٍ بتحقيق الدكتور جميل المصري.

(٢) وللقضاعي أيضاً كتاب «دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه»، وهو من منشورات دار القلم بدمشق (ن).

وذراتها وقرّائها ونُحاتها وشعرائها ورواتها من أمنائها، وأبنائها وضعفائها وثقاتها وذكر ما لهم من ثناء ومدح، وإثبات ما فيه من هجاء وقدح، وإيراد ما ذكروه من تعديل وجرح، وحكاية ما نقل عنهم من جدٍّ ومزح، وبعض ما وقع من روايتهم وتعريف ما عرفت من مواليدهم ووفاتهم، وبدأت بذكر من اسمه منهم أحمد ليكون الابتداء بمن وافق اسم المصطفى ﷺ...[1] وابتدأ بسيرة نبينا عليه الصلاة والسلام، وبما أن ابن عساكر من الحفاظ الكبار فإنه ينقل رواياته بالأسانيد المتَّصلة إلى النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وأسانيده هذه فيها الصحيح والحسن، والضعيف بأنواعه فلا تؤخذ دون بحث ونظر، وقد اعتمد ابن عساكر على كتب السابقين التي رواها خصوصاً كتب الحديث، ويبين هو ذلك كله.

* وقد اختصر الشيخ عبد القادر بدران «تاريخ ابن عساكر» - لا ندري كله أم بعضه - فحذف الأسانيد، ووحد المكرر، وطبع منه خمسة مجلدات بمطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩هـ[2].

وفي المجلد الأول سيرة النبي ﷺ وهو من أنفع الكتب لمن يكتب في السيرة، لأنه يسوق الأخبار، ويذكر مخرجيها من المحدِّثين، وفي أحايين كثيرة يتكلم على أسانيدها وينقدها نقد العالم البصير، كيف لا وابن عساكر حافظ الإسلام في عصره[3].

كما أنه لا يخلو من روايات تفرد بها لا توجد في غيره، من ذلك ما رواه من طريق الخرائطي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ دخل على أم إبراهيم مارية القبطية وهي حامل منه بإبراهيم، وعندها قريب لها كأن قدم معها من مصر فأسلم وحسن إسلامه، وكان كثيراً ما يدخل على أم إبراهيم، وأنه جبَّ نفسه بقطع ما بين رجليه حتَّى لم يبق قليلاً ولا كثيراً، فدخل رسول الله ﷺ يوماً على أم إبراهيم فوجد عندها قريبها، فوجد في نفسه من ذلك شيئاً كما يقع في أنفس الناس، فرجع متغير اللون، فلقيه عمر بن الخطاب، فعرف ذلك في وجهه فقال: يا رسول الله ما لي أراك متغير اللون؟ فأخبره بما وقع في نفسه من قريب مارية، فمضى بسيفه، فأقبل يسعى حتَّى دخل على مارية فوجد عندها قريبها ذلك فأهوى

---

(١) انظر: ١/ ١٥ من «مختصر عبد القادر بدران».

(٢) كما اختصره ابن منظور وطبع مختصره هذا في دار الفكر بدمشق (ن).

(٣) وقد طبعت سيرة النبي ﷺ من تاريخ ابن عساكر في مجلدين وصدرت عن مجمع اللغة العربية بدمشق كما ذكرت آنفاً (ن).

بالسيف ليقتله، فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه، فلما رآه عمر رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي، وبشرني أن في بطنها مني غلاماً، وأنه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم، وكناني به إذ كناني بأبي إبراهيم، ولولا أني أكره أن أحول كنيتي التي عرفت بها لاكتنيت بأبي إبراهيم كما كناني به جبريل ﷺ[1]. قال الشيخ عبد القادر بدران تعليقاً عليه: هذا الحديث رواه الحافظ بسند حسن، ولم أجد من رواه غيره والله أعلم.

قلت: وقريب مارية هذا هو مأبور وقد ذكر غير واحد أنه مجبوب.

* ونشير هنا إلى كتاب «المحبر» **لابن حبيب البغدادي** المتوفى ٢٤٥هـ وإن كان لا يجري في مضمار كتب التاريخ المتقدمة، إلا أنه يلحق بها، فقد جمع فيه مؤلفه مقتطفات من عيون التواريخ دون ذكر إسناد ومن أيام العرب الجاهلية وأيامهم في الإسلام حتَّى عهد قريب من زمنه وفيه ضمائم عن تاريخ الأنبياء والأمم الأخرى.

وفيه من الجانب الذي يعنينا شيء وفير وإن كان بدون إسناد إلا أنه يقول ما ورد في كتب أخرى ويرجحه، وقد رأيت الإمام السهيلي المتوفى ٥٨١هـ في «الروض الأنف»، والحافظ ابن حجر يرجعان إلى هذا الكتاب أي «المحبر» ويعزوان إليه في مؤلفاتهما، كما يرجعان إلى كتب أخرى لابن حبيب، ووجدت الإمام أبا الفرج بن الجوزي في كتابه «الوفا» يقتبس من ابن حبيب ١/٢٥١ - ٢٦٠.

وهناك كتب أمثال: «المحبّر» تجمع مقتطفات من الأخبار بدون إسناد، ولما كان مؤلفوها من الأعصر الأول فهي داخلة في نِطاق بحوثنا ومصادرنا للسيرة النبوية، مثل:

* كتاب «**المعارف**» **لابن قتيبة**، وهو من المصنفين الأوائل، والعلماء الأماثل الذين تركوا أثراً في الفكر الإسلامي وأثنى عليه العلماء. قال المسعودي في مقدمة كتابه «مروج الذهب» ١/١٥: فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فممن كثرت كتبه، واتسع تصنيفه، ككتابه المترجم بكتاب «المعارف» وغيره من مصنفاته الأخرى، ويقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه «المعارف»:

---

(١) انظر: ١/٢٧٧.

وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف أولها: مبتدأ الخلق وقصص الأنبياء وأزمانهم وحلاهم وأعمارهم... ووصلت ذلك بأنساب العرب مختصراً ذلك، ومقتصراً على العمائر ومشهور البطون، ثم أتبعته أخبار رسول الله ﷺ في نسبه، وذكر عمومته وعماته وجداته لأبيه وأمه، وأظآره وأزواجه، وأولاده ومواليه، وأحواله في مولده ومبعثه ومغازيه إلى أن قبض ﷺ.

وأخبار العشرة من المهاجرين رحمهم الله تعالى، ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء... إلخ.

وما تقدم كله يدخل في ميدان السيرة النبوية، ولهذا جعل عدد من الأئمة الذين كتبوا في السيرة هذا الكتاب من مصادرهم ومنهم على التمثيل: الإمام السهيلي في «الروض الأنف» انظر ٤/ ٢٢١ ومواطن أخرى عديدة، مع كتابه «غريب الحديث»، و«المعارف» مطبوع، و«غريب الحديث» كذلك.

وتتزايد كتب التاريخ بعد ذلك وتكثر مع الأيام، وتتفاوت قيمتها.

ومن أحسن التواريخ وأنفعها في هذا الباب كتاب «**الكامل**» للإمام المحدِّث العلامة **ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري** المتوفى ٦٣٠هـ وهو صاحب «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، والكتابان مطبوعان ومفيدان في ميدان السيرة النبوية.

* ولمعاصره العلامة **شهاب الدين ابن أبي الدم الحموي** إبراهيم بن عبد الله الشافعي، المتوفى ٦٤٢هـ كتاب «**التاريخ المظفري**»، وهو كتاب مهم، اقتبس منه عدد من المصنفين، ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» ٢/ ٤٦٩ وغيره، وذكره له الزركلي في مصنفاته وقال: جزء منه في ١٩٧ ورقة في خزانة بانكي فور الرقم (٢٨٦٨)، ومنه مخطوطة في خزانة الإسكندرية من الهجرة إلى سنة ٦٢٧هـ مبتورة الآخر، ألفه باسم المظفر أمير ميافارقين، ترجم الإيطاليون القسم المختص منه بصقلية وطبعوه.

ولعل مقبل الأيام يكشف لنا عن كتب أخرى من المصادر التاريخية قريبة العهد بالقرون الأولى والمشهود لها بالخيرية، وتزودنا بمعلومات لم نجدها فيما بين أيدينا، أو تؤكد معلومات كنا في شك منها أو تعدل لنا معلومنا عن بعض جوانب السيرة النبوية...

وكتب التاريخ لها خطورة كبيرة في توجيه الفكر الإنساني؛ وفي طمس معالم

الحقيقة أو إظهارها، ولهذا فيجب أن ينتبه القارئ لأي كتاب تاريخي لقاعدتين أساسيتين لا يغفل عنهما وهو يعيش مع الأقوام الماضين والأشخاص الذين كان لهم دور في التاريخ أي تاريخ كان!! وفي تاريخ الإسلام خاصة.

القاعدة الأولى: «**النزعة المذهبية للمؤرِّخ**؛ فمن كان متعلقاً بمذهب وفكرة معينة، فهو لا شك سيحاول أن يحشر جميع ما يخدم هذه الفكرة، ويظهر كل محاسنها، متغاضياً عن كل ما يجرحها أو يطعن فيها، وينقص من قيمتها لدى الأمة، ولم ينج من هذا الخطر إلا القليل، وجلّ هذا القليل من الأمة الإسلامية.

وقد وقع فيه كثير من المؤرِّخين المسلمين إذ كانت نزعة التشيع والأموية تتنافسان، فمن كان في جانب التشيع أبرز الإسلام وكأنه قد انتصر بحماية أبي طالب، وانتشرت فتوحه بسيف الإمام علي كرّم الله وجهه، وصور انحطاط الإسلام وضعفه وكأنه قد نشأ من تسلط بني أمية عليه وأمثال ذلك...

ومن استحكمت فيه الأموية قدم فكرته عن الإسلام وحضارته وكأنها من صنع بني أمية ومن والاهم من قريش والقبائل العربية... وبين هذين الاتجاهين يتأرجح المؤرخون، ومثلهم الأدباء ونقول في كتب الأدب ما نقوله هنا في كتب التاريخ.

ولهذا فلا نسمع كلام الشيعة والمتشيعين في الأمويين وكذلك لا نسمع كلام الأمويين في الشيعة، وإن كان الغالب على كتب التاريخ أنها تنزع نحو المنزع المتشيع لآل البيت لظروف وأسباب ليس هذا محل تفصيلها. ومن الخير بمكان كبير الرجوع إلى المصادر التي كان لمؤلفيها الإنصاف والاستقامة المذهبية دون حيف أو جور، بل كانوا يبحثون عن الحق أمثال: الطبري، وابن عساكر، والبخاري، ومن اقتفى أثرهم مذكرين بالمنهج الذي تؤخذ فيه الحوادث التاريخية وتصطفى. قال الإمام السبكي في «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٦٢: وقد استقريت فلم أجد مؤرخاً ينتحل عقيدة، ويخلو كتابه عن الغمز ممن يحيد عنها، سنة الله في المؤرِّخين وعادته في النقلة.

القاعدة الثانية: **النزعة السياسية للمؤرِّخ**: وهي كذلك من الخطر بمكان كبير إذ يقدم المؤرِّخ على تلوين الأحداث ووضعها بما يخدم نزعته السياسية، ويرضي القائمين على هذه النزعة، وهنا يجب على دارس التاريخ أن يحدد النزعة السياسية للمؤرخ الذي يريد أن يأخذ منه، ومدى قربه أو بعده من الحاكم، ومدى صداقته وعداوته له، وإذا أردنا أن نضرب مثلاً واقعياً على ذلك نقول: إن كثيراً ممّن الكتب

التي ألفت في العصر العباسي وكان أصحابها على صلة بالسلطة قد تحاملوا على الأمويين وتاريخهم، وشنعوا عليهم، لا سيما ولم يعد لهم دولة تدافع أو صولة تُخاف وترهب.

حتَّى إني رأيت بعضاً من ذلك في «سيرة ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام» إذ يحيف على آل أبي سفيان ويحط عليهم، ويفخم أمر آل البيت وأشياء من هذا القبيل، وما ذلك إلا إرضاء للسلطة القائمة، وآل البيت في حقيقة الأمر أغنياء عن هذا كله بل يكفيهم تطهير الله تعالى وتشريفه لهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

كما أن العداوة حجاب حاجز عن الحقيقة، فلا يسمع كلام الخصم في خصمه.

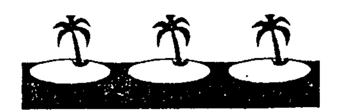
ولهذا يجب أن نبحث بدقة عن الفترة التي كتب المؤرِّخ فيها كتابه وما هي دوافعه لهذا التأليف. وقد نص علماؤنا رحمهم الله على خطل رأي كثير من المؤرِّخين والأدباء، ونبهوا على انحرافهم في اتجاهاتهم التي سلكوها وأوجبوا علينا أن لا نغتر بذلك حتى لا نقع في المحظور والمحرم من انتقاص لأقدار الصحابة والتابعين، أو المغالاة في إعطائهم أكثر مما يستحقون، وإضفاء صفة القداسة والعصمة على البشر غير المعصومين، وفي هذا يقول الإمام تقي الدين السبكي في «طبقاته»: «لا بد أن يكون المؤرخ عالماً عارفاً بحال من يترجمه، وليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له، ولا من العداوة ما يحمله على الضغن منه، وربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة، واعتقاد أنهم على ضلال، فيقع فيهم أو يقصر في الثناء عليهم».

ويقول الإمام أبو بكر بن العربي: «لتحترزوا من الخلق وخاصة من المفسرين. والمؤرِّخين وأهل الآداب بأنهم أهل جهالة بحرمات الدين. أو على بدعة مصرِّين، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا روايةً إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري[1] و... فإنهم ينشؤون أحاديث فيها احتقار الصحابة والسلف، والاستخفاف بهم... فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الحبائل، ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل، ومن

(١) مع ملاحظة تصفية ما في كتاب «الطبري» كما قدمنا.

أشد شيء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال، فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصخابة رسماً في كتاب «الإمامة والسياسة» إن صح عنه جميع ما فيه[1]، وكالمبرد في كتابه الأدبي وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة، وأما المبتدع المحتال فالمسعودي فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه...»[2].

وبهذا المعيار نقول: أي منهج علمي يسلك هذا الذي ينقل سيرة محمد بن عبد الله ﷺ من كتب اليهود والنصارى والذين حاربوا الإسلام سراً وإعلاناً بكل الوسائل، كما يفعل هيكل وطه حسين وفراخهما وأضرابهما، أو من كتب الماركسيين الذين جعلوا من النبي ﷺ داعية للاشتراكية، وقائداً لثورة (البروليتارية) ضد الأغنياء، وقد جردوه من صفة الرسالة، واختصاصه بوحي السماء؟!! إن ذلك مكر عظيم، وتغابٍ لئيم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.



(١) كتاب «الإمامة والسياسة» ليس من تأليف ابن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧٦هـ. وهناك أدلة قاطعة على ذلك، بل هو مدسوس عليه، وفيه أخبار عن أحداث وقعت بعد وفاة ابن قتيبة بسنين كثيرة.

(٢) انظر: «العواصم من القواصم» ص٢٤٨، ٢٤٩.



كتب الأدب واللغة

ويمكن قسمها إلى قسمين رئيسيين: الشعر والنثر.

١ ـ **أما الشعر**: فلا تخفَى أهميته ومكانته في هذا الميدان، لأن النبي ﷺ بُعث في أمة كانت صناعة الشعر فيها مزدهرة، بل كانت صناعة الشعر عنوان هوية هذه الأمة، وشعار عروبتها وأصالتها، تسخِّر هذا الشعر في المديح والهجاء، والتهاني والرثاء، والفخر والحماسة، والمجون والخلاعة، والتشبيب والغزل، وغير ذلك من الفنون والمقاصد والأغراض.

بل إن الشعر كان كل شيء في دنيا العرب الثقافية، وهو وعاء المعرفة والحياة العلمية، وقد نَبَه قدر الشعراء بعد خمول، وخمل قدرّ الخطباء بعد ارتفاع ونباهة كما قال أئمة الأدب، وشاع عندهم أن (الشعر ديوان العرب) ونظراً لاحتلال الشعر جلَّ الميادين الثقافية نفى كثير من المستشرقين، وبعض العرب وخاصة المستغربين أن تكون الأمة العربية قد عرفت النثر في تلك الفترة، ومن هؤلاء: المستشرق الفرنسي المسيو مرسيه، الذي اختطف كلامه (عميدهم) طه حسين كعادته وتبناه[1] وأذاعه!!

ومهما يكن من أمر فالواقع أنه قبيل البعثة النبوية قد علت راية الشعر، وارتفع قدر الشعراء.

وفي هذا الجو الذي أُرخي فيه للشعر العنان، وكان الشعراء في كل وادٍ يهيمون، كان من العادي جداً أن يتعرض النبي ﷺ لهجو المعاندين والمعارضين الذين أرادوا منعه من تبليغ دعوته بكل وسيلة. وأن ينافخ عنه أصحابه، وأتباعه الذين يجيدون فن الشعر ـ وما أكثرهم ـ بشعرهم، كما دافعوا عنه بأموالهم وأسلحتهم.

ومما هو مؤكد متواتر أن النبي ﷺ قد اتخذ حسان بن ثابت شاعراً رسمياً

---

(١) انظر: «النثر الفني في القرن الرابع» للدكتور زكي مبارك ١/٣٨.

يرد على شعراء الوفود، ويبادلها قصيدة بقصيدة، وقافية بقافية، إضافة إلى تطوعه ودفاعه كلما جنح به الفؤاد، وحركته ريح الإيمان، وأحس زهو نصر الدعوة، وزاهر مستقبلها.

ولهذا فإن دراسة الشعر الذي عاصر الدعوة الإسلامية، وخاصة ما قيل في عهد النبي ﷺ له أهمية كبيرة في دراسة السيرة العطرة وأحداثها، سواء كان شعر الكفار وأقوالهم في المسلمين، أم شعر المسلمين ومنافحتهم.

بل دراسة الشعر في العصر الجاهلي والعصر الأموي بأجمعه له فائدة، وأي فائدة في إلقاء أضواء هامة على السيرة النبوية، وفيه كبير فائدة لدارسي الأدب والشعر حين يقرؤونه على هدي السيرة النبوية الصحيحة؛ لأنها المرآة الوحيدة الصادقة لذلك التاريخ قبل البعثة وأثناءها، وفي جنباتها التاريخ الحق، فيدركون ما دخل الشعر من جديد المعاني وطريف الأفكار، و....

ونذكر هنا بأن الشعر الذي قيل في هجو النبي ﷺ والمسلمين بقي منه القليل، وذلك لأمور عديدة:

منها: أن أصحابه الذين قالوه قد اعتذروا عنه بعد إسلامهم وندموا عليه، وجهدوا في إماتتهم له، وذلك مثل: عبد الله بن الزبعرى السهمي، الذي جاء معتذراً للنبي ﷺ وقال:

يا رسولَ المَلِيْكِ إنّ لِسَانِي رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُوْرُ
إذ أُبارِي الشيطانَ في سَنَنِ الغَيِّ، ومَنْ مالَ ميلَه مَثْبُورُ
آمنَ اللحمُ والعظامُ لربِّي ثم قلبي الشهيدُ أنتَ النذيرُ

وقوله: (راتق ما فتقت): أي مصلح ما أفسد فيما مضى عندما كان كافراً.

وكذلك كعب بن زهير الذي جاء معتذراً، وأنشد:

بانَتْ سعادُ فقلبِي اليومَ مَتْبُوْلُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُوْلُ

إلى أن يقول:

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوْعَدَنِي والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُوْلُ
مَهْلاً هداكَ الذي أعطاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فيها مَوَاعِيْظٌ وتَفْصِيْلُ
لا تأخذنِّي بأقوالِ الوُشَاةِ ولم أُذنبْ، وإنْ كَثُرَتْ فيَّ الأَقَاوِيْلُ

إلى آخر القصيدة المشهورة.

ومنها: أن الهجو الذي وقع للمسلمين بعد أن عمّ الإسلام جزيرة العرب

ودخلوا فيه أجمعين، كرهوا إثارة الحقد وأيام الجاهلية به، ليبقى حالهم على الصفاء الذي جمعهم عليه القرآن والإسلام ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وكونوا عباد الله إخواناً، لذلك لم يُعْتن به ولم يقرؤ عليه أحد.

ومنها: تحرز المسلمين من نقل ما هجي به رسول الله ﷺ والمسلمون، لأنه كذب وزور، ومحاربة للفضيلة، أو رضى بحربها ونشر ذلك، وهذا يجر إلى الكفر، وإلى هذا ذهب القدماء من علماء الإسلام كأبي عبيد القاسم بن سلام، ومن فسَّر الغريب من حديث رسول الله ﷺ وسيرته. قال القاضي عياض[1]: وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي ﷺ فهو كفر.

وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع، إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي ﷺ وكتابته، وقراءته متى وجد دون محوٍ.

ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم، فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله، وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة غير مستبشعة على نحو الوجوه الأولى ليروا نقمة الله من قائلها، وأخذه المفتري بذنبه.

وقد تحرى أبو عبيد فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجوّ بوزن اسمه استبراءً لدينه، وتحفظاً من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره، فكيف بمن يتطرق إلى عرض سيد البشر ﷺ.

وعلى هذا حمل بعض الأئمة الحديث الذي أخرجه الشيخان وأحمد وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة ـ وجاء كذلك عن غيره من الصحابة رضوان الله عليهم ـ عن النبي ﷺ: «لأن يمتلئَ جوفُ رجلٍ قَيْحاً حتى يريَه خيرٌ مِنْ أنْ يمتلئَ شِعْراً».

وقد جاء في طريق ضعيفة: من طريق جابر بن عبد الله: «لأن يمتلئَ جوفُ رجلٍ قيحاً أو دماً خيرٌ له من أن يمتلئَ شعراً هُجيتُ بِهِ» أخرجه أبو يعلى، وفي سنده راوٍ لا يعرف.

وأخرجه الطحاوي وابن عدي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة، إنما قال: «مِنْ أنْ يمتلئَ شعراً هُجِيْتُ به» وابن الكلبي وأبو صالح ـ هو باذان ـ ضعيفان.

والصواب في تأويل حديث: «لأن يمتلئَ» جوفُ أحدِكُمْ كما هي رواية ابن عمر

---

(١) «الشفا» ٢/٢٤٧.

ـ قيحاً خيرٌ له من أنْ يمتلئَ شِعراً، هو الذي يشغله عن القرآن وذكر الله، فيكون الغالب عليه، حتى تراه يفيض شعراً من جميع فنونه، ولا يقيم آية ولا يحفظ سورة.

وقد تنبَّه لأهمية الشعر ومكانته في دراسة السيرة النبوية طائفةٌ من المؤلفين منذ القديم ـ وعلى رأسهم ابن إسحاق وابن هشام، فكانا يسوقان بعض الشعر الذي قيل في الحوادث والمغازي وما إليها، وقد تابعهم على ذلك الأئمةُ بمن فيهم أصحاب الصحاح كالبخاري ومسلم.

إلا أن سياق كتاب «السيرة»، وأئمة الحديث للشعر، كان للاستشهاد، وكان كل واحد يجتزئُ بعضاً مما قيل في الحادثة الواحدة.

وأذكر هنا أننا وجدنا في شعر بعض الصحابة ألفاظاً لولا إقرار النبي ﷺ لها لا نستجيز التلفظ بها مثل قول خُبيب بن عدي رضي الله عنه:

وَلَسْتُ أُبالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... على أيِّ جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلىٰ أَوْصَالِ شلوٍ مُمَزَّعِ

فقوله: (في ذات الإله) ذكر الذات متلبساً باسم الله، وقد سمعه النبي ﷺ فلم ينكره فكان جائزاً.

وكقول عبد الله بن رَوَاحة رضي الله عنه:

شهدتُ بأنَّ وعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكافِرِيْنَا
وأنَّ العَرْشَ فوقَ المَاءِ طافٍ ... وفوقَ العَرْشِ ربُّ العالَمِيْنَا
وتَحمِلُهُ مَلائِكَةٌ غِلاظٌ ... ملائكةُ الإلهِ مُسَوَّمِيْنَا

قال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»: روينا هذه الأبيات في قصتها من وجوه صحاح.

وفيها ما نتهيب القولَ فيه لولا ورودُ النص، ولهذا فدارس هذا الشعر يحتاج إلى معرفةٍ بالعقيدة الإسلامية، وفقه بالشريعة، وتوسُّعٍ في الاطلاع على نصوص السنّة الشريفة.

ولهذا فإن شعر تلك الفترة يجب أن يوثق توثيقاً صحيحاً، ثم يدرس دراسة شاملة متكاملة بعد جمعه من مظانه؛ كدواوين الشعراء المفردة، ومعاجم الشعراء، وطبقات الشعراء، وكتب التاريخ والسير والأدب.

وأذكر هنا أن محاولة طيبة وخطوة جيدة، خطتها كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت هذه المحاولة تهدف إلى جمع

شعر الدعوة الإسلامية تحت إشراف الدكتور الفاضل عبد الرحمن رأفت الباشا رحمه الله تعالى، فصدر الجزء الأول للأستاذ عبد الله الحامد، جمع فيه طائفة طيبة من الشعر في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، وهو ما يعنينا.

وصدر شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي للأستاذين عبد العزيز محمد الزير، ومحمد بن عبد الله الأطرم. ولئن كانت هذه الخطوة هامة، إلا أني ألفتُ الانتباه وخاصة الأساتذة الكرام أصحاب هذه المحاولة، وقد رقَوْا في سلم المعرفة درجات، إلا أن هناك قصوراً كبيراً في توثيق النصوص، وأهم عمل في هذا المجال هو توثيق النص وتصحيح نسبته لقائله، لما يترتب عليه من الأحكام واستخلاص النتائج، لا أن يجمع ويحشد كيفما اتفق.

ثم العمل الثاني الجاد هو دراسة هذا الشعر دراسة في إطار الأدب بمعناه الاصطلاحي، ولكنه ملتزم بالفكر الإسلامي الحق.

فالأستاذ عبد الله الحامد مثلاً يقول في مقدمته: «وعند تعدد المصادر للقصيدة الواحدة اعتمدت المصدر الذي بدا لي فيه النص أجملَ أداءً، وأوفى عدداً، وأكثر صحة، وأشد شبهاً بالروايات الأخرى، دون التفات إلى قدم المصدر أو حداثته».

وهذه الفقرة تبدي لنا أنه لم يكن لديه منهج واضح لجمع النصوص، بل كانت لديه عاطفة جياشة، والعاطفة في سبيل الإسلام والحماس له وللعقيدة مأجور كل مسلم عليها، لكن العلم لا يقوم بالعاطفة وحدها!! وقد أغفل من مصادر جمعه مصادر موثوقة، ميسورة بين يديه، وفيها أشياء أهم من كثير مما جمعه، مع ملاحظات منهجية أخرى آمل له أن يتداركها في الطبعة القادمة مع غيرها بحول الله.

وعلى أية حال فهي محاولة طيبة تفيدنا في جميع الشعر في عهد الدعوة الإسلامية سواء كان للدعوة أو عليها.

❋ ❋ ❋

٢ ـ **النثر**: وكتبه كثيرة ومتنوعة، ولكن مطلبنا هنا أسُّ كتب الأدب وأصول بنيانه، ومجتمع روافده، وفي كتب أئمته وبناته، أمثال:

* **عمرو بن بحر الجاحظ** المتوفى ٢٥٥هـ، وله من الكتب العديد أهمها: «البيان والتبيين»، و«الحيوان»، و«العثمانية».

وفي «البيان والتبيين» على سبيل المثال أحاديث ونصوص نبوية تجاوزت

المئة، وبعضها صحيح وبعضها مكذوب. وقد طبع طبعات كثيرة وعُني به عناية أدبية، ولم تحظ النصوص النبوية بأية عناية!!.

ويغلب على كتب الجاحظ المرح والدعابة والفكاهة، فتراه يقيم الدليل على صحة أمر، ثم يقيم الدليل على صحة نقيضه[1] أو كما قال ابن قتيبة فيه: «وهو آخر المتكلمين، والمعاير على المتقدمين، وأحسنهم للحجة استثارة، وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشيء ونقيضه...» إلى آخر كلامه في صدر كتاب «تأويل مختلف الحديث».

* ومثل **ابن قتيبة** عبد الله بن مسلم، المتوفى ٢٧٦هـ، وقد كان محدِّثاً كبيراً، من علماء القرآن والتفسير، وأديباً عظيماً، وله كتب تُعد من أهم كتب الأدب مثل: «المعارف»، و«الشعر والشعراء»، و«أدب الكاتب»... ولا شك أن كتبه يظهر فيها أثر الحديث والقرآن، لا سيما وقد عاصر أصحاب الكتب الستة، واشترك معهم في عديد من الشيوخ والأساتذة، وقد دافع الدفاع المجيد، بالمنهج السليم السديد عن القرآن الكريم والسنّة المطهرة، فانظر كتبه الكثيرة في ذلك ونخص منها بالذكر «تأويل مختلف الحديث»، و«مشكل القرآن».

بل تجب العناية بكتب أساتذة هذه الطبقة إن وجدت أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤هـ، ومن قبله: أبو عبيدة معمر بن المثنى ت٢١٠هـ.

* ومن هؤلاء أيضاً: **محمد بن يزيد المعروف بالمبرد**، والمتوفى ٢٨٥هـ والمشهور بكتابه «الكامل في اللغة والأدب» وقد ساق فيها أخباراً تتعلق بالنبي ﷺ، وخطبه وأحاديثه وكلامه، ويروي أحياناً بالسند وأحياناً أخرى بلا سند. ونذكر بأنه اهتم اهتماماً كبيراً بالخوارج وأدبهم، وهو شيعي النزعة، وتقدمت كلمة ابن العربي فيه.

* ونشير كذلك إلى كتب **ابن الأنباري أبي بكر محمد بن القاسم**، المتوفى ٣١٧هـ، أخذ عن ثعلب، وإسماعيل القاضي، وغيرهم، وله ما يزيد عن عشرين

---

(١) من أعدل ما قيل فيه قول ابن حزم الأندلسي في «الفصل» ٤/ ١٨١: وهو وإن كان أحد المُجّان، ومن غلب عليه الهزل، وأحد الضلال المضلين، فإننا ما رأينا له في كتبه تعمّد كذبة يوردها مثبتاً لها، وإن كان كثير الإيراد لكذب غيره. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٥٥.

كتاباً طبع منها. «الوقف والابتداء»، وهو مفيد جداً في بابه، و«الأضداد»، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات».

* وكذلك كتب **أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي** المؤرِّخ الأديب الشاعر المتوفى ٣٣٥هـ، تتلمذ على المبرد وثعلب، وأبي داود السجستاني، وأثنَى عليه المسعودي المؤرِّخ، وله كتاب «**الأوراق**»، و«**أدب الكتّاب**».

* ومثله **أبو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري** المتوفى ٣٣١هـ صاحب كتاب «**الوزراء والكتّاب**»، وفيه بعض الفوائد.

وأهم كتب الأدب بل جُمَّاعها كتابان اثنان هما:

«**الأغاني**» لأبي الفرج **علي بن الحسين بن محمد القرشي الأصبهاني** المتوفى ٣٥٦هـ.

و«**العقد الفريد**» **لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي** المتوفى ٣٢٧هـ وهما مطبوعان.

* أما **أبو الفرج** فقد كتب عن كثير من الناس، وتلقى عنهم العلم، ومنهم المحدِّثون، بل إن الحافظ الدارقطني قد روى عنه في كتاب «غرائب مالك».

وفي كتابه «الأغاني» يسوق الأخبار بالإسناد في غالب الأحوال، والرواية بالإسناد شيء ساحر كما يقول الدكتور زكي مبارك، فاطمأن كثيرٌ من الباحثين إلى روايات الأغاني، فضلوا في حقائق التاريخ وأضلوا. وقد وصف الأقدمون أبا الفرج بأنه صدوق في نفسه **ذا نزعة شيعية**. وهذا نادر في أموي[1] إلا أن كتابه ينضح بالكثير مما يتحدث به مؤلفه عن نفسه من معاقرة للخمر، ومعاشرة للفساق والماجنين.

وقد وجد فيه بعض الناس ومنهم المستشرقون مرتعهم الوخيم للطعن في رجالات الإسلام والصحابة، ولو سلكوا منهج العلم والنزاهة الفكرية لما وقعوا في ذلك.

وأحسن كلمة قرأتها في تقويم كتاب «الأغاني» هي للأديب الدكتور زكي مبارك في كتابه «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» جمعت ما لاحظته أثناء نظري في الكتاب وزادت على ذلك. يقول فيها: «أريد أن أنص على ناحيتين في الأصبهاني وكتابه، لم أجد من تنبّه لهما من الباحثين، ولهاتين الناحيتين أهمية عظيمة

(١) انظر: «لسان الميزان» لابن حجر ٤/٢٢.

في فهم الحياة الأدبية، وسيكون لهما أثر عظيم في دعوة المؤلفين إلى الاحتياط حين يرجعون إلى كتاب «الأغاني» يتلمسون الشواهد في الأدب والتاريخ».

الناحية الأولى: خاصة بالأصبهاني، تلك الناحية هي خُلقه الشخصي، فقد **كان الأصبهاني مسرفاً أشنع الإسراف في اللذات والشهوات**، وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه، فإن كتاب «الأغاني» أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون، وهو حين يعرض للكتَّاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية، ويهمل الجوانب الجديَّة إهمالاً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجدِّ والرزانة، والتجمل والاعتدال، وهذه الناحية من الأصبهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه. . . إن إكثار الأصبهاني من تتبع سقطات الشعراء، وتلمس هفوات الكتاب، جعل في كتابه جواً مشبعاً بأوزار الإثم والغواية، **وأذاع في الناس فكرة خاطئة، هي اقتران العبقرية بالنزق والطيش، والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرف والدين**.

أما **الناحية الثانية**: فهي خاصة بكتاب «الأغاني»، تلك الناحية هي نظم ذلك الكتاب، ففي مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على أن مؤلفه قصر اهتمامه أو كاد على إمتاع النفوس والقلوب والأذواق، فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ، وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدم لأهل عصره أكبر مجموعة تغذِّى بها الأندية ومجامع السمر، ومواطن اللهو ومغاني الشراب، وإنه ليحدثنا في المقدمة بأنه أتى في كل فصل من كتابه بفِقَرٍ إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها، ومنصرفاً فيها بين جدٍ وهزل، وآثار وأخبار، وسير أشعار متصلة بأيام العرب المشهورة، وأخبارها المأثورة، وقصص الملوك في الجاهلية، والخلفاء في الإسلام. . .

ولهذا النحو في التأليف قيمة عظيمة جداً إذا فهمه القارئ على وجهه الصحيح، فهو دليل على خصوبة التصور والخيال، وبرهان على أن كتَّاب اللغة العربية لم يحرموا من القصص الشائق الخلاب. . . **ولكن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لرواية الأغاني قيمة تاريخية، وأن يبنوا على أساسها ما يشاؤون من حقائق التاريخ**[1].

وقد ساق الأدلة على ما قدمه، وبيَّن اتجاه أبي الفرج في هذا.

فإذا ما وجدنا شيئاً يتعلق بالسيرة والسنّة، والصدر الأول ـ ولا شك أن في

---

(١) انظر: ص٢٨٨ ـ ٢٩٠.

كتاب أبي الفرج الكثير ـ فلنا أخذه بالميزان، وتقويمه بمنهج علماء المسلمين في الجرح والتعديل إسناداً ومتناً، هذا إذا عددنا أبا الفرج في عداد المقبولين!! علماً بأن الحافظ أبا الفرج بن الجوزي يقول: ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتابه «الأغاني» رأى فيه كل قبيح ومنكر[1].

ونذكر كتابه «مقاتل الطالبين» ففي صدره طائفة مما يتعلق بالسيرة وذلك خلال حديثه عن جعفر بن أبي طالب وأمير المؤمنين علي والسبطين الجليلين رضي الله عنهم أجمعين، والتزم الإسناد في هذا القسم التزاماً كاملاً ودقيقاً، وفيه بعض الغرائب، والكتاب مطبوع.

* أما ابن عبد ربه، فقد كان أديباً كبيراً، بل هو إمام أهل الأدب في المئة الرابعة، وفرسان شعرائها في المغرب كله، كما يقول ابن سعيد، وقال عنه الفتح بن خاقان: حجة الأدب.

وكتابه «**العقد الفريد**» كذلك كتاب أدب وسمر، ولغة، وليس بكتاب تاريخ واجتماع، وإن كان هذا المؤلِّف أحسن حالاً من سابقه إلا أنه يجري في مضماره، ويسير في مساره، ولعل ابن كثير وهو يقول فيه: «كان من الفضلاء المكثرين، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين، وكتابه «العقد» يدل على فضائل جمّة، وعلوم كثيرة مهمّة، ويدل كثير من كلامه **على تشيع فيه**، وميل إلى الحط على بني أمية، وهذا عجيب منه، فإنه أحد مواليهم، وكان الأولى أن يكون ممن يواليهم ولا يعاديهم» فإنه أراد أن يجلي هذه الحقيقة عندما نقل عن ابن خلكان قوله فيه: «وله ديوان شعر حسن، ثم أورد منه أشعاراً في المردان والنسوان أيضاً»[2].

وفي كتابه فوائد عن السيرة النبوية والحديث وحياة الصحابة، ويجب أن تؤخذ ممحصة مدققة.

* وأذكر كذلك كتب **ابن دريد اللغوي**، المتوفى ٣٢١هـ ومنها كتاب «الاشتقاق».

* وكتب **أبي علي إسماعيل بن القاسم بن عبدون القالي** صاحب «**الأمالي**»، قال فيه ابن كثير: سمع الحديث من أبي يعلى الموصلي وغيره، وأخذ النحو واللغة عن ابن دريد، وأبي بكر الأنباري، ونفطويه وغيرهم، وله كتاب «التاريخ»ـ

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» ١١/٢٦٣.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» ١١/١٩٤.

على حروف المعجم في خمسة آلاف ورقة، وصنف كتباً كثيرة[1]، توفي سنة ٣٥٦هـ وكتبه «الأمالي، والذيل، والنوادر» مطبوعة.

❁ ❁ ❁

وإذا كانت أغراض كتب الأدب تنحصر في إبراز الكلمة الغريبة وتفسيراتها ووجوهها، والطرفة الأدبية والنكتة البلاغية، وتوفير مادة السمر والمرح بالرواية عن كل ضرب ومن ابتداع الخيال... كل هذا جعل هذا المصدر أوهى المصادر وأقلها شأناً وثقة في مجال تدوين سيرة خير خلق الله صلوات الله وسلامه عليه.

والعجب كل العجب من الذين يدَّعون العلم والمنهج والتحقيق وو... يجعلونه صدراً في مصادر التاريخ، والسيرة النبوية، وحياة الخلفاء الراشدين، ويقدمونه حتَّى على كتاب الله ﷻ.

ولكن إذا عرف السبب بطل العجب كما يقول المثل!! وقلَّ من يعرف الدوافع والأسباب في عالمنا الذي أغرق في بحار من التضليل والتشكيك!!.

❁ ❁ ❁

ونذكِّر بما قلناه في المؤرِّخين من النزعة المذهبية، والنزعة السياسية فهم والأدباء قد التقوا في هذا الجانب، ويجب على كل مصنف وعاقل أن يجرد كلامهم منها ثم يأخذه. وقد يستغرب بعض الناس من الذين لهم حمية دينية عدّي كتب اللغة والشعر من مصادر السيرة النبوية، فأشير إلى أن أئمة المسلمين الذينّ أطبق الناس على الاعتداد بأقوالهم، واعتماد كتبهم، ومصنفاتهم، كانوا يرجعون في تمحيص الأمور التاريخية وأمور السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين والصحابة عموماً فيما يرجعون إليه كتب الأدب واللغة، ولا أدل على ذلك من كتب الحافظ ابن حجر العسقلاني خصوصاً «فتح الباري» و«الإصابة في تمييز الصحابة» فقد نقل عن طائفة كبيرة من كتب الأدب أذكر منها: «البيان والتبيين» للجاحظ، و«الكامل» للمبرد، و«الأخبار المنثورة» لابن دريد، ومن كتاب «الاشتقاق» له و«المعمرون» لأبي حاتم السجستاني، و«معجم الشعراء» للمرزباني وكتب أبي الفرج الأصبهاني... وغيرها.

ولهذا فإن كتب الأدب يجب أن تخضع في طبعاتها للمنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ويعلق على أخبارها ويحكم على صحتها أو اختلاقها بما تستحقه، وهذه خدمة عظيمة للفكر الإسلامي وللأدب نفسه.



---

(١) انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ٢٦٤.

الباب الثاني

المصادر الفرعية

١ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض

٢ ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، لابن سيد الناس

٣ ـ **السيرة النبوية**، لابن كثير الدمشقي

٤ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية

٥ ـ **السيرة النبوية**، للذهبي

٦ ـ **الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا**، لمُغْلطاي بن قليج

٧ ـ **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع**، للمقريزي

٨ ـ **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، للصالحي

المصادر الفرعية

ثم جاء بعد هذه القرون الأولى كتّاب بدأوا يجمعون من هذه المصادر المتقدمة كل حسب رغبته وطلبته، والجانب الذي يريد أن يكتب فيه سيرة للنبي ﷺ، فوضعوا أيديهم عليها، وانتقوا منها، وعزو إليها، وهذه هي التي نطلق عليها **المصادر الفرعية**.

وهي كثيرة جداً تعزّ على الحصر، وتربو على العدّ، وقد لقى بعضها إقبالاً وقبولاً في عصره وبعد عصره من لدن علماء المسلمين وعامتهم، وكانت تُتداول وتقرأ للطلاب، ويرجع إليها الباحثون والدارسون، وسأكتفي بذكر بعض منها لما له من أهمية ومكانة، منبهاً الشباب المسلم إلى العناية بهذه الكتب واعتمادها، لأخذ تصور صحيح لجوانب من سيرة المصطفى ﷺ؛ وسأرتبها حسب السبق الزمني، ولست بصدد بيان المآخذ عليها ونقدها بعمق وإحاطة بل إشارة مجملة.



الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ

١ ـ «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ»: للقاضي أبي الفضل عياض بن موسَى اليحصبي المتوفى ٥٤٤هـ بمدينة مراكش، الإمام العلّامة؛ إمام وقته في الحديث وعلومه، والتفسير وفنونه، والفقه واللغة، وغيرها، صاحب التصانيف البديعة، والمؤلفات النافعة، كـ «الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع»، و«مشارق الأنوار في تفسير غريب الموطأ وغريب البخاري ومسلم»، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» وغيرها من المؤلفات.

أما كتابه «الشفا» فيقول ابن فرحون: «أبدع فيه كل الإبداع، وسلَّم له أكْفاؤه كفاءته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه، بل تشوّفوا للوقوف عليه، وانضموا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقاً وغرباً».

وقد حظي هذا الكتاب بعناية المسلمين على مر القرون بعد تأليفه، فتناولوه بالشروح المطولة أحياناً والمختصرة أحياناً أُخرى، أو الاختصار، وتخريج أحاديثه، وتدريسه والنقل عنه...

وهذا الكتاب أهل لذلك، فقد كتبه رحمه الله تعالى تحت نور الإيمان الوهاج، وبمداد العاطفة المتأججة والمحبة الصادقة لسيدنا رسول الله ﷺ، بأسلوب أدبي رائق، وعبارة فخمة جزلة، فأتى متميزاً في بابه[1].

وقد حلّاه بجمل غير قليلة من الآداب والمكارم الإسلامية، ووشّاه بكثير من الأحكام والفروع الفقهية، واللطائف المستنبطة من القرآن والحديث، ولم يخله من ردّ شبهٍ كانت تلقيها الزنادقة وأعداء المسلمين لفتنهم عن دينهم، وفي جميع فصول هذا الكتاب تظهر شخصية عياض القوية ظهوراً بيّناً.

---

(١) تبع القاضي عياض في ذكر الأحاديث الضعيفة والواهية أبا الربيع سليمان بن سبع السبتي المتوفى سنة ٥٢٠هـ مؤلف «شفاء الصدور»، وهو في مجلدات، وفيه مناكير كثيرة.

ولما كان هذا الكتاب عظيماً في مبناه غزيراً في معناه، أصبح منذ أيام مؤلفه يُقرأ، وخاصة في المناسبات في بلاد المغرب، وقيل فيه ما قيل في «صحيح البخاري» من أنه لا يقرأ في ملمَّة إلا فرجها الله ﷻ، والأمر بيد الله الأحد الصمد.

إلا أن مؤلفه رحمه الله تعالى تحت تأثير عاطفته الجياشة أورد فيه بعض الأحاديث الضعيفة، ونقل بعض الأقوال الواهية في التفسير ليستدل بها، وقد بُيِّنت هذه وتلك فينبغي أن لا تؤخذ على أنها صحيحة[1].

ثم إن هذا الكتاب ليس كتاب سيرة بالمعنى الذي نريد، بل جمع فيه مؤلفه مقتطفات من عيون السيرة، وما يجب لهذا النبي الكريم من واجب التعظيم والاحترام على المسلمين، فجديرٌ بكل مسلم أن يُعنى به، وينهل منه.

❁ ❁ ❁

(١) قد حقق الكتاب وخرج أحاديثه الأستاذ عبده علي كوشك ونشر بدمشق من مكتبة الغزالي، وهذه الطبعة هي أجود طبعاته حتى الآن، كما قام بتهذيبه وتجريده من الأحاديث الضعيفة والموضوعة وما انبنى عليها الشيخ صالح الشامي في كتابه «المهذب من الشفا» وهو من منشورات دار القلم (ن).



عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير

«عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»: لأبي الفتح ابن سيد الناس المتوفى ٧٣٤هـ وهو إمام حافظ مصنف بارع، وشاعر محاضر أديب، أثنى عليه الأئمة والعلماء، وأخذوا عنه العلم ومنها مصنفاته، واختصوا سيرته هذه بمزيد الثناء والتقدير، قال الحافظ ابن كثير الدمشقي: «اشتغل بالعلم فبرع، وساد أقرانه في علوم شتى من الفقه والحديث والنحو من العربية، وعلم السير والتواريخ، وغير ذلك من الفنون، وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين»(١).

ولقد لقيت هذه السيرة القبول عند علماء المسلمين قراءة وبحثاً، ونقلاً عنها، ولعلها في تقديري أول سيرة حاولت الجمع بين المتفرقات لاستخلاص سيرة متكاملة الجوانب صحيحة في رأي مؤلفها، يقول في مقدمتها: «فلما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً من المجاميع في سير النبي ﷺ ومغازيه وأيامه، إلى غير ذلك مما يتصل به، لم أرَ إلا مطيلاً مملاً، أو مقصراً بأكثر الآداب مخلاً، والمطيل إما معتن بالأنساب والأشعار والآداب، أو آخر يأخذ كل مأخذ من جمع الطرق والروايات، ويصرف إلى ذلك ما تصل إليه القدرة من العنايات، والمقصر لا يعدو المنهج الواحد، ومع ذلك فلا بد أن يترك كثيراً مما فيه من الفوائد، وإن كانوا رحمهم الله هم القدوة في ذلك، ومما جمعوه يستمد من أراد ما هنالك، فليس لي من هذا المجموع إلا حسن الاختيار من كلامهم، والتبرك بالدخول في نظامهم، غير أن التصنيف يكون في عشرة أنواع كما ذكر بعض العلماء، فأحدها **جمع المتفرقات**، وهو ما نحن فيه، فإني أرجو أن الناظر في كتابي هذا لا يجد ما ضمنته إياه في مكان ولا مكانين، ولا ثلاثة ولا أكثر من ذلك إلا بزيادة كثيرة تتعب القاصد، وتتعذر بها على أكثر الناس المقاصد...».

وقد جعل رحمه الله تعالى عمدته الأولى **كتاب ابن إسحاق**، شأن ابن عبد البر

---

(١) «البداية» ١٤/ ١٦٩.

وآخرين، لأن ابن إسحاق كما قدَّمنا هو أول من نهَّج السيرة النبوية بنظام متسلسل، وضم إليه من **الواقدي**، واعتمد على **كتب الحديث**، وفي طليعتها **الكتب الستة**، وبلغت مراجعه التي أثبتها في نهاية كتابه عشرين مرجعاً في مصادر أخرى نقل عنها، ولم يثبتها في مصادره ككتب الكلبي، وخليفة، وثابت بن قاسم السرقسطي، وابن أبي شيبة وغيرهم.

أما عن منهجه، فقد كان يحذو حذو ابن إسحاق، ويدخل في سياقه ما يراه في الموضوع من كتب الصحاح أو من غيرها، ويبرز الأقوال في المسألة، وينسبها إلى أصحابها، ثم يرجح غالباً بينها أو يختار واحداً منها، وينقل أحياناً بإسناده هو، وأحياناً بأسانيد الأئمة المصنفين الذين استقى منهم، ولكنّه لم يحكم على هذه الأسانيد بما تستحقه.

وبعد أن يصور الواقعة أو الغزوة يكرّ ثانية ليفسر ما جاء فيها من ألفاظ غريبة أو اسم مبهم أو كلمة تستحق الضبط.

وقد عرض لغالب أحداث السيرة، وختم كتابه بنبذة من أخلاقه وشمائله صلوات الله وسلامه عليه.

ومن مزايا هذا الكتاب أنه حفظ لنا نصوصاً نادرة من كتب فُقدت، ففيه فوائد جمّة، ولطائف مهمة، وهو جدير بالقراءة جداً، وعمدة في هذا الباب للمتخصصين وغير المتخصصين من أبناء المسلمين، ولمن أراد الاطلاع على سيرة النبي ﷺ من غيرهم.



٣

السيرة النبوية

«السيرة النبوية»: لابن كثير الدمشقي أبي الفداء إسماعيل بن عمر الإمام المحدِّث الحافظ المفتي البارع، المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمئة، صاحب «التفسير الشهير»، والتاريخ المعروف بـ «البداية والنهاية»[1] وقد ضمَّن هذا التاريخ كغيره من المؤرِّخين سيرة النبي ﷺ، ويبدو أنه أفرد «السيرة النبوية» بكتاب مستقل، وما أودعه في «البداية والنهاية» من قسم السيرة كتاب عظيم جداً ظهرت فيه آفاق ابن كثير العلمية ـ المؤرِّخ المحدِّث العلامة ـ وفي كتابه هذا نهج منهجاً سليماً قوياً بالنسبة لعصره، إذ كان يسوق الأحداث من عديد من المصادر، وميزته أنه يسوق أسانيد أصحاب هذه المصادر ـ وبعضها غير متيسر الآن ـ مما يتيح لنا قدرة المقارنة والترجيح والحكم على الأسانيد.

ولو أنه حكم على تلك الأسانيد، وهو المحدِّث الحافظ لأسدى لنا فائدة عظيمة، وقد فعل ذلك في بعض الأحايين. انظر مثلاً: ما كتبه حول الإسراء والمعراج.

ونراه يعتمد في مقدمة مصادره كتب الحديث المشهورة وعلى رأسها «المسند» و«الكتب الستة»، و«سيرة ابن إسحاق» والواقدي.

وقد يسوق فيما يسوق الواهيات والضعاف...

وكتابه هذا من أنفع الكتب في السيرة لغير المتخصصين، وهو مدخل ضروري للمتخصصين كذلك، وهو ميسور والحمد لله، وقد أفرده الدكتور مصطفى عبد الواحد عن كتاب التاريخ فزاد الأمر تيسيراً، ولو أنه نُقد نقداً كاملاً وبيّنت قيمة نصوصه لكان هو وسابقه أنفع كتابين في السيرة من كتب الأئمة السابقين.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «ذيول تذكرة الحفاظ» ص٣٦٣.



زاد المعاد في هدي خير العباد

«زاد المعاد في هدي خير العباد»: للإمام العلامة الحافظ شمس الدين ابن قيِّم الجوزية الزرعي، المتوفى ٧٥١هـ صاحب التصانيف الكثيرة، وواضع مناهج السلفية، وداعم مواقفها بالأدلة والحجج...

وكتابه «زاد المعاد» ليس كتاب سيرة بالمعنَى الاصطلاحي، بل هو أول كتاب وصل إلينا فيما أعلم عرض السيرة وحياة نبينا ﷺ واستنبط منها أحكاماً، ولهذا فقد عُدَّ بحق أول كتاب في فقه السيرة، وقد جاءت أبحاثه مفرقة كثيرة الاستطرادات، ظهر فيها سعة علم ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودقة فهمه للنصوص والأحاديث، وفيه لفتات ذكية، وإرشادات بارعة في علم النفس الإسلامي. وقد عالج ابن قيم الجوزية هذا الموضوع في عديد من كتبه فأجاد أيما إجادة، ودل ذلك على فهم وإشراق نفس وقوّة فراسة.

وكان في كتابه يحلل الأحداث، ويستطرد لنقل مذاهب الأئمة واستدلالاتهم ويرجح ويختار، وأودعه كثيراً من أحكام الفقه مع ربطها بالسيرة.

وقد كتبه مؤلفه حال سفره، فوقع فيه بعض أوهام كشأن البشر جميعاً يقول في مقدمته: «وهذه كلمات يسيرة لا يستغنى عن معرفتها من له أدنى همة إلى معرفة نبيِّه ﷺ وسيرته وهديه، اقتضاها الخاطر المكدود... مع تعليقها في حال السفر لا الإقامة، والقلب بكل وادٍ منه شعبة، والهمة قد تفرقت شذر مذر، والكتاب مفقود، ومن يفتح باب العلم لمذاكرته معدوم غير موجود...»(١).

وإذا كان الأمر كذلك فهو والله دليل على عبقريته، وبرهان ساطع على حفظه وإمامته.

وكان من منهجه رحمه الله تعالى أن يعرض للأخبار ويوفق بينها وينقدها، ويبين ضعفها وصحتها، ويعمل النظر في الروايات المتعددة وأسانيدها.

---

(١) انظر: ١/ ١٥.

كما بيّن بعض الأوهام التي وقع فيها بعض أصحاب السير أو المؤلفين والعلماء.

ومن الأمور البارزة في هذا الكتاب ـ وهي هامة جداً ـ أنه يشير إلى بداية العمل بكثير من أحكام التشريع، ويحتفي بهذا الأمر احتفاءً بيّناً.

إننا نلفت الشباب والناشئة المسلمة إلى الاهتمام بهذا الكتاب، ونحضهم على تدارسه والاهتمام به.

هذا: وقد صدرت له طبعة محققة جيدة عن مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، واضطلع بعبء تحقيقها وتخريج أحاديثها الأستاذان شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ثم ألحق الكتاب بمجلد لفهارسه من وضع محمد أديب الجادر، جزى الله الجميع كل خير.



٥

السيرة النبوية

«السيرة النبوية»: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ صاحب المصنفات الجليلة في الحديث والتاريخ، وعلم الرجال، وعلى كتبه في هذا الباب عوّل كل من جاء بعده، وهو أحد الأربعة اللذين هم عمدة المحدِّثين والناقدين، وهم: الذهبي، والمِزي، والعراقي، وابن حجر العسقلاني، رحمهم الله تعالى.

قال تلميذه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى ٧٧١هـ في «طبقات الشافعية الكبرى» ٩/١٠١: وأما أستاذنا أبو عبد الله فبحر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنًى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيدٍ واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها..

وكتابه «السيرة النبوية» جزء من كتابه الكبير «تاريخ الإسلام»، وقد طُبع مستقلاً عن الكتاب بتحقيق الأستاذ حسام الدين القدسي، وبين يديَّ مصورة عنها بدار الكتب العلمية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، وقد بدأ الكتاب بذكر نسب سيد البشر محمد رسول الله ﷺ، ثم بمولده المبارك، ثم بأسمائه وكنيته، ثم بذكر ما ورد في قصة سطيح، وخمود النيران ليلة المولد وانشقاق الإيوان... ثم تابع ذلك حتى وصل إلى الهجرة النبوية، ودخوله صلوات الله وسلامه عليه المدينة، ثم قال: فصل معجزاته سوى ما مضى في غضون المغازي. قال المحقق عند ذلك:

هنا في حاشية الأصل: من شاء أن يفرد الترجمة النبوية فليكتب إذا وصل إلى هنا جميع ما تقدم من كتابنا «تاريخ الإسلام» في السفر الأول بلا بد فليفعل، فإن ذلك حسن، ثم يكتب بعد ذلك فصل في معجزاته إلى آخر الترجمة النبوية، انظر ص٢٣٧.

وبعد فصل المعجزات ذكر: باب من إخباره بالكوائن بعده، وباب جامع من

دلائل النبوة، وباب ذكر صفة النبي ﷺ، وخاتم النبوة، وحديث أم معبد، وباب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤]، وباب هيبته ﷺ وجلاله، وحبه وشجاعته، وقوته وفصاحته، وزهده وشمائله، وأفعاله صلوات الله وسلامه عليه، وملابسه وخواتيمه وسلاحه، وما سُحر وسُمَّ به، وخصائصه، إلى أن وصل إلى الوفاة النبوية، وغسله وتكفينه، وصفة قبره وتركته، وزوجاته وسراريه رضي الله عنهن.

أقول: ولو أكمل هذا الكتاب بإضافة المغازي كما أشار المؤلف، لكان نافعاً جداً، ومفيداً للعلماء والمتخصصين وعامة المثقفين(١)، لأنه يختار أمثل النصوص المباشرة وأقواها في كل موضوع، وينقد هذا النصوص، ويبين صحيحها، وضعيفها ومرسلها وواهيها.. ولهذا كثرت في هذا الكتاب مصطلحات النقد، فتراه يقول: إسناد صحيح، متفق عليه، إسناد قوي، حديث حسن، وهذا أصح، وهذا مجمع عليه، وهذا جيد الإسناد، وهذا منكر غريب، وهذا حديث ساقط، وهذا مرسل، وهذا منقطع لكن معناه صحيح، وضعيف فيه فلان... إلى غير ذلك من مصطلحات النقد التي تبين قيمة النصوص، وأحكام هذا الناقد الخبير أساس من أُسُس التصحيح والتضعيف والانتقاء، وتيسير للباحثين والدراسين، والنصوص التي لم ينقدها قليلة جداً، وهذه عادته في كل مصنفاته.

وفي كتابه هذا كما في باقي كتبه يبين مصادره التي ينقل منها، وبعضها مفقود غير موجود، وهذا عمل في غاية الأهمية يتيح المقارنة والموازنة بين الأخبار ومصادرها.



(١) قد نشرت السيرة النبوية للذهبي كاملةً في مجلدين بتحقيق الدكتور بشار عواد، وألحقت بكتاب «سير أعلام النبلاء» (ن).



الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ مَنْ بعدَه من الخلفا

«الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا»: للإمام الحافظ مُغْلطاي بن قليج البكجري المتوفى ٧٦٢هـ، وهو إمام محدِّث ناقد مطلع مصنف، له مصنفات كثيرة في الحديث وعلومه، والتاريخ واللغة، وغير ذلك.

وله في السيرة النبوية: «الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم»، وهو تعليق واستدراك وشرح لـ «الروض الأنف» للإمام السهيلي، وكتاب «الإشارة» ـ وهذا الكتاب مطبوع ـ وقد بناه على الاختصار والإيجاز، وقد بيّن خطته في مقدمته فقال: (... فقد ندب أفضل العجم اليوم والعرب، سيدنا قاضي القضاة جلال الدين، نفع الله ببركته المسلمين، إلى تلخيص سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفا، كثيرة الفوائد، عارية من الشواهد، منتخبة بغير إكثار، حاوية لمقاصد الكتب الكبار، يلجأ إليها المسلمون، ولا يستغني عنها العالمون، فقدمت الاستخارة، ولخصت معظم هذه الإشارة من كتابي المسمى بـ «الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم»، إلا المآثر من غيرها لها ذاكراً مقدماً المشهور في كل باب، ليستغنى بذلك عن تكرره في الكتاب).

وقد بدأ بأسمائه الشريفة ثم نسبه الشريف، ثم بذكر مولده ﷺ.

وقد وفى الحافظ مغلطاي بشرطه، فلخص تلخيصاً مركزاً جيداً الأقوال الواردة في الموضوع، ويصدر بما يراه الأقوى، ويفرد إلى المصادر أحياناً بعبارة دقيقة وافية بالغرض، وهو في هذا التلخيص والجمع، وبيان المصادر مفيد جداً لأهل العلم تبصرة وتذكرة.

وقد ختم كتابه في السيرة بعد الوفاة النبوية بخدامه ومواليه ودوابه وآلاته، وكتّابه، والزوجات اللاتي لم يدخل بهن، وأخلاقه، وفضائله، ومعجزاته، وخصائصه، وله في هذا الكتاب استطرادات مركّزة مفيدة.

ولما في هذا الكتاب من التلخيص المركز، وما ضمه من معلومات بعبارة موجزة أثر هذا الكتاب فيمن جاء بعده، وانتفع الناس به، حتى قال الحافظ تقي الدين الفاسي المكي، المتوفى ٨٣٢هـ، وقد اختصر هذا الكتاب، وأدرجه في مقدمة كتابه «العقد الثمين»: وإنما عوّلت على كتابه دون غيره من الكتب المصنّفة في هذا المعنى على كثرتها؛ لأن كتابه أكثرها فوائد، وفيه من الفوائد النفيسة ما لا يوجد في كثير من الكتب المبسوطة في هذا المعنى.

وقد أجاد المحقق محمد نظام الدين الفتيح، إذ تتبع النصوص وأحالها إلى المصادر الموجودة بين يديه، ووازن وقارن وأفاد في ذلك حتى صار الكتاب الموجز في مجلد قارب الخمسين والستمائة من الصفحات، جزاه الله خيراً[١].

وهذا الكتاب جليل مفيد ننصح أهل العلم بقراءته ودرسه لا سيما المتخصصين في الدراسات الإسلامية.



(١) وصدر عن دار القلم بدمشق (ن).



إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع

«إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع»: للمؤرِّخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المتوفى ٨٤٥هـ صاحب المصنفات الكثيرة في التاريخ وغيره، ومنها هذا الكتاب، ويقع في تسعة مجلدات كما يقول الزركلي في «الأعلام»، وقد طبع الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، بلجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، بتقديم مصحح الكتاب، وكلمة للدكتور طه حسين، ثم أُعيد طبعه بإدارة الشؤون الدينية بقطر، وقد حذفت من هذه الطبعة كلمة المصحح، وكلمة طه حسين حسب النسخة التي بيدي - وهذا لا يجوز -.

وقد أراد المصنف أن يلخص السيرة النبوية من عدد من المصادر، يقول ص٢: «فجمعتُ في هذا المختصر من أحوال رسول الله ﷺ جملة، وأرجو أن تكون - إن شاء الله تعالى - كافيةً لمن وفقه الله سبحانه من داء الجهل شافية، التقط كتاباً جامعاً، وباباً من أمهات العلم مجموعاً، كان له غُنمه، وعلى مؤلفه غرمه...».

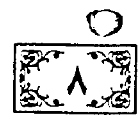
وقد بدأ بنسب الشريف والمولد، وتابع ذكره للأحداث - دون عناوين أو فصول - حتى ختم المجلد الأول المطبوع بالوفاة النبوية.

والكتاب عريَ عن الأسانيد، ولم يحفل بالمصادر إلا قليلاً، إذ أشار في بعض الروايات إلى مصادرها، وحاول التوفيق بين بعض الروايات المتعارضة.

لقد ذكر السيرة النبوية كقصة متتابعة دون فصل، بأسلوب قوي منتقى، ركّز فيه على التاريخ بالأيام والشهور والأعوام في تتابع السيرة النبوية، وذكر الأشخاص والأماكن. بتفاصيل دقيقة، مع إيراده لنصوص نادرة وغريبة ولعلها من مصادر لم تصلنا، كل هذا جعل هذا الكتاب محل اهتمام العلماء واقتباسهم وعنايتهم، وهو جدير بذلك للمتخصص وغير المتخصص.

❀ ❀ ❀





سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد

«سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»: للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، المتوفى ٩٤٢هـ وهو بين يدي في اثني عشر مجلداً، مطبوع بخط دقيق بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، بدار الكتب العلمية ببيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٣م.

وكان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة قد ابتدأ في طبعه بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، وكان طبع المجلد الأول ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

وهذا الكتاب أوسع ما كتب في السيرة النبوية ـ حسب ما أعلم ـ من نواحيها المتعددة، في: المولد، والنسب الشريف وأسمائه ﷺ، وصفاته الخلقية، والمبعث، والمغازي، والشمائل والدلائل، والآداب النبوية وآلائه، ودوابه، ومعجزاته، وفضائله، وخصائصه، وقرابته، وذريته، وكتّابه ورسله، وتركته، وطبه، ومرضه، ووفاته، وزيارته، والتوسل به بعد موته ﷺ، وبعثه، وحشره، مع أمور ألحقها بالسيرة استطراداً إليها..

يقول رحمه الله تعالى: «فهذا كتاب اقتضبته من أكثر من ثلاثمئة كتاب، وتحريت فيه الصواب، ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا محمد ﷺ من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم ﷺ، وأعلام نبوته، وشمائله، وسيرته، وأفعاله، وأحواله، وتقلباته، إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته، وما أُعد له فيها من الأنعام والتعظيم عليه من الله تعالى، أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولم أذكر فيه شيئاً من الأحاديث الموضوعات.

وختمت كل باب بإيضاح ما أشكل فيه، وبعض ما اشتمل عليه من النفائس المستجادات، مع بيان غريب الألفاظ، وضبط المشكلات، والجمع بين الأحاديث التي يظن بها أنها من المتناقضات».

ثم ذكر مصطلحاته في تعامله مع بعض مصادره، إلى أن قال: «إذا تأملت

هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمري، وذخيرة دهري، والله ﷻ أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم...

وقبل الشروع في مقاصد هذا الكتاب أُثبت ما فيه من الأبواب وهي نحو ألف باب، والله الهادي للصواب».

لقد جمع المصنف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب جمعاً عزيزاً أمثاله، وفسَّر كثيراً من النصوص - كما تقدم بإيضاح المشكل - تفسيراً يصعب على كثير من الناس مناله.

إن هذا الكتاب خزانة علم عظيمة ضَمَّت كثيراً من الكتب والنصوص، ولكنه في هذا الجمع والحشد لم يسلم من الواهيات والضعاف شديدة الضعف، وينقل أحياناً نصوصاً من مصادر نقلت هي عن غير عمدة ولا حجة، وهذا فيه غير قليل، ولا حاجة بي إلى التطويل بالتمثيل ونقل النصوص منه، وإن كان بيانه لمصادره ومحل اقتباسه يعفيه عند العلماء، لكنه لا يكفيه عند عامة المثقفين.

وهذا الكتاب «سبل الهدى والرشاد» يذكرني بكتاب شيخه الإمام السيوطي «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» إذ جمع فيه ما تقدم من المصادر.

وإذا كان هذا الجمع بحدّ ذاته ييسّر الأمر، ويقرب النصوص للباحثين، فما أجدره بالتصفية والتنقيح عند طبعه أو الاقتباس منه، وهذا العمل له أهله المتخصصون فيه، ولو محّصت نصوصه وحققت تحقيقاً علمياً وافياً لكان من أنفع الكتب وأهمها.

ومن فوائده ما جمعه فيه وحشده من غرر النقول، وثمرات العقول في تفسير نصوص السيرة وبيانها، وما يتعلق بها، عمن سبقه من العلماء، جزاه الله أحسن الجزاء.



الباب الثالث

كتب معاصرة في السيرة النبوية

١ ـ **السيرة النبوية: دروس وعبر**، للدكتور مصطفى السباعي

٢ ـ **فقه السيرة**، للشيخ محمد الغزالي

٣ ـ **فقه السيرة**، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٤ ـ **دراسة في السيرة**، للدكتور عماد الدين خليل

٥ ـ **السيرة النبوية**، لسماحة السيد أبي الحسن الندوي

٦ ـ **الرحيق المختوم في سيرة النبي المعصوم**، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري

٧ ـ **صور من حياة الرسول ﷺ**، لأمين دويدار

٨ ـ **فقه السيرة**، للأستاذ محمد منير الغضبان

٩ ـ **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، للدكتور مهدي أحمد

١٠ ـ **النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية**، لمحمد فتح الله كولن

١١ ـ **حياة محمد ﷺ**، للدكتور محمد حسين هيكل

كتب معاصرة في السيرة النبوية

وإذا كانت الثقافة الغربية قد حملت إلينا معاداة الكتب القديمة والتراث، حتى أصبح ذكرها ينتفخ له سَحْر[1] الكثيرين، فقد وجد كثير من الكتب الحديثة في السيرة النبوية، نذكر بعضاً منها بكلمة موجزة وإشارة معبِّرة.

(١) السَّحر والسَّحَر: الرئة، وقيل: ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن.

١

السيرة النبوية دروس وعبر

١ ـ «السيرة النبوية دروس وعبر»: للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، وهو موجز مختصر جداً، حاول فيه تحليل بعض أحداث السيرة، وإبراز ما فيها من عبرة وعظة، مركزاً على الجانب التربوي في حياة الرسول ﷺ.

يشعر قارئه أنه أمام داعية يعيش الدعوة الإسلامية، ويقتفي أثر رائدها سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ويتحرك لأجلها، ويشعر قارئه وكأنه أمام خطيب مدره، يخاطبه بلغة العقل والعاطفة، ويستشير فيه عوامل الإيمان، ويستجيش في نفسه مشاعر الحمية الإسلامية، ويتجاوز المؤلف رحمه الله تعالى الأسماء والأرقام، ولا يذكر المصادر، حتَّى تلك التي تأثّر بها تأثراً كبيراً، خاصة «الرسالة المحمدية» للسيد سليمان الندوي، وقد كتبها رحمه الله تعالى على عجلٍ حين دهمه المرض في أُخريات أيامه في هذه الحياة الدنيا، وكان قبل ذلك يرتجلها في محاضراته التي يلقيها على طلبة كلية الشريعة بجامعة دمشق.

لذلك كانت هذه السيرة على وجازتها سهلة تناسب الناشئة[١].



---

(١) وقد أعيد طبعها بإشراف وتقديم الدكتور عدنان زرزور وصدرت عن دار الكتب العربية، ثم توالت طبعاتها في المكتب الإسلامي ودار النيربين (ن).



فقه السيرة

«فقه السيرة»: للعلامة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى، ويا له من كتاب يعلِّم العقل، ويهدي القلب، ويملأ الجوانح، بحب سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام!!!.

ساق في هذا الكتاب لمحات من السيرةِ بأسلوب رائق، وعبارة أدبية قوية ما أحوج الخطباء إليها، وما أنفعها للشباب الناشئ!! وحاول أن يربط السيرة النبوية بميدان الحياة العملية، بعيدة عن ضباب العاطفة الزائفة، ولم يكترث كثيراً باستنباط الأحكام الشرعية كما يوحى بذلك اسمُ الكتاب، ولعله قصد فقه الحركة الإسلامية، وهو في رأيه الأعظم، والله أعلم، **وهو كتاب نافع إن شاء الله، وحبذا لو زيد فيه ونقح**، ولا سيما وطبعاته تتوالى والحمد لله[1].



(١) وقد قام بتخريج أحاديثه الشيخ ناصر الدين الألباني ﷺ، وقد طبعته دار القلم بدمشق بحلّة قشيبة (ن).



٥

السيرة النبوية

«السيرة النبوية»: للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وهي من أحدث ما ألف في السيرة النبوية، ومن أصفاها وأحلاها، وتمتاز كتابات العلامة الندوي كلها بعذوبة ورقة، قلّما تجد لها نظيراً بين كتابات المعاصرين، وتفيض مؤلفاته وكتبه عاطفةً وحيويةً وحماساً، وهذا ما يجعل القارئ يعيش الفكرة التي يتحدث منها الأستاذ الندويّ بأحاسيسه وبفؤاده، وبعقله وفكره، إنه يكتب بمداد الفؤاد، ونور اليقين، الذي ملأ أقطار قلبه إنه لرائد جيلٍ في هذا الميدان ومؤسس مدرسة متفردة!!.

وإن السيرة التي كتبها وقدمها لأبناء مدرسته وغيرهم لم تكن لتخرج عن منهجه العام في سائر مؤلفاته وكتبه[1] ففي صفحاته الأولى وهو يتحدث عن أسباب تأليفه، ودوافعه، لذلك تطالعك عبارته البليغة الرائقة التي تستولي على الوجدان، وتسيطر على العقل، فيقول: «وحاولت أن يجمع الكتاب بين الجانب العلمي، وبين الجانب التربوي البلاغي، لا يطغَى أحدهما على الآخر، وأن يشتمل على أكبر مقدار من القطع النابضة الدافقة بالحيوية والتأثير، الآسرة للقلوب والنفوس، التي لا يوجد نظيرها في سيرة إنسان، ولا في تاريخ فرد أو جيل، أو دعوة أو دين، وذلك كله من غير تنميق أو تلوين، أو تحبير أو تحسين، فجمال الطبيعة والحقيقة لا يحتاج إلى تجميلات خارجية أو تزيينات صناعية»[2].

ولقد أتَى الأستاذ الندوي حفظه الله الأمر من بابه، فمهَّد بين يدي السيرة النبوية بفصول عن العالم آنئذٍ، واعتمد في ذلك على أحسن ما يعتمد من المراجع

---

(١) صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٣٩٧هـ ولم أستطعْ الحصول عليها، وصدرت الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ ووصلت إلى المغرب، واطلعت عليها، وهذا الكتاب يطبع.

(٢) انظر: ص١٧ ط. دار القلم بدمشق، وهي طبعة فريدة بمصورات وصور، كما خرّج الأستاذ إبراهيم العلي ما لم يخرّج من أحاديثها فازداد الكتاب كمالاً وجمالاً (ن).

والمصادر في هذا الباب، يتقدمها القرآن الكريم، وكتب السنّة، ثم كتب التاريخ القديم والحديث.

ثم شرع في سرد أحداث السيرة النبوية العطرة تحت عناوين معبرة جذابة، وبتنسيق وتقسيم دقيقين، دون تعريج على الاستنباطات الفقهية أو مناقشة للروايات صحيحها من سقيمها، وثابتها من زائفها، بل إنَّ المتأمل يجد أنه حاول أن يسوق من الأحداث ما عُرِف واشتهر بين الناس، وإن كان فيه ما يضعَّف بميزان النقد الدقيق، وأكثر من النقل عن «صحيحي البخاري ومسلم» وهذه ميّزة هامة جدّاً لأن أهمية نصوص الصحيحين لا تخفَى على أحد، وكان بأسلوبه الممتع يستجيش نفس القارئ لتتفاعل مع الأحداث المسرودة بتصويره البارع لهذه الأحداث وحسن توجيهها وسياقها.

وختم كتابه بفصول مهمة عن أخلاق سيدنا رسول ﷺ عليه الصلاة والسلام وشمائله. وقفَّى على إثرها بمحاضرة قيّمة بعنوان «فضل البعثة المحمدية على الإنسانية ومنحها العالمية الخالدة» فكانت في مكانها جزاه الله خيراً.

إن الذي يقرأ هذا الكتاب يشعر أنه منتقًى انتقاء من كتب السيرة النبوية المعتمَدة المشهورة، كما أراد له مؤلفه حفظه الله، دون التزام بخط معين للانتقاء، سوَى تركيزه على إبراز الأحداث التي تحمل طابع التربية والتهذيب، ولهذا فهو أشبه ما يكون ـ إن صح هذا التعبير ـ **كتاب تربية بالسيرة النبوية بل هو كذلك**.

ويدرك أن كاتبه عالم متمكن، واسع الأفق، دقيق التفكير، ويدرك أنه أمام أديب كبير، أوتي حظّاً وفيراً من سحر البيان وحكمة الكلمة، وإن هذا الكتاب لجدُّ نافع للشباب الناهض، كما أنه قبس هادٍ للعلماء والباحثين.





الرحيق المختوم

«الرحيق المختوم»: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، وهو كتاب سهل التناول، واضح الأسلوب، مقسَّم تقسيماً جيداً، ومعنون بعناوين واضحة ومعبّرة، وقد اختار مؤلفه نصوصه بعناية من مصادر أصيلة، يأتي في طليعتها «صحيح البخاري»، وكتب الحديث، و«سيرة ابن هشام»، و«زاد المعاد».

عالج فيه موضوعات السيرة النبوية المعهودة بدءاً من حالة العرب قبل الإسلام إلى الوفاة النبوية، ثم ختمه بفصلين مختصرين مهمين، أولهما بعنوان: البيت النبوي، والثاني: الصفات والأخلاق النبوية، والكتاب مسترسل، يدخل مؤلفه فيه آراءه وتعليقاته خلال سياق الأحداث.

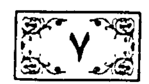
وبالجملة **فهذا الكتاب من أنفع الكتب لعامة القرّاء والمثقفين الذين يريدون أخذ صورة واضحة عن السيرة النبوية، ومن أصفى الكتب وأبعدها عن غبش الأفكار الدخيلة.**

ونشير إلى أن هذا الكتاب قد نال الجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي وأعلنت نتيجتها عام ١٣٩٨هـ.

ومما يثلج الصدر، ويبعث على الانشراح والسرور، ويؤكد عظمة هذا الدين القويم الذي انضوى في رحابه أُناس من جميع الأجناس والشعوب، أن كل الأمم التي انضوت تحت راية هذا الدين قد تفانت في خدمته وتبليغه، فمؤلف هذا الكتاب هندي المولد والنسب، ولكنه عربي اللسان، أحسن من كثير ممن رأيناهم ينتمون إلى العربية، ويدرّسونها في عقر دارها، وأرفع معاهدها وكلياتها، فللّه أمر هذا الدين كم يعلي لواء العربية وينشر بنودها، ويبسط سلطانها حيثما حلّ ودخل، ولكن يا ليت قومي ينصفون!!!

❀ ❀ ❀





صور من حياة الرسول

«صور من حياة الرسول»: لأمين دويدار، وبين يدي الطبعة الرابعة منه بدار المعارف بمصر في ٦٤٥ صفحة، ويبدو من الترقيم الإيداعي لها أنها طبعت سنة ١٩٧٨م.

وهذا الكتاب وجّهه صاحبه الأستاذ أمين دويدار إلى الشباب من أتراب ابنه الذي تخطفته يد المنون، وكان يأمل أن يؤدبه بالسيرة النبوية، فقال: «هذه صفحات من سيرة الرسول الكريم، محمد بن عبد الله ﷺ أردت أن أتحدث فيها إلى الشباب من أبنائنا، ونحن في مستهل نهضة جديدة، لعلّي أستطيع أن أساهم بها في تقويمهم وحسن توجيههم، وفي بنائهم على أساس من الأخلاق والمثل الفاضلة التي وضعها الإسلام لأبنائه، ورسمها الرسول ﷺ نماذج حية للناس في أقواله وأفعاله، وقد حرصتُ جهدي على أن تكون هذه الصفحات صوراً صادقة من حياة الرسول الكريم، تملأ النفس بما فيها من صدق ووضوح، وتملأ القلب بما فيها من قوة وحياة.

وأن أسوقَ الحقائق التاريخية في أسلوب قصصي سهل، يلائم مستوى الشباب، ويستهوي قلوبهم، ويقف بهم على مواقف العظمة الحقة في حياته ﷺ لتكونَ لهم قدوةً يقتدون بها في حياتهم، فيشبون رجالاً صالحين، تسعد الحياة بهم ويسعدون بها كما سعدت بمن كان قبلهم من أبناء المسلمين الأولين».

والحق أن المؤلف قد وفّق في صياغة السيرة النبوية قصة متوالية بعناوين مثيرة، وومضات محركة ذكية، وأسلوب أدبي رفيع سهل صاف.

وصياغة السيرة في قصة ذات فصول متتابعة للناشئة من الأجيال دعته إلى عدم الاحتفال والتركيز على المصادر والروايات واختيار الصحيح وتجنب الضعيف، بل كان وُكده وهمّه أن يُظهرَ المواقف المؤثرة في حياة الرسول ﷺ، وقد وفق في ذلك إلى حد كبير، ولم يخرج إلى الغرائب والمناكير من الروايات - بالجملة - بل ذكر ما هو متداول معروف، وبعض ما ساقه مما يمكن أن يقف

أمامه هو قبلاً، كما في ذكره مجيء جبريل إليه وهو في غار حراء، يقول: «وكان الوقت ليلاً، والسكون شاملاً، ورسول الله قد فرغ من عبادته واستسلم للنوم، وبينما هو نائم جاءه جبريل بأمر الله تعالى.

وفي ذلك يقول ﷺ فيما يرويه عبيد بن عمير، فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ... قلت: ما أقرأ؟... قال: فغتني... حتى ظننت أنه الموت... فهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً».

وهذا رواية ضعيفة مرسلة يتنكّب عنها مع وجود النصوص الصحيحة الوثيقة بأن جبريل جاءه يقظة في وعيه.

وقال العلماء: **إن صحت فهي مما كان يراه توطئة وتهيئة وتيسيراً عليه، ورفقاً به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف**[1].

ومما يلاحظ على هذا الكتاب تنكّب الكاتب عن ذكر المعجزات النبوية في جميع أحداث السيرة، ومنها ذكر نزول الملائكة بصفة عامة حتى في بدء الوحي، وقد تجنّب ذكر نزولها في غزوة بدر، وهو أمر جاء في صريح القرآن.

ولم يذكر مثلاً مجيءَ الملك إلى النبيّ ﷺ وأمره بالتوجه إلى بني قريظة، وغير ذلك من المواطن، وقد كانت فترة تأليف الكتاب ـ الخمسينيات ـ تتسم بقوة النزعة المادية.

* **ملاحظات أخرى:**

وقد أجاد وأفاد حين ردّ بعض الشبه التي ألصقها بعض المستشرقين ـ ولم يحفل بهم كثيراً ـ كما فعل في مقتل كعب بن الأشرف وادعائهم أنه غدر وغيلة[2].

وفي ردّه على إسرائيل ولفنستون[3] في كتابه «تاريخ اليهود في بلاد العرب» في إجلاء بني النضير نتيجة غدرهم وخيانتهم للمسلمين عامة، وللنبي ﷺ خاصة،

---

(١) انظر على سبيل المثال: «الروض الأنف» ١/٢٦٨.

(٢) صور من حياة الرسول ﷺ ص(٣٣٩).

(٣) مستشرق صهيوني انتسب إلى الجامعة المصرية في العشرينيات من القرن العشرين واحتضنه طه حسين، وقدم لرسالته «تاريخ اليهود في بلاد العرب» وأثنى عن الكتاب والكاتب، ثم رحل هذا الصهيوني إلى فلسطين المحتلة ليشغل منصباً كبيراً في وزارة الخارجية الإسرائيلية (ن).

فيها تتبعهُ تتبعاً علمياً إلى أن قال بعد صفحات[1]: «لا شك إذن في أن العقاب الذي أنزله الرسول ببني النضير كان مكافئاً للجريمة التي هموا بها، ولا شكَّ في أنه ﷺ لم يكن ليخرجهم من المدينة إلا بعد أن تأكد له أنهم قد بيّتوا نيّة الغدر، وأن بقاءهم في المدينة قد غدا خطراً عليه وعلى دعوته، ولا شك في أنه لم يكن يريد أن ينتقم إلا لدين الله الذي أرادوا أن يهدموه بقتل رسول الله، وهذه شنشنة عرف بها اليهود من قديم، وشهد الله بها عليهم في كتابه، حيث يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠].

هذه غلطة تاريخية ـ بل سقطة تاريخية عظيمة ـ كان لا بدَّ أن نقف عندها حتى نصححها، فإن وجه الحق فيها كاد أن يطمسه المؤلف، ويعمِّيه على ناشئتنا ومُحْدَثينا»[1].

وقد أودع المؤلف في كتابه نظرات تهذيبية وأخلاقية مفيدة كان يقتبسها من السيرة النبوية، ويبث بين الفينة والأخرى شيئاً من وهج عاطفته، وصفحات عقله، وهو يقف أمام مرآة السيرة النبوية، ومن ذلك قوله تعليقاً على مكاتبة رسول الله ﷺ ملوك وأمراء عصره[2]:

«إن العالم في أيامنا هذه متعطش إلى الدين تعطُّش الظمآن إلى زلال الماء، فإن المادية التي طغت على العالم في أيامنا لا تختلف في جوهرها عن المادية التي طغت على العالم أيام ظهور الإسلام، وما أشبه الدول الكبرى في تضخمها الآن بما كانت عليه الروم والفرس من التضخيم أيام الرسول ﷺ.

وكما انهار ذلك البناء الضخم في لمحة الطرف أمام قوة الإسلام، فليس ببعيد أن يغزو الإسلام أوربة وأمريكة فتنهار أمامه قواها، كما انهارت أمامه من قبلُ الفرس والروم، والدنيا دول، والتاريخ يعيد نفسه، والزمن موجات من الروحية والمادية، ومن الإيمان والإلحاد، يتلو بعضها بعضاً، ولعل هذه اليقظة التي أخذت تدب في العالم الإسلامي اليوم تشير بأن موجة الإيمان قد أخذت في الظهور، وأن موجة المدنية المادية التي أغرقت العالم حيناً من الدهر قد آذن عهدها بالزوال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]».

---

(١) صور من حياة الرسول ﷺ ص(٣٩٠).

(٢) المصدر السابق: ص(٥٠٣).

ومن لمحاته المضيئة قوله[1]:

«كانت دولة الروم إذاً على علم بدعوة الإسلام، وكانت تقدر ما لها من خطورة الشأن، وتعلم أن هذه الدعوة تمسُّ مصالحها مسّاً كبيراً، وأنه ينبغي لها أن لا تغفل أمرها أو تستنيم إلى جوارها، ولعل واقعة مؤتة كانت أول عمل قام به الروم لدرء هذا الخطر عن دولتهم، ولإخماد هذه الدعوة التي ظنوها شرارة لا تلبث أن تنطفئ، فلما رأوا أنصارها ليسوا من الهوان كما تصوروا، وأخذوا ينظرون إليها نظرة الجد والاهتمام، وجعلوا يتعرفون أخبارها، ويتابعون سيرها متابعة دقيقة، وكان لهم عيون ينقلون هذه الأخبار، ويوقفونهم أولاً بأول على كل ما يجري بين رسول الله وأصحابه.

فهذا كعب بن مالك يذكر من حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ونهى رسول الله أصحابه أن يكلموه... أن ملك غسان بعث إليه بكتاب يقول فيه: أما بعد؛ فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

ودولة الغساسنة كانت حينئذاك تابعة لدولة الروم، فلولا أن الروم كانوا يتابعون أخبار الرسول وأصحابه لما كان من الحتم أن يصل مثل هذا النبأ إليهم، ولا كان من الطبيعي - ولو أنه وصل - أن يهتم به ملك غسان هذا الاهتمام.

وقد أجاد المؤلف وأحسن باتباعه السيرة النبوية بملحق رقم (١) جعله للحديث عن الإسراء والمعراج، وحاول تقريب هذا الحدث المعجز للعقل بلغة العقل والحسّ والواقع.

إن هذا الكتاب وأمثاله لجدير بأن يدرس في المدارس الثانوية من مقررات الدعم والتقوية اللغوية والفكرية، والنفسية والحضارية، وقد لاحظنا أن مقررات الدعم تحيل إلى كتب ركيكة أسلوباً ومضموناً، والنصوص التي تقتبس لتدرس في مقرر اللغة العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة هي نصوص رديئة أسلوباً ومضموناً، فكيف يتأتّى استخلاص الفضيلة، وصناعة الأجيال الفاضلة من كتب ونصوص ركيكة ورديئة، وتمدح الرذيلة؟!!.



(١) المصدر السابق: ص(٥٥٨).



فقه السيرة

«فقه السيرة»: للأستاذ **محمد منير غضبان**، وبين يدي الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م من منشورات جامعة أم القرى بمكة المكرمة في مجلد بلغت صفحاته الخمسين وسبعمئة.

وهو كتاب جيد، كان المصنف يقتبس النصوص، ويقف أمامها ويحللها تحليلاً، ويستنطقها مستنبطاً، وفي هذه التحليلات والاستنباطات بأسلوب سهل وتقسيم ميسَّر، فوائد وومضات مهمة.

وقد حاول أن يرتقي إلى المصادر، ويوثق ما ينقله، ويميز بين القوي والضعيف، يقول في مقدمته ص٨.

٤ ـ «وحرصت على توثيق ما أكتبه ما وسعني ذلك، وإعادته إلى مصادره، وعندما يكون الحديث خارج إطار كتابي إمامَيْ المحدِّثين البخاري ومسلم فإني أعتمد البحث عن درجة الحديث وصحته، وقد أسعفني «الجامع الصغير» وتخريج الأستاذ الألباني عليه في أحاديث الكتب الستة، ثم «مجمع الزوائد» للهيثمي في بقية الكتب، بحيث كان جلّ اعتمادي على هذين المصدرين.

٥ ـ وبعد الانتقال من رياض الحديث النبوي الشريف كنت أحرص على إتمام البناء من خلال كتب السيرة المنوعة، وكانت «السيرة النبوية» لابن كثير ذات الاهتمام الأول، لأنها اعتمدت كتب الحديث أساساً في العرض، وخاصة البيهقي في «سننه» «ودلائله»، و«مسند الإمام أحمد».

٦ ـ ولا شك أن ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ في سيرته التي وصلتنا من خلال ابن هشام يبقى أكبر وأوسع مصدر للسيرة النبوية، وما من إمام كتب في السيرة إلا وكان ابن إسحاق عمدته، وله فضل عليه، لكني أضفت جديداً هو محاولة توثيق روايات ابن إسحاق التي تعتمد السند، وتعتمد تصريح ابن إسحاق عمّن حدّث عنه فيرتفع التدليس، وتصبح الحادثة موثقة بشكلٍ أكثر.

٧ ـ ولم يمنعني بعد استيفاء البناء للحدث والحادثة أن أستأنس بروايات غير محققة أو فيها شيء خفيف من الضعف، لا تعارض الصحيح المعتمد لتجلي جوانب مبهمة من السيرة، وتغذي التربية المطلوبة للنفس، وقد درج العلماء الثقات الأفذاذ على الأخذ بها في مجال السيرة».

أقول: إن هذا الكتاب هو في فقه السيرة، ولهذا فقد انتقى الباحث النصوص التي يريد، وجمع ما شاء أن يجمع، ليبيّن منها الدروس والعبر، ونقله عن ابن كثير ليس تصحيحاً، والمصادر الأولى التي ينقل عنها، كمغازي عروة، وسير التيمي، وابن إسحاق، وموسى بن عقبة، وأمثالها مما تحتاج نصوصها إلى تمحيص ونقد، ومن باب أولى ما نقله عن السهيلي وابن كثير والمتأخرين، وعمله خطوة جيدة في الطريق السديد لتمحيص السيرة النبوية، والتفقه منها.

وقد أجاد الأستاذ محمد منير غضبان وأفاد في كثير من وقفاته أمام النصوص، وحرّك العقول والقلوب، وكتابه من الكتب المفيدة للخاص والعام فجزاه الله خيراً.



٩

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية

«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية»: للدكتور مهدي رزق الله أحمد، وبين يدي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في مجلد بلغ بفهارسه أكثر من تسعمئة صفحة.

وقد حاول المؤلف أن يطبق في كتابه هذا مقاييس النقد على الأخبار التي ساقها وذكرها، وبيَّن قيمتها في ميزان الجرح والتعديل، وقد بذل في ذلك جهداً كبيراً، وكان يسوق الخبر مع الحكم عليه، وعمله هذا خطوة كبيرة في طريق تنقيح السيرة النبوية، وتصفيتها.

ولو زاد المؤلف الكتاب تنقيحاً وحذف كثيراً من الروايات الضعيفة التي ذكرها أو استقاها من مصادر متأخرة لكان الكتاب من طبقة أعلى، وأذكر مثالاً على هذه الروايات الواهية، وقد أشار المؤلف إلى ذلك؛ ما ذكره في الصفحة ٢٧٦ و٢٧٧ قوله: ما روي أن أبا بكر عطش في الغار، فقال له رسول الله ﷺ: «اذهب إلى صدر الغار فاشرب»، فانطلق أبو بكر إلى صدر الغار فشرب منه ماءً أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأذكى رائحة من المسك، ثم عاد، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب..».

وأمثال هذا النص، ومع ملاحظات أخرى، واقتراح إضافة أمور أخرى لهذا العمل، فالكتاب جيد ومفيد وفيه جهد كبير، ذكرناه هنا تنويهاً به، وتقديراً لهذه المحاولة المفيدة.

❁ ❁ ❁

١٠

النور الخالد، محمد ﷺ، مفخرة الإنسانية

«النور الخالد، محمد ﷺ، مفخرة الإنسانية»: تأليف محمد فتح الله كولن، ومؤلفه تركي اللسان والوطن، وترجمه أورخان محمد علي، ط. دار النيل، ومؤسسة الرسالة في مجلدين ضخمين.

أحببت أن أذكِّر بهذا الكتاب العدد الكبير من الكتب التي تكتب في سيرة النبي ﷺ بغير اللغة العربية؛ لأن رسالة الإسلام في الماضي والحاضر والمستقبل ضمت اللغات والألوان والشعوب، ولا تزال في اتساع إن شاء الله.

وهذا الكتاب المذكور لم يسلك به مؤلفه السرد المعهود في كتب السيرة، بل جعله موضوعات استند فيها أساساً للسيرة النبوية، فجعله خمسة أقسام بعد التمهيد، أما ما بعد التمهيد فهو بعنوان: «النبي المرسل رحمة للعالمين» وجعله أقساماً.

ومهد بتمهيد من ذلك: أ ـ الفجر المرتقب. ب ـ عهد الظلم. ج ـ علامات النبوة. د ـ النبي المرتقب والمبشرين. هـ ـ قدوم طال انتظاره. و ـ لماذا لم يؤمنوا؟ ز ـ بُعدٌ آخر وأُفقٌ آخر.

القسم الأول: الأنبياء والرسل.

الباب الأول: الغاية من إرسال الرسل.

الباب الثاني: خصائص الأنبياء.

الباب الثالث: صفات الأنبياء.

والقسم الثاني: النبي ﷺ مربيّاً، وهو في فصول.

القسم الثالث: لا مثيل لرسول الله ﷺ في حلِّ المعضلات.

والقسم الرابع: الجانب العسكري للرسول ﷺ.

والقسم الخامس: عصمة الأنبياء عليهم السلام وعصمة نبينا ﷺ، وأضاف ملحقاً في السنّة ومكانتها في الشريعة الإسلامية.

وقد جعل هذه الأقسام في فصول، وفقرات، وعناوين معبّرة ومثيرة.

هذا الكتاب قد عالج كثيراً من موضوعات الحياة في جوانب واسعة، وانطلق المؤلف فيه من السيرة والسنّة، وأبدى فيه كثيراً من تجربته في واقع الحياة، وأبان عن ثقافة واسعة، وملاحظات سديدة، ولفتات فكرية موفقة، تملأ القلب عاطفة وتقدِّم للفكر زناداً، وللدعاة أسلوباً، وتجعل السيرة النبوية منهجاً لطريق لا حبٍ في الحياة، كان وما زال منقذاً للإنسانية من التيه.

ننصح الناشئة والشبان بل وعامة المثقفين بقراءته، وإن كان لا يخلو من أشياء ضعيفة، ولكنها مغمورة في محاسن هذا الكتاب في موضوعاته، وأفكاره، جزى الله كاتبه ومترجمه أحسن الجزاء.

❁ ❁ ❁



حياة محمد

«حياة محمد»[1]: للدكتور محمد حسين هيكل، كتب هذا الكتاب في مرحلة حرجة إن لم نقل كالحة من مراحل الفكر العربي والإسلامي في بلاد العروبة!! وانتشر كما يبدو من كثرة طبعاته انتشاراً واسعاً.

وهذا الكتاب بكلمة موجزة: قابل للنقض سطراً فسطراً.

إنه في نصفه الأول لا يختلف عن كتاب أي **مستشرق غربي**، رغم أن مؤلفه تظاهر بالدفاع عن الرسول ﷺ في قصة الغرانيق، وزواجه من السيدة زينب بنت جحش، لكن دفاعه في قصة الغرانيق ينطبق عليه المثل القائل: (جهاد في غير عدو، وقتال في غير معركة) لأن هذه المعركة قد أنهاها قبله علماء كثيرون منذ الصدر الأول باعترافه هو، إذ نقل عن ابن إسحاق، المتوفى ١٥١هـ قوله: إنه من وضع الزنادقة، وتلا ابن إسحاق وعاصره كثيرون ممن رفضوا هذه القصة منذئذٍ وحتَّى أيامنا هذه.

إن الدكتور هيكل قد أبدا وأعاد، وصال واختال باسم المنهج العلمي والطريقة الحديثة، انظر في ذلك قوله: «إنني أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية الحديثة، وأكتبه بأسلوب العصر» ص٤٧.

وقوله: «لكني رأيت من الخير أن أتبسط بعض الشيء في بيان الأسباب التي دعت المفكرين من أئمة المسلمين فيما مضَى وتدعوهم اليوم، كما تدعو كل باحث مدقق إلى عدم الأخذ جزافاً بكل ما ورد في كتب السيرة، وفي كتب الحديث، وإلى التقيُّد بقواعد النقد العلمي تقيداً يعصم من الزلل ما استطاع الإنسان أن يعصم نفسه منه» ص٤٧.

وقوله: «إنما أردتها دراسةً علميةً على الطريقة الحديثة خاصة لوجه الحق» ص٥٩.

وقوله: «... جعلني أفكر تفكيراً جديّاً في إنفاذ ما اعتزمت من كتاب «حياة

(١) صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم.

محمد»[1] على الطريقة العلمية الصحيحة كتابة مفصلة، ودعاني إلى التفكير في أمثل الوسائل لتمحيص السيرة تمحيصاً علمياً جهد المستطاع» ص١٨.

لكن أسلوب العصر والطريقة العلمية، ومنهجه الصحيح الحديث، لم يعين مساربها وجوادَّها، ولم يحدد معاملها ومنائرها، لا من قريب ولا من بعيد، بل إن قارئ الكتاب أول ما يلاحظه في سرد الأحداث ومعالجتها، أنها سيقت دون منهج أو مسار محدد، بل كانت مجموعة منتقاة على ذوق المؤلف وحسب رأي جامعها . . .

وإن الذين نعَى عليهم وغمطهم حقهم من أصحاب الحديث والسيرة كانوا ذوي منهج معروف، وخط ظاهر موصوف، دوِّن ذلك في كتب المصطلح وكتب الرجال، وفي حق الدكتور هيكل يصدق المثل القائل: (رمتني بدائها وانسلَّت).

أجل، إنه يقول في ص١٨ : «ولقد تبيَّنتُ أن أصدق مرجع للسيرة، إنما هو القرآن الكريم. . .» وقدم له صديقه الأستاذ أحمد لطفي السيد مجموعات قرآنية مبوّبة في حياة النبي صلوات الله وسلامه عليه، ولكن أثر ذلك لم يظهر في بحوث الكتاب، بل إنه كان يلوي الآيات القرآنية القليلة التي استشهد بها عن مواضعها ويستدل بها استدلالاتٍ بعيدة.

إنَّ ذكر جبريل أمين الوحي الذي كان يأتي النبي ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً أو يزيد يندر ذكره في كتاب الدكتور هيكل[2]!! بل أكثر من هذا يجعل اللقاء الأول بين الروح القدس وبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه نوماً، واستند أبو المنهج العلمي الصحيح الحديث إلى رواية ضعيفة عند ابن إسحاق ولم يذكر اسم جبريل، وراوغ وموّه في الهامش، انظر ص١٣٣ فالحديث مرسل، أرسله عبيد بن عمير[3]، ولم يعتمده أحد من علماء الإسلام عبر العصور، فيتما نعلم، ولهذا بقيت هذه الرواية خافتة هامدة في مكانها.

وانظر قوله في ص٢٣٧ : «لكن محمداً[4] لم يحتج إلى طويل تفكير فيما

---

(١) صلّى الله عليه وسلم.

(٢) **الإيمان بالوحي من أهم الفروق المميزة بين المسلم والكافر، ولا يخفَى أن النصارَى واليهود لا يؤمنون بالوحي إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه، بل يقولون إنه زعيم قومي، والوحي والقرآن فيض داخلي نفساني.**

(٣) انظر: «السيرة» لابن هشام ١/٢٥٤.

(٤) صلى الله عليه وسلم.

عرضنا عليه ليعلم أنهم يمكرون به، وأوحي إليه بذلك».

وانظر قوله ص٤١٥: «وما لبث محمد[1] أن أحيط بالأمر خبراً فسارع فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فأدركا سارة فاستنزلاها..».

وانظر ص٢٦٤: «حتَّى خفق خفقة من نعاس رأى خلالها نصر الله».

من هذا الأسلوب العصري! أو الصياغة الحديثة، يفهم القارئ أن التفكير والذكاء هما عماد حياة محمد ﷺ ولا أثر للوحي في حياته، وهذا مجانبة وإدبار، وتنكب للنصوص الصحيحة المقطوع بثبوتها، علماً بأن الدكتور هيكل يركز كثيراً على الرياضة الروحية في حياة النبي ﷺ انظر ١٣٣، ٢٣٨، ٢٥٤ ويصوره بأن نفسه كانت شغوفة متطلعة لشيء ما، اقرأ قوله في ص١١٨: «إنما كانت نفس محمد[2] شغوفة بأن ترَى وأن تسمع وأن تعرف، وكأن حرمانه من التعلم الذي يتعلمه بعض أنداده من أبناء الأشراف[3] جعله أشد للمعرفة تشوقاً وبها تعلقاً» وهذا الكلام غير صحيح، والنص المقطوع به يرفضه ويرده، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

ويؤكد هذا ما حاول إظهاره مفترياً على صحيح التاريخ والحديث والسيرة من اتصال النبي ﷺ باليهود والنصارَى مصغياً لتراتيلهم وقراءاتهم حريصاً على التعرف على دياناتهم والتعلم منهم، انظر ص١١٥، إذ يقول: «وفي الشام كذلك عرف محمد[4] أخبار الروم ونصرانيتهم، وسمع عن كتابهم، وعن مناوأة الفرس من عباد النار لهم، وانتظار الوقيعة بهم، ولئن كان يعدّ في الثانية عشرة من سنِّه، لقد كان له من عظمة الروح وذكاء القلب، ورجحان العقل، ودقة الملاحظة، وقوة الذاكرة[5]، وما إلى ذلك من صفات حباه القدر بها تمهيداً للرسالة العظيمة التي أعدّه لها ما جعله ينظر إلى ما حوله نظرة الفاحص المحقق، فلا يستريح إلى كل ما يسمع ويرَى، فيرجع إلى نفسه يسائلها، أين الحق من ذلك كله؟».

ويقول في ص١١٥ ـ ١١٦: «ويستمع إلى خطب الخطباء ومنهم اليهود

---

(١)، (٢) صلى الله عليه وسلم.

(٣) ليته بيّن لنا ما كان يتعلمه أبناء الأشراف والباشوات!! لنفيد من الدكتور هيكل.

(٤) صلى الله عليه وسلم.

(٥) كلمات حق أريد بها باطل.

والنصارَى الذين كانوا ينقمون من إخوانهم العرب وثنيتهم، ويحدثونهم عن كتب عيسى وموسى، ويدعونهم إلى ما يعتقدونه الحق، ويزن ذلك بميزان قلبه، فيراه خيراً من هذه الوثنية التي غرق فيها أهله، ولكنه لا يطمئن كل الطمأنينة إليه» وبعده يقول: إنه سمع خطبة قس وخطب اليهود والنصارى، علماً بأن سماع النبي من قس بن ساعدة الإيادي لم يثبت، ونص كثير من الأئمة على أن هذه القصة موضوعة مكذوبة[1].

ونفس الكلام يعيده في ص١٢٩، ١٣٠، ١٣٢ وغيرها، وانظر في ص١٧١ قوله: «وكان محمد[2] يكثر الجلوس إلى بيعة غلام نصراني يقال له جبر». فالقارئ يتصور أنه كان بمكة بيعة يعلوها الصليب وتقرع أجراسها في كل حين وآن يقوم برعايتها جبر هذا، ويكثر محمد[3] الولوج عليه!!! وإن إثبات هذه الرواية دونه خرط القتاد، وهي رواية ضعيفة من جهات عديدة[4].

وكمثال على الروايات الواهية التي أكثر منها انظر ص١٣٦ تجدها كلها غير ثابتة، وقد لوَّن بعضها خيال المؤلف، وانظر ص٣٠١: (وسجّى حمزة ببرده وصلَّى عليه) وهي رواية واهية، فهي من رواية الحسن بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع أهل الحديث، في حين أبهمه ابن إسحاق[5].

ومن أخبر هؤلاء أن النبي ﷺ قد صلى على حمزة غير الحسن بن عمارة الذي وقف منه أقرانه وتلامذته موقف المكذب له حين محّصوا مروياته، وتأكدوا من ذلك؟ وقد نصّوا على هذه الرواية (الصلاة على شهداء أُحد) بأنها من صنعه[6].

ومن هذا القبيل قوله: «إن كاتب سر النبي ﷺ كان يهودياً» انظر ص٣١٢.

انظر في ص١٢٧ قوله: «وأدَّى انحلال السلطان إلى نتيجته الطبيعية، أدَّى إلى مزيد من حرية الناس في التفكير، والجهر بالرأي، وإلى إقدام اليهود والنصارَى!! ممن كانوا يخافون صاحب السلطان على تعيير العرب بعبادة

---

(١) انظر: «الإصابة» لابن حجر العسقلاني ٣/ ٢٧٩، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني ص٥٠٠.

(٢)، (٣) صلى الله عليه وسلم.

(٤) وانظر: تناقض الروايات وإرسالها في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٢١، ١٢٢.

(٥) انظر: «نصب الراية» للزيلعي ٢/ ٣١١، و«تلخيص الحبير» ٢/ ١١٦.

(٦) انظر: «تهذيب» ٢/ ٣٠٥.

الأوثان، وانتفى ذلك بكثير من أهل مكة ومن القرشيين أنفسهم إلى أن زال من نفوسهم تقديس الأصنام» واعتقد أن أي مطلع على تاريخ العرب قبيل الإسلام وإبان حياة النبي ﷺ في مكة يعرف ما تحمله هذه الفقرة من المجازفات.

ومن المجازفات كذلك ما ساقه المصنف في ص١٢٨ ـ ١٢٩ إذ يقول عن السيدة خديجة رضي الله عنها: «وهي لا ريب قد اتجهت عند موت كل واحد منهما في الجاهلية إلى آلهتها تسألها ما بالها لم تشملها برحمتها وبرها، وما بالها لم ترحم قلبها... ولا ريب في أنه استوقف تفكيره، ولفت نظره في كل واحدة من هذه الفواجع ما كانت خديجة تتقرب به إلى أصنام الكعبة، وما كانت تنحر لهبل واللات والعزَّى ولمناة الثالثة الأخرَى، تريد أن تتفادَى ما ألم بها من ألم الثكل، فلا تفيد القرابين ولا تجدي النحور».

واستطرد خلال ذلك ليقول: «حتَّى إذا جيء بزيد بن حارثة يشتَرى، طلب إلى خديجة أن تبتاعه ففعلت، ثم أعتقه وتبناه» وعول في هذا على رواية واهية ليستدل على مجازفته السابقة، وترك الرواية الصحيحة المشهورة التي لم يورد غيرها ابن عبد البر وابن حجر العسقلاني[١] أن الذي اشترى زيداً إنما هو حكيم بن حزام للسيدة خديجة قبل زواجها من النبي ﷺ، ثم وهبته له بعد زواجها منه.

ومن الأمور الخطيرة جداً في هذا الكتاب ما سرده في حادثة الإسراء والمعراج ص١٩٠ ـ ١٩١ وسأقتطف بعض الفقرات من تلك الترهات والأغاليط التي نقلها عن المستشرق درمنجم وأقرها ورضي بها، واعتبرها أحسن ما يمكن أن يقال في الموضوع، إذ يقول: في منتصف ليلة بلغ السكون فيه غاية جلاله، وصمتت فيه طيور الليل، وسكتت الضواري، وانقطع خرير الغدران[٢] وصفير الرياح، استيقظ محمد[٣] على صوت يصيح به: أيها النائم قم، وقام، فإذا أمامه الملك جبريل وضاء الجبين، أبيض الوجه كبياض الثلج، مرسلاً شعره الأشقر[٤] واقفاً في ثيابه

---

(١) انظر: «الاستيعاب» ١/ ٥٤٤، و«الإصابة» ١/ ٥٦٣.

(٢) لا يخفَى على أحد أنه ليس بمكة غدران ولا أنهار.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

(٤) أعتقد أن المستشرق لم يرَ في حياته رجلاً أسود الشعر، لذلك لم يتصور جبريل بشعر أسود، أو أنه يجعل صفات الأوربي الأبيض بشعره الأشقر وعيونه الزرقاء مثلاً أعلى للجمال لذلك تصور جبريل عليه السلام كذلك!! ولا أدري هل اطلع الدكتور هيكل على ما جاء في وصف جبريل في صحيح الآثار، وثابت الأخبار أنه ذو شعر أسود، وذلك في حديثه المشهور.

المزركشة بالدر والذهب، ومن حوله أجنحة من كل الألوان ترعش، وفي يده دابة عجيبة هي البراق ولها أجنحة كأجنحة النسر، انحنت أمام الرسول فاعتلاها... ثم أتي بالمعراج فارتكز على صخرة يعقوب، وعليه صعد محمد سراعاً إلى السماوات، وكانت الأولَى من فضة خالصة علقت إليها النجوم بسلاسل من ذهب[1]...

وبينما هو يتأمل هذا الخلق الغريب إذ به ارتفع إلى قمة سدرة المنتهَى تقوم إلى يمين العرش وتظل ملايين الملايين من الأرواح الملائكية!!!.

وبعد أن تخطَّى في أقل من لمح البصر بحاراً شاسعة ومناطق ضياء يُعشي وظلمة قاتمة وملايين الحجب من ظلمات ونار وماء وهواء وفضاء يفصل بين كل واحدة منها وما بعده مسيرة خمسمئة عام، تخطَّى حجب الجمال والكمال والسر والجلال والوحدة، قامت وراءها سبعون ألف فرقة من الملائكة سجداً لا يتحركون، ولا يؤذن لهم فينطلقون، ثم أحسّ بنفسه يرتفع إلى المولَى جلَّ شأنه، فأخذه الدهش، وإذا الأرض والسماء مجتمعتان لا يكاد يراهما، وكأنهما ابتلعهما الفناء فلم يرَ منهما إلا حجم سمسمة في مزرعة واسعة، وكذلك يجب أن يكون الإنسان في حضرة ملك العالم).

هذا الوصف الذي أُعجب به الدكتور هيكل وقال عنه: (هذه القصة مستخلصة من مختلف كتب السيرة في عبارة طليَّة رائعة)، ثم بعد أن سردها قال: «هذه رواية[2] المستشرق درمنجم عن قصة الإسراء والمعراج، وأنت تقع على ما قصه منثوراً في كثير من كتب السيرة، وإن كنت تجد فيها جميعاً خلافاً بزيادة أو نقص في بعض نواحيها».

أقول: إن وصف درمنجم في مجمله غير موجود في كتب السيرة المعتمدة، ولا يقبله عقل مسلم، ولم تصح به رواية، وإن وصفه صعود النبي صلوات الله عليه إلى سدرة المنتهَى وما بعده انعكاس للتصور التوراتي لله ﷻ، ولا أدري في أي كتب السيرة عثر على هذا الهراء الفارغ، أفي سيرة ابن هشام التي يقتفي أثرها ولا يخرج عنه إلا عندما يدخل أفكار المستشرقين، ويحذف نصوصها التي لا تروقه؟

---

(١) لعل درمنجم حين كتب هذا تصور أن السماء قصر فسيح من قصور فيودالي وإقطاعيي أوربة في العصور الوسطَى!!

(٢) وكأن درمنجم إمام من أئمة المسلمين أصحاب النقل والرواية!!.

ليس فيها هذا بكل تأكيد، ولو ساق ما هو موجود في سيرة ابن هشام لأجاد وأفاد، ولكنه انحرف عنها فزلَّ وضلَّ.

وكثير من هذه الأغاليط وسوء التفهم لشخصية النبي ﷺ ورسالته أكتفي بهذه النماذج مؤكداً أن هذا الكتاب قابل للنقض سطراً سطراً...

ومما يعجب له المرء قوله: «إن أول كتب السيرة إنما كتب بعد قرنين من عصر محمد[1]...» ص٢١.

وهو الذي يعتمد سيرة ابن هشام، ومعلوم أن سيرة ابن هشام تهذيب لسيرة ابن إسحاق، ومحمد بن إسحاق توفي ١٥١هـ فكيف يغضي على هذه الحقيقة ويتجاهلها؟! لا أدري! حتَّى إن ابن هشام الذي هذّب هذه السيرة توفي سنة ٢١٨هـ أو ٢١٣هـ.

هذا وقد أعرضت عن بحثه الأخير الذي وضعه بعنوان الحضارة الإسلامية كما يصورها القرآن، وكان يجدر به أن يضيف للعنوان كما نتصورها؛ لأن هذا التصوير هو من تصوره هو، ويخالفه فيه آخرون، وربما يكونون كثيرين!!

وما أتبعه به من محاورة للمستشرقين لأن ذلك مما فيه مجال للخلاف والرأي والاجتهاد، أما نصوص السيرة والتاريخ فهي نقل لما مضَى ولا مجال للاجتهاد في اختراعها، بل الاجتهاد في تحليلها واستنباط ما ترشد إليه.

وعلى أية حال فقد اعتدل بعض الشيء في النصف الثاني من الكتاب، ولكن اعتداله هذا لا يجعل كتابه مرجعاً معتمداً ولا معتبراً لمن يريد معرفة شيء من سيرة النبي ﷺ، وإن كان الكتاب قد أدَّى دوراً تاريخياً معيناً، فإن تحليلاته قد تعداها مدّ العلم والثقافة أيضاً.

ومما تقدم من النصوص القليلة التي نقلناها منه نقول بكل اطمئنان: **إن الترويج لهذا الكتاب وأمثاله خيانة علمية، واستخفاف بالمعرفة الإسلامية، وبالقراء والمثقفين. فليتق الله امرؤ عرف ربّه.**



(١) صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة

وختاماً: فإني أحذر كل من يريد أن يعرف سيرة محمد ﷺ معرفة صحيحة من قراءة كتب المستشرقين في السيرة، ولا نقص في ذلك ولا جمود، بل هو هذا عين المنهج العلمي وهذه سبيله؛ لأن السيرة لا تصنع في معامل الغرب، ولا تركب في مخابر باريس أو موسكو وواشنطن ولندن، بل إن المستشرقين يرجعون إلى مصادرنا وتراثنا، وليس عندهم شيء فريد سوى تحليلاتهم المادية المغرضة، ونظرتهم الصليبية الحاقدة إلى النبي ﷺ.

وقد رأينا من يَأْلَفُ قراءةَ كتب المستشرقين ممن لم يتمكنوا في الثقافة الإسلامية ويتضلعوا فيها، رأينا من يألف ذلك يستخفُّ بالجناب النبوي الشريف، ويسهل عليه جداً الغض من الصحابة الكرام، الذي شادوا بناء الحضارة الإسلامية، وهذا يردي صاحبه والعياذ بالله في حمأة النفاق...

فنسأل الله ﷻ أن يلهمنا رشدنا، ويلهمنا الإنصاف من أنفسنا، ويشرح صدورنا للحق الذي فيه يختلفون، ويختم لنا بالحسنى، وصلى الله على النبي المصطفى الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته المخلصين، ومن تبعه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.



ثبت بأهم المراجع

* القرآن الكريم.
* أخلاق النبي ﷺ: لأبي الشيخ ابن حيان، ت٣٦٩هـ، ط. ١٩٧٢هـ.
* استدراكات على تاريخ التراث العربي: للدكتور نجم عبد الرحمن خلف: ط الأولى، دار البشائر الإسلامية.
* الاستيعاب: لابن عبد البر النمري، ت٤٦٣هـ، على هامش «الإصابة».
* أدب الإملاء والاستملاء: للسمعاني، ت٥٦٢هـ، نسخة مصورة من طبعة ليدن.
* أدب الكاتب: لابن قتيبة الدينوري، المتوفى ٢٧٦هـ، بتحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد.
* الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لإمام الحرمين، ط. ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠م.
* الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسيّن، ط. الأولى، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
* الإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ: لمغلطاي بن قليج، تحقيق: محمد نظام الدين فتيح ط. الأولى، دار القلم، والدار الشامية.
* الاشتقاق: لابن دريد، ت٣٢١هـ.
* الإصابة في تمييز أسماء الصحابة: للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، طبعة مصورة.
* الأعلام: لخير الدين الزركلي، ط. دار العلم للملايين، بيروت.
* الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت٩٠٢هـ، ط. القدسي ١٣٤٩هـ، وأحياناً إلى طبعة روزنتال مع كتابه «علم التاريخ عند المسلمين».
* الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني، ت٣٥٦هـ، ط. دار الثقافة وغيرها.
* الاكتفا في مغازي النبي ﷺ والثلاثة الخلفا: لابن سالم الكلاعي.
* أمالي القالي: لأبي علي إسماعيل بن القاسم، ت٣٥٦هـ.
* إمتاع الأسماع: للمقريزي تصحيح محمود شاكر، ط. على نفقة الشؤون الدينية بقطر.

* أنساب الأشراف: للبلاذري أحمد بن يحيى بن جابر، ت٢٧٩هـ، بتحقيق الدكتور محمد حميد الله.
* البدء والتاريخ: لابن طاهر المقدسي، ت٣٥٥هـ، نسخة مصورة عن طبعة باريس.
* البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير الدمشقي، ت٧٧٤هـ، نسخة مصورة بدار الفكر.
* برنامج الوادي آشي، ط. الأولى، تحقيق محمد محفوظ.
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط. الثانية، دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
* البيان والتبيين: للحافظ أبي عثمان عمرو بن بحر، ت٢٥٥هـ، ط. حسن السندوبي.
* تاريخ الأدب العربي: لبروكلمان، ط. دار المعارف بمصر، ستة أجزاء.
* تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، ط. دار الفكر، د.ت.
* تاريخ التراث العربي: للدكتور فؤاد سزكين، المجلد الأول، ط. الهيئة المصرية العامة وطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
* تاريخ خليفة بن خياط العصفري: بتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، ط١. دار القلم بدمشق.
* تاريخ دمشق: لابن عساكر، ت٥٧١هـ، بتهذيب الشيخ عبد القادر بدران، ط. بمطبعة روضة الشام.
* التاريخ الصغير: للبخاري محمد بن إسماعيل، ط. حلب.
التاريخ الصغير: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم الزايد، ط. دار الوعي بحلب، ومكتبة التراث بالقاهرة ١٩٧٧م.
* تاريخ الطبري محمد بن جرير: بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف بمصر.
* التاريخ العربي والمؤرخون: للدكتور شاكر مصطفى، ط. دار العلم للملايين.
* تاريخ المسعودي، مروج الذهب: بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.
* تاريخ مكة: للأزرقي أبي الوليد، نسخة مصورة.
* تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن واضح اليعقوبي، ت٢٩٢هـ.
* تبين كذب المفتري فيما نسب لأبي الحسن الأشعري، لابن عساكر، تحقيق: حسام الدين قدسي.
* تحفة الأحوذي شرح الترمذي: للمباركفوري، ت١٣٥٣هـ، نسخة مصورة عنه، ط. الهند بدار الكتاب العربي، بيروت.
* تذكرة الحفاظ: لشمس الدين الذهبي، ت٧٤٨هـ، نسخة مصورة عن الهندية.
* ترتيب المدارك لمعرفة أعيان مذهب مالك، ط. وزارة الأوقاف بالمغرب.

* الترغيب والترهيب: للحافظ المنذري: تحقيق مجموعة، ط. دار ابن كثير، والكلم الطيب. ومؤسسة علوم القرآن.
* تفسير الطبري: محمد بن جرير، ت٣١٠هـ، نسخة مصورة بدار الفكر، ١٣٩٨هـ
* تفسير ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ، ط. لبنان.
* تفسير المظهري، ط. الهند.
* تقريب التهذيب: للحافظ ابن حجر العسقلاني، بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.
* تقييد العلم: للخطيب، تحقيق: د. يوسف العش، ط. الثانية، نشر دار إحياء السنّة النبويّة ١٩٧٤م.
* التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي: للحافظ ابن حجر بتصحيح وتنسيق السيد عبد الله هاشم اليماني.
* تهذيب الأسماء واللغات: للإمام النووي، ت٦٧٦هـ، ط. المنيرية.
* تهذيب التهذيب: للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ نسخة مصورة عن الطبعة الهندية.
* تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط. مؤسسة الرسالة.
* التنبيه والإشراف: للمسعودي المتقدم.
* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد الطحان، مكتبة المعارف بالرياض.
* الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي نسخة مصورة عن الطبعة الهندية الأولى.
* جمهرة نسب قريش: للزبير بن بكار، ت٢٥٦هـ، بتحقيق الأستاذ محمود شاكر، ط١.
* جوامع السيرة: لابن حزم، بتحقيق د. إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، ط. مصر.
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني، ط. الأولى وطبعة دار الكتب العلمية.
* حياة محمد: للدكتور محمد حسين هيكل، الطبعة التاسعة.
* خلاصة تذهيب الكمال: للخزرجي، ط. الأولى، ١٣٢٢هـ.
* دراسة في السيرة: للدكتور عماد الدين خليل، ط. ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
* الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للجلال السيوطي، ت٩١١هـ، نسخة مصورة عن طبعة طهران.
* الدرر في اختصار المغازي والسير: لأبي عمر بن عبد البر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

* الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: لابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي أبي النور، نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة، د.ت.
* الرحيق المختوم: لصفي الرحمن المباركفوري، ط. الأولى، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.
* الرسالة المحمدية: للعلامة السيد سليمان الندوي، ط. ٢/ ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
* الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرفة: للشيخ محمد بن جعفر الكتاني. دار الفكر بدمشق
* الروض الأنف: للسهيلي أبي القاسم الخثعمي، ت٥٨١هـ، ط. دار الفكر.
* رياض النفوس للمالكي، تحقيق: بشير البكوش، ط. دار الغرب الإسلامي ١٩٨٣م.
* زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، نشر المطبعة المصرية ومكتبتها.
* سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ليوسف بن محمد الصالحي، ط. دار الكتب العلمية.
* سنن البيهقي: أحمد بن الحسين، ت٤٥٨هـ، نسخة مصورة بدار الفكر.
* سنن الترمذي: محمد بن عيسى، ت٢٧٩هـ، مع تحفة الأحوذي.
* سنن أبي داود سليمان بن الأشعث، ت٢٧٥هـ، ضبط الأستاذ محيي الدين عبد الحميد، ونشر دار إحياء السنّة.
* سنن الدارقطني: علي بن عمر، ت٣٨٥هـ، ط. السيد عبد الله هاشم اليماني.
* سنن ابن ماجه القزويني، ت٢٧٥هـ، ضبط محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء الكتب العربية.
* سنن النسائي: أحمد بن شعيب، ت٣٠٣هـ، نشر دار إحياء التراث العربي بلبنان.
* سيرة ابن إسحاق: محمّد بن إسحاق، ت١٥١هـ، بتحقيق د. محمد حميد الله، ط. المغرب، وط. دار الفكر، بتحقيق د. سهيل زكّار.
* سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي، ط. مؤسسة الرسالة الثالثة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.
* سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم: للأستاذ محمد عزة دروزة، ط. ٢/ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
* سيرة ابن هشام: أبو محمد عبد الملك، ت٢١٨هـ، بضبط محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر.
* السيرة بلغة الحب والشعر: للأستاذ سعيد حوى، ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط. الأولى.

* السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: لأبي حاتم ابن حبان، ت٣٥٤هـ، ط. دار الفكر ومؤسسة الكتب الثقافية، ط. الأولى.
* السيرة النبوية: لأبي الحسن الندوي، ط. ثانية.
* السيرة النبوية: للذهبي، تحقيق: حسام الدين القدسي، نسخة مصورة بدار الكتب العلمية.
* السيرة النبوية دروس وعبر: للدكتور مصطفى السباعي، ط. المكتب الإسلامي.
* السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: للدكتور مهدي رزق الله أحمد، ط. الأولى ١٤١٢ ـ ١٩٩٢م.
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي، ت١٠٨٩هـ، نسخة مصورة عن ط. القدسي.
* شرح السبع الطوال الجاهليات: لأبي بكر بن الأنباري، ت٢٧١هـ، تحقيق عبد السلام هارون.
* شعر الدعوة الإسلامية: للأستاذ عبد الله الحامد، منشورات كلية اللغة العربية بالرياض.
* شفاء السقام في زيارة خير الأنام: لتقي الدين السبكي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط. الثانية ١٩٧٨م.
* الشفا: للقاضي عياض، ت٥٤٤هـ، منشورات المكتبة التجارية الكبرى.
* الشمائل: للإمام الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، ت٢٧٩هـ.
* الصاحبي في فقه اللغة: لأحمد بن فارس، ت٣٩٥هـ، نشر المكتبة السلفية، ١٩١٠هـ.
* الصارم المسلول على شاتم الرسول: لابن تيمية.
* صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أمير المؤمنين في الحديث مع شرحه فتح الباري.
* صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، من مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، وطبعة محمد فؤاد عبد الباقي.
* صور من حياة الرسول: لأمين دويدار، ط. الرابعة، بدار المعارف بمصر ١٩٧٨م.
* طبقات الحفاظ: للإمام الذهبي.
* طبقات الحنابلة: للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، نشر دار المعرفة ببيروت.
* طبقات ابن سعد: محمد بن سعد، توفي ٢٣٠هـ، ط. بيروت.
* طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي ـ وعبد الفتاح الحلو، ط. دار إحياء الكتب العربية.

* طريق الهجرة النبوية: للأستاذ عبد القدوس الأنصاري، ط١.
* العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي، ضبط أحمد أمين وصاحبيه.
* العواصم من القواصم: للقاضي أبي بكر ابن العربي المعافري، ت٥٤٣هـ، ط، محب الدين الخطيب، بالسلفية.
* عيون الأثر في فنون المغازي والسير: لأبي الفتح بن سيد الناس، ت٧٣٤هـ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
* فتاوى ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط. بإشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، ط. السلفية.
* فتوح البلدان للبلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت٢٧٩هـ، دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧هـ.
* الفصل في معرفة الملل والنحل: لابن حزم الأندلسي، ٤٥٦هـ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى، ١٣١٧هـ.
* فقه السيرة لمحمد منير الغضبان، ط. الثانية ١٤١٣ - ١٩٩٢م بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
* فقه السيرة: للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة السابعة. دار الفكر بدمشق.
* فقه السيرة: للشيخ محمد الغزالي. نشر دار القلم بدمشق.
* القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ط. دار الكتب العلمية..
* فهرس ابن خير الأشبيلي، ت٥٧٥هـ.
* فهرس القرويين: للأستاذ العابد الفاسي، ط. دار الكتاب بالدار البيضاء.
* في ظلال القرآن: للأستاذ سيد قطب رحمه الله، ط. دار الفكر - لبنان.
* الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستّة: للحافظ الذهبي، تحقيق: عزّت علي عيد عطية، وموسى محمد الموشي.
* الكامل في الأدب للمبرد.
* الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي، ط. دار الفكر.
* الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية: د. عزيز العظمة، ط. ١/١٩٨٣م، دار الطليعة.
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة وذيوله.
* لسان الميزان: للحافظ ابن حجر العسقلاني، نسخة مصورة عن الهندية.

* المجروحين من المحدثين: لابن حبّان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم الزايد، ط. دار الوعي بحلب.
المجروحين من المحدِّثين: للحافظ ابن حبان البستي، ت٣٥٤هـ، ط. دار الوعي بحلب.
* المحبر: لابن حبيب محمد بن حبيب بن أمية البغدادي، ت٢٤٥هـ.
* المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم، ت٤٠٥هـ، نسخة مصورة.
* المستفاد من مهمات المتن والإسناد: لأبي زرعة العراقي، ط. الأولى ١٤١٤ ـ ١٩٩٤.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت٢٤١هـ، نسخة مصورة بالمكتب الإسلامي.
* المصنف: لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي، ط. المكتب الإسلامي.
* المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: للمحدث علي القاري الهروي، ت١٠١٤هـ، بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدّة، ط. مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٩٧٨م.
* معجم المؤلفين: للأستاذ عمر رضا كحالة.
* معجم ما أُلف عن رسول الله ﷺ: للدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ.
* المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي، تحقيق: د. أكرم العمري، ط. ديوان الأوقاف بالعراق.
* المغازي الأولى ومؤلفوها: للمستشرق يوسف هورفتش، ترجمة حسين نصار.
* المغازي: لمحمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط. عالم الكتب. د.ت.
* مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق السيد صقر، ط. ١٩٤٩م، ط. البابي الحلبي.
* الموفقيات: للزبير بن بكار، تحقيق سامي مكي العاني، ط. ١٩٧٢م، ديوان الأوقاف بالعراق.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للحافظ الذهبي، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط. الأولى.
* النثر الفني في القرن الرابع الهجري: للدكتور زكي مبارك.
* نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء: لأبي البركات ابن الأنباري، ت٥٧٧هـ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط. القاهرة.
* نصب الراية: للحافظ الزيلعي، مصورة عن الطبعة المصرية.
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري، ط. دار صادر بيروت.

* النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية: لمحمد فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، ط. دار النيل ـ ومؤسسة الرسالة.
* هدية العارفين في أسماء الكتب والمصنفين.
* الوزراء والكتاب: للجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس، ت٣٣١هـ، ط. ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.
* وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: للسمهودي أبي الحسن علي بن عبد الله، ت٩٢٢هـ.
* وفيات الأعيان: لابن خلكان، ط. دار صادر، بيروت.
* اليمين واليسار في الإسلام: لأحمد زكي صالح، ط. ١٩٧٢م، بيروت.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	السورة ورقمها	رقم الصفحة
	سورة القلم	
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾	٤	٨، ٢٦، ١٦٢
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾	١٠ ـ ١٦	٤٨
	سورة القيامة	
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾	١٦	٣٩
	سورة عبس	
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾	١ ـ ٢	٢٤
	سورة المطففين	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟...﴾	٢٩ ـ ٣٣	٤٧
	سورة الضحى	
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾	٦ ـ ٨	٢٥، ٣٩
	سورة الانشراح	
﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾	٤	٣١
	سورة العلق	
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾	١	٢٨
	سورة الكوثر	
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾	٣	٤٧

❁ ❁ ❁

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية



ثالثاً: فهرس الشعر



رابعاً: فهرس الأعلام

(ب)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

خامساً: فهرس الأماكن المذكورة في متن الكتاب

❀ ❀ ❀

سادساً: فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

(ب)

(س)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

سابعاً: فهرس الموضوعات